

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة



بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء

رسالة دكتوراه

مقدمة من

عبد الشكور بن محمد أمان بن عبد الكريم العروسى

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله عبيد

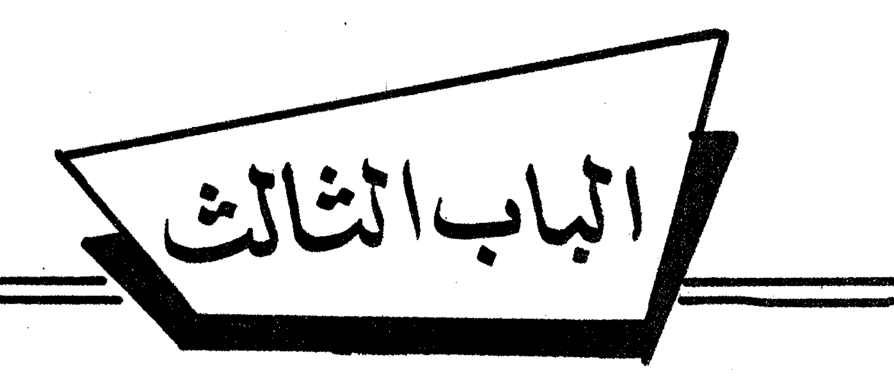
سنة ١٤٠٢ هجرية

١٩٨٢ ميلادية

مكة المكرمة

الجزء الثانـــــي





الباب الثالث

بيان موقفهم من الأنبياء عليهم السلام
وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول:

في تعريف الوحي والنبوة والرسالة وآيات الأنبياء
وموقف بني إسرائيل من الأنبياء على وجه العموم
وبيان أسماء بعض الأنبياء الذين قتلوهم

الفصل الثاني:

بيان موقفهم ممن قبلهم من الأنبياء عليهم السلام

الفصل الثالث:

بيان موقفهم ممن عاصروهم من الأنبياء عليهم السلام

الفصل الأول

في تعريف الوحي والنبوة والرسالة وبيان صفات الأنبياء ومو‌قف بني اسرائيل من الأنبياء على وجه العموم وبيان أسماء بعض الأنبياء الذين قتلوهم .

وفيه

تمهيد وأربعة مباحث :

- المبحث الأول : تعريف الوحي والنبوة والرسالة وآيات الأنبياء .
- المبحث الثاني : بيان صفات الأنبياء ؛
- المبحث الثالث : بيان موقف بني اسرائيل من الأنبياء على وجه العموم.
- المبحث الرابع : بيان أسماء بعض الأنبياء الذين قتلوهم .

*

تمهيـــــد :

لما كان البحث في هذا الباب قصد منه ايضاح موقف بنى اسرائيـــل من الأنبياء عليهم السلام ، كان من المناسب ان يتقدمه تعريف الوحـــي والنبوة لما بينهما من تلازم ، لأنّ النبوة لا توجد الا حيث يوجد الوحـي وكذلك الوحي الخاص بالأنبياء لا يوجد الا حيث توجد النبوة . ثم يلي ذلك تعريف آيات الأنبياء التى تعتبر دليلا على نبوتهم وصدقهم فيما يبلغونه عن ربهم . ثم يأتى عقب ذلك بيان صفات الأنبياء الواجبة لهم والصفـات الممتنعة عليهم لنتعرف على ضوء ذلك موقف بنى اسرائيل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في المباحث التالية لهذا المبحث وذلك باتباع ثلاثة مسالك :

المسلك الأول : في بيان موقفهم من الأنبياء على وجه العموم كتكذيبهم وقتلهم ووصفهم بصفات تنافى عصمتهم ولا تتفق مع ما ثبت من مكانتهم الرفيعة .

المسلك الثاني : فى بيان موقفهم من بعض الأنبياء الذين سبقوهم على وجـه الخصوص كنوح وابراهيم ولوط واسماعيل واسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام .

المسلك الثالث : في بيان موقفهم ممن عاصروهم من الأنبياء على وجه التخصيص أيضا كموسى وهارون وداود وسليمان وعيسى و محمد عليهم الصلاة والسـلام الى يوم الدين .

*

المبحث الأول

في تعريف الوحي والنبوة والرســالة

أ - تعريف الوحي :

الوحي في اللغة مأخوذ من قولهم أوحيت ووحيت الى فلان اذا كلمته بما تخفيه عن غيره أو القيت اليه مكتوبا أو رسالة ليعلمها . ثم غلب فيما يلقى الـى الأنبياء من قبل الله تعالى .

والوحي في الشرع كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه . فقد يكون بواسطة أو بغير واسطة والواسطة هي ملك الوحي الذى يأتي النبي فيبلغه أوامر ربه . وأما ما يكون بغير واسطة فنوعان :

الاول : الكلام المباشر من وراء حجاب كما حصل لموسى عليه السلام . ولمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج (١) .

والثاني : الالهام ، وهو وجدان تستيقنه النفس وتنساق الى ما يطلب منها مع اليقين أنه من قبل الله تعالى (٢) .

ب - تعريف النبوة والرسالة :

النبوة في اللغة اما مأخوذة من النبأ وهو الخبر والشأن ، وعليه فالنبي هو من يخبر عن الله تعالى ، أو هو الذى يخبر من قبل الله عز وجل . وهو فعيل بمعنى مفعل بضم الميم وكسر العين أو فعيل بمعنى مفعل بضم الميم وفتح العين فالاول اسم فاعل والثاني اسم مفعول وكلا المعنيين صحيح في النبوة . وعلى هذا يكون الاسم مهموزا . واما مأخوذة من النبوة على وزن صفوة ،وهو المكان المرتفع من الارض . فالنبي على هذا من علا و شرف على الناس . وعلى هذا فهو غير مهموز (٣) .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير في ان الله كلم محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج جـ١ ص ٣٠٤ و تفسير الشوكاني جـ١ ص ٢٦٩ و غرائب القرآن للنيسابورى جـ٣ ص ٨ .

(٢) انظر رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده الطبعة الرابعة بدار الفكر بيروت ص ٨٧ . والوحي المحمدى للسيد محمد رشيد رضا المطبوع بالقاهرة بشركة الطباعة الفنية المتحدة الطبعة السادسة سنة ١٣٨٠ هـ - ص ٣٤ - ٣٥ .

(٣) انظر غرائب القرآن و رغائب الفرقان جـ ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١

وقيل مأخوذة من النبىء ،وهو الطريق الواضح ،لأن الانبياء عليهم السلام طرق الهداية الواضحة الى الله عز وجل (١).

والنبي من أتاه الوحي من الله عز وجل ونزل عليه الملك بالوحي (٢) .

أو هو من نبىء من قبل الله تعالى فـأنبأ بما أنبـأ الله به (٣).

والرسول مأخوذ من رسل اللبن اذا تتابع دره . وهو الذى يتتابع عليه الوحي من قبل الله عز وجل ويفرق بينه وبين النبي بأن النبي من أتاه الوحي من ربه والرسول من يأتي بشرع على الابتداء ، أو بنسخ بعض أحكام شريعة قبله (٤). أو بايضاح ما التبس فيها من الحق بالباطل ،أوما اختلف الناس فيه منها (٥) .

هذه التعريفات للنبوة والرسالة وكذلك تعريف الوحي قبلهما خاصة بالمسلمين ، ولم أقف على تعريف اليهود لهذه الألفاظ غير ان الذى يطلع على كتبهم يجد فيها أن النبوة عندهم تعلني الاخبار عن المغيبات والحوادث التي ستقع في المستقبل ولذلك أدخلوا في الأنبياء العرافين والمنجمين والكهان . بل وطلبوا من بعض أنبيائهم ما يطلبونه من العرافين كاخبارهم بمكان وجود دوابهم الضالة (٦) كما جاء ذلك في سفر صموئيل حيث صرح أن النبي كـان

---

(١) انظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١ . والمواقف للايجي ص ٣٣٧ والوحي المحمدى للسيد محمد رشيد رضا ص٣٧.

(٢) انظر اصول الدين لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى المتوفي سنة ٤٢٩ هـ ص ١٠٥ طبعة بيروت سنة ١٤٠٠ هـ الطبعة الثانية بدار الكتب العلمية .

(٣) وانظر كتاب النبوات لابن تيمية ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٤) انظر اصول الدين ص ١٥٤

(٥) وهناك تعريفات اخرى واقوال مختلفة في الفرق بين النبي والرسول وليس هذا موضعه .

(٦) انظر كتاب عصمة الأنبياء للدكتور محمد ابي النور الحديدى ص ٢٩-٣٠ طبع سنة ١٣٩٩هـ بمطبعة الأمانة بمصر .

قبل ذلك يسمى " الرائى " غير أنه عرف بالنبي في عصر صموئيل . فقد ذهب شاول بن قيس اول ملوك بنى اسرائيل قبل ملكه مع احد غلمان أبيه ليبحث عن أتن ضلت فتوجه لطلبها بأمر من أبيه الذى كلفه بالبحث عنها . فلما لم يجدها بعد البحث الطويل قال شاول للغلام :" تعال نرجع لئلا يترك أبي الاتن ويهتم بنا . فقال له : هوذا رجل الله في هذه المدينة والرجل مكرم كل ما يقوله يصير لنذهب الآن الى هناك يخبرنا عن طريقنا التى نسلك فيها . فقال شاول للغلام : هوذا نذهب فماذا نقدم للرجل لأن الخبز قد نفذ من أوعيتنا وليس من هدية نقدمها لرجل الله ؟ ماذا معنا ؟ ... هوذا يوجد بين يدى ربع شاقل فضة فأعطيه للرجل الله فيخبرنا عن طريقنا . سابقا في اسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله. هلم نذهب الى الرائى . لأن النبي اليوم كان يدعى سابقا الرائى" (١) .

وتدل نصوص كتبهم على أن النبوة قد تنال بالكسب ، وقد تكون بالاصطفاء ، وذلك على خلاف ما عليه المسلمون من أن النبوة اصطفاء من الله تعالى واختيار منه فقط . فلا يستطيع أحد ان يبلغ بصلاحه وتقواه مهما كان الى مقام النبوة . وقد توسعوا فى معنى اسم النبوة حتى اطلقوها على سدنة الأصنام كما جاء ذلك في مواضع من أسفارهم وكما جاء على لسان ايليا : " أنا بقيت نبيا للرب وحدى وأنبياء البعل اربعمائة وخمسون رجلا" (٢) أى أنبياء الوثن .

تعريف آيات الأنبياء :

اصطلح المتكلمون على تسمية آيات الانبياء المعجزة . أخذا من عجز البشر من غير الأنبياء ، عن الاتيان بمثلها أو عن معارضتها . وعرفوها

---

(١) صموئيل الأول ٩ : ٥-٩

(٢) الملوك الأول ١٨ : ٢٢

بأنها " أمر خارق للعادة يجريه الله على يد مدعى النبوة على وجه يعجز المنكرين عن الاتيان بمثله "(١) .

وآيات الأنبياء أو معجزاتهم ، هى العلامات الواضحات البينات الدالة على صدقهم في دعوى النبوة ، وفيما يبلغونه عن ربهم . بحيث لا يقف في سبيل دعوتهم صاحب شبهة أو شك . وهى مؤيدة للنبي ودليل للمهتدين ، وحجة على المعاندين . وقد سماها القرآن الكريم آيات بينات ، وبرهانا . أما تسميتها بينات فقد جاءت في قوله تعالى :" وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس "(٢) . وفي آيات أخر . وأما تسميتها آية فقد جاءت في قوله تعالى :" ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين "(٣) . وفي مواضع كثيرة أخر . وأما تسميتها برهانا فقد جاءت في قوله تعالى :" فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه"(٤) .

ومع أن اصطلاح المتكلمين على تسمية آيات الانبياء معجزة ليس فيه معنى فاسد ، فان الأولى والأفضل الاكتفاء بما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ أطلقها الله تعالى على علم منه بأوليتها .

---

(١) انظر اصول الدين لأبي منصور البغدادى ص ١٧٠ وعصمة الأنبياء ص١٥ ومحصل افكار المتقدمين والمتأخرين للرازى ص ٢٠٧ الناشر مكتبة الكليات الازهرية وشرح الفقه الاكبر للملا على القارى ص ٦٣ طبعة بيروت سنة ١٣٩٩هـ بدار الكتب العلمية .

(٢) سورة البقرة ٨٧ و ٢٥٣ (٣) سورة الشعراء ٤

(٤) سورة القصص ٣٢ .

المبحث الثاني

صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام ،أنبأ ملائكته الكرام أنه (جاعل في الأرض خليفة) . ومن شأن من يقوم بأعباء الخلافة أن يكون على هدى ومنهج ممن استخلفه . فهذا هو الذى وقع، اذ خلق الله آدم عليه السلام وزوجه في الجنة (فأخرجهما الشيطان مما كانا فيه) فأمرهما الله بالهبوط الى الأرض لحكمة أرادها في سابق علمه. وكان آدم نبيا يوحى اليه . فنشأت ذريته على الفطرة السليمة والعقيدة الصافية . غير ان تلك الفطرة السليمة والعقيدة الصافية قد تعرضتا بمرور الأيام لشئ من الكدر والشوائب . فاختلفت ذرية آدم بعد أن كانت أمة واحدة . وما كان الله ليتركهم على تلك الحالة من الاختلاف وقد خلقهم الله لعبادته. ولذلك بعث اليهم رسلا منهم ينذرونهم سوء العاقبة ، ومضار الاختلاف ،ويبشرونهم بالحياة الطيبة في الدنيا ، وبالنعيم الأبدى في الآخرة ، ان هم اعتصموا بحبل الله وتمسكوا بهداه كما قال تعالى " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات/ بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم" (١) .

وقال تعالى : " وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون "(٢) .

ومنذ ذلك الحين ، لم تخل فترة من الزمن الا وفيها رسل يبلغون البشر هدى ربهم ، وينذرونهم لقاء الله وعقابه الشديد . واذا كانت عادة ملوك الدنيا وسلاطينها قد جرت باختيار من يكون واسطة بينهم وبين رعيتهم

---

(١) سورة البقرة ٢١٣ (٢) سورة يونس ١٩

ممن له صفات جديرة بذلك. فان الله سبحانه وتعالى وله المثل الأعلى لا يصطفى للرسالة الى خلقه الا من له من الصفات ما يجعله في أعلى مراتب العبودية صدقا في القول والعمل. لأنهم انما يبعثون لاصلاح ما فسد من أحوال الناس في الاعتقاد والسلوك والمعاملات فيما بينهم، فلا بد أن يكونوا في أعلى درجات الصلاح والتقوى لتتحقق فيهم القدوة الحسنة. لذلك اقتضى البحث هنا أن يكون في هذا الموضع مبحث صفات الانبياء عليهم السلام وفي مقدمتها صفة العصمة :

العصمة :

العصمة في اللغة المنع. قال في القاموس: " العصمة بالكسر المنع والقلادة، واعتصم بالله: اعتصم بلطفه من المعصية". هذا معناها في اللغة. ومنه قول ابن نوح لأبيه/ كما حكى الله عنه: " سآوى الى جبل يعصمنى من الماء " (١) أى يمنعنى منه.

وأما معناها في الاصطلاح، فهى " لطف من الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء" (٢) أى ان النبي صلى الله عليه وسلم يمنعه الله تعالى بلطفه من المعاصى بأن يعينه على فعل الخير ومحبته وتجنب الشر وكراهيته على سبيل الاختيار، لا الالجاء، لأن علمهم بما يحسن من الطاعات وما يقبح من المعاصى اكمل. وكذلك علمهم بما وعد الله على فعل الخيرات والحسنات من الأجر العظيم، وما أوعد به على المعاصى من العذاب الأليم، اكمل ايضا من علم سائر البشر. فالرغبة في رضوان الله وجزيل عطائه، تدفعهم الى الطاعات والفضائل من الأقوال والافعال. والرهبة من غضب الله وعقابه، تزجرهم عن المعاصى ما ظهر منها وما بطن. وهكذا يحول الله تعالى بينهم وبين المعاصى ويباعد بينهم وبينها.

---

(١) سورة هود ٤٣

(٢) عصمة الانبياء للدكتور محمد ابي النور الحديدى المطبوع سنة ١٣٩٩ هـ بمطبعة الأمانة بمصر ص ٦٣ ونقله عن الشهاب الخفاجي.

متعلق العصمة :

للعصمة متعلقات متعددة أهمها ثلاثة أمور وهي : ١ ـ العصمة من الكفر ٢ ـ العصمة من المعاصي ٣ ـ العصمة من الخطأ في التبليغ.

١- وأما عصمتهم من الكفر والكبائر من المعاصي فهو موضع اتفاق بين العلماء الا ما كان من المعاصي على سبيل السهو . وأما الصغائر من الذنوب على سبيل العمد فقد جوز وقوعها عنهم الجمهور، وأما سهوا فقد جوز الاكثرون وقوع الكبائر منهم ، وجوزوا وقوع الصغائر باتفاق . غيران الذى يميل اليه قلبي انهم معصومون من الصغائر والكبائر لأنهم قدوة للناس . وأما ما يقع على سبيل النسيان فليس من المعاصي لأنّ الله يعفو عن ذلك لخروجه عن طاقة الانسان (١) . وهذا كله في حال الانبياء بعد النبوة. وأما قبل النبوة فالمسألة خلافية ولا يتعلق بها أمر ذو فائدة . وانما يعنى الباحث النظر في حال الأنبياء وهم انبياء يقتدى بهم . واما قبل النبوة فهم ليسوا قدوة (٢) وليس هناك شرع توزن به اعمالهم قبل الوحي اللهم الا من كان مثل انبياء بني اسرائيل بعد موسى لوجود شريعة التوراة فيهم .

ويدخل تحت عصمتهم من المعاصي ،كل ما نهى الله عنه وزجر من كذب في التبليغ وسائر الأخبار كما يدخل تحت ذلك عصمتهم من الخيانة وهي كتمان ما أنزل الله عليهم لتبليغه للناس . وبهذا يتبين أن العصمة تشتمل على ثلاث صفات وهي :

١ ـ الصدق ٢ ـ التبليغ ٣ ـ الأمانة .

وتضاف الى هذه الصفات صفة رابعة وهي الفطانة .

وأما الصدق : فهو مطابقة الخبر والعمل للواقع ، وهو نوعان :

١ ـ الصدق في القول . ٢ ـ الصدق في العمل . أما الصدق في القول ، فيتناول ثلاثة أمور : الأمر الأول : الصدق في دعوى النبوة . والأمر الثاني : الصدق في التبليغ . والأمر الثالث : الصدق في سائر الأخبار .

---

(١) انظر المواقف للايجي ص ٣٥٨ - ٣٥٩

(٢)

وأما الصدق في العمل ،فهو ان يكون عمل الرسول مطابقا لما يدعو اليه من مكارم الأخلاق . بل سباقا الى ذلك بحيث يعمل بالطاعات على أحسن الوجوه وأفضلها . ويجتنب المعاصي وما يخل بالمروءة من الأعمال المباحة . ويشهد لهذا ما قاله رسول الله شعيب عليه السلام لقومه : " يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا ، وما أريد ان اخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب "(١) .

وأما التبليغ : فهو ايصال شرع الله تعالى المتضمن لأوامره ونواهيه ووعده ووعيده واخباره الى من أرسلوا اليهم بلا زيادة ولا نقصان ، ولو كان فيما يبلغونه ما يؤدى الى عتابهم ،أو يدعو الى ايذائهم وعقابهم ممن ارسلوا اليهم . ويشهد لهذا قول الله تعالى في حقهم :" الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله "(٢) .

وأما الأمانة : فهي تحمل الوحي الالهى وتبليغه للناس دون زيادة أو نقصان . أو هي ان يكون النبي أمينا على ما يوحى اليه من ربه . ويشهد لهذا قول الله تعالى في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم :" وما هو على الغيب بضنين "(٣) أي ليس ببخيل على الناس بما أوحى اليه ،بل يبذله لكل أحد ولا يسأل عليه أجرا ، وقرئ بالظاء المعجمة "بظنين " أي انه ليس بمتهم على ما أوحى اليه ،بل امين عليه يبلغه للناس كما أنزل عليه .

وأما الفطانة : فهي الذكاء وسرعة الادراك ، واليقظة الدائمة ،وقوة الحجة ، وفصاحة اللسان . ولا يمكن ان يتمكن رسول من تبليغ الرسالة الا اذا اكتملت فيه هذه الصفات . ليبين للناس ما أرسل به على خير وجه وليدحض ما يتمسك به أهل الضلال بعبارات جامعة مانعة ، ولهذا طلب موسى عليه السلام من ربه

---

(١) سورة هود ٨٨ (٢) سورة الاحزاب ٣٩ (٣) سورة التكوير ٢٤

أن يجعل أخاه هارون عليه السلام وزيرا له لأنه فصيح اللسان حيث قال : " وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني اني أخاف أن يكذبون "(١) . ودعا ربه عز وجل ان يزيل ما بلسانه من عقدة ليفقه من أرسل اليه قوله حيث قال :" رب اشرح لي صدري و يسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي "(٢) .

وما من نبي مرسل الا وقد اتصف بهذه الصفات الأربعة على اكمل وجه وأبلغ معنى اذ لو لم يكن كذلك لما أمكن أن تثبت الرسالات .

وهناك أمور يجوز ان يوصف بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ،وهي الصفات الجبلية التي جبل البشر عليها ، كالجوع والعطش والشبع والروي والنكاح والمرض الخفيف الذي لا ينفر ولا يفوت مصلحة الرسالة . وسائر الصفات البشرية التي لا منقصة فيها ولا تقدح في مكانتهم عليهم الصلاة والسلام .

قال أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي :" وأما الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فيجب في حقهم الصدق والأمانة و تبليغ ما أمروا بتبليغه للخلق . و يستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام أضداد هذه الصفات . وهي الكذب والخيانة بفعل شيء مما نهوا عنه نهي تحريم او كراهة ، أو كتمان شيء مما أمروا بتبليغه للخلق . ويجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام ما هو من الأعراض البشرية التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية ،كالمرض ونحوه "(٣) .

وبعد ، فهذه هي صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الواجبة لهم والممتنعة عليهم والجائزة في حقهم . وعلى ضوء تصورنا لهذه الصفات ننتقل الى استعراض موقف بني اسرائيل من الأنبياء من واقع نصوص أسفارهم وبالله التوفيق .

---

(١) سورة القصص ٣٤ (٢) سورة طه ٢٥-٢٨

(٣) شرح ام البراهين ص ٥٥ الطبعة الاولى بمطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٣٥٢هـ .

مكانة الأنبياء في الاسلام :

سبق أن بينا صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مما يجب لهم ، وما يجوز عليهم وما يمتنع في حقهم . وعلى ضوء ذلك نسير ونوضح هنا ما يجب لهم على الناس من حقوق .

وتتلخص تلك الحقوق في وجوب الايمان بأنهم أنبياء الله ورسله الصادقون المخلصون المعصومون من كل ما لا يليق بمنزلتهم الرفيعة ،أمروا بالخير كله ونهوا عن الشر فكانوا مخلصين لله تعالى في دينهم ، وناصحين لأممهم التي بعثوا فيها نصحا أمينا ،ولا يقبل من احد ايمان اذا لم يؤمن بهم جميعا ،لأنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بعثوا بعقيدة واحدة هى الاسلام ، وان اختلفت شرائعهم ومناهجهم في طرق العبادات والمعاملات وغير ذلك مما دون العقيدة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان . ولذلك كانت دعوة كل نبي : " يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره " . ومن كفر بأحد منهم فقد كفر بالجميع . وذلك لأمرين :

أحدهما : أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام بعثوا وبعضهم يصدق بعضا ، فمن آمن باحدهم وصدق بنبوته ، وجب عليه أن يؤمن بجميع الأنبياء ويصدق بهم تصديقا مجملا الافيما بلغه عن نبيه مفصلا فيؤمن به على الوجه الذى بلغه أى مفصلا . ومن كذب بأحدهم وكفر به فقد كذب جميع الأنبياء وكفر بهم لهذا السبب .

ثانيهما : ان اصول الدين من اركان الاسلام والايمان هي دعوة كل نبي من أولهم الى آخرهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ،فمن صدق بدعوة احدهم ، وجب عليه ان يصدق بدعوة الجميع تصديقا مجملا ، ومن كذب بذلك وكفر به ، فقد كفر بدعوة الجميع وكذب بها .

وكما يؤدى الكفر بأحدهم الى الكفر بجميعهم ، فانه يؤدى ايضا الى الكفر بالله تعالى الذى نبأهم ،فمن كذب بالنبى المنبأ ، فقد كفر بالمنبئ تبارك وتعالى .

ولخطورة هذا الأمر وعظم شأنه ، أمر الله تعالى المؤمنين في كتابه العزيز أن يكون ايمانهم بالله تعالى متبوعا بالايمان برسله جميعا ، ووعدهم على ذلك اجرا عظيما ، فقال تعالى : " .. فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم "(١) .

وحكم بالكفر على من ادعى أنه يؤمن بالله مع كفره ببعض أنبيائه وتوعده بالعذاب المهين ، فقال : " ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا "(٢) .

ثم أعقب ذلك بالثناء على من آمن بالله وبجميع رسله بلا تفريق بين أحد منهم فقال : " والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما "(٣) .

وقال تعالى : " آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير "(٤) .

والأنبياء عليهم السلام - وان اشتركوا جميعا في فضل النبوة - فان الله تعالى فضل بعضهم على بعض وليسوا في درجة واحدة لقول الله تبارك وتعالى : " ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا "(٥) .

وكذلك الرسل عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى : " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس "(٦) .

---

(١) سورة آل عمران ١٧٩ (٢) سورة النساء ١٥٠-١٥١
(٣) سورة النساء ١٥٢ (٤) سورة البقرة ٢٨٥
(٥) سورة الاسراء ٥٥ (٦) سورة البقرة ٢٥٣

ولقد قص الله علينا اسماء خمسة وعشرين من الأنبياء وهم :

١ - آدم	٢ - ادريس	٣ - نوح	٤ - هود
٥ - صالح	٦ - ابراهيم	٧ - لوط	٨ - اسماعيل
٩ - اسحاق	١٠- يعقوب	١١- يوسف	١٢ - أيوب
١٣ - شعيب	١٤ - موسى	١٥ - هارون	١٦ - اليسع
١٧ - ذو الكفل	١٨ - داود	١٩ - سليمان	٢٠ - الياس
٢١ - يونس	٢٢ - زكريا	٢٣ يحيى	٢٤ - عيسى

٢٥ - محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين .

هؤلاء الأنبياء يجب الايمان بهم على وجه التعيين . وأما غيرهم من الانبياء الذين لم يقصصهم الله علينا في كتابه فيكفي أن نؤمن بهم ايمانا مجملا أى نؤمن بأن الله بعث غير هؤلاء من الأنبياء عددا كثيرا لقوله تعالى : " ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك "(١) . وقوله تعالى : " ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك "(٢) .

ولم يرد في القرآن الكريم ذكر العدد الاجمالي لأنبياء الله ورسله . ولكن السنة النبوية بينت ذلك . قال الامام الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى : " ووقع في ذكر عدد الأنبياء حديث ابي ذر مرفوعا " انهم مائة الف وأربعة وعشرون الفا ، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر " صححه ابن حبان "(٣) .

وأفضل من ذكرنا منهم خمسة ، وهم معروفون بانهم أولو العزم من الرسل ، أى اصحاب الصبر والثبات في مواجهة الشدائد وهم : ١ - نوح ٢ - ابراهيم ٣ - موسى ٤ - عيسى ٥ - محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم . وقد جمعهم قول الله تعالى : " واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى واخذنا منهم ميثاقا غليظا "(٤) .

---

(١) سورة النساء ١٦٤ (٢) سورة غافر ٧٨

(٣) فتح الباري مقدمة كتاب الأنبياء ج٦ (٤) سورة الأحزاب ٧

وما ينبغي التنبيه عليه هنا ان بعض الكتاب من المسلمين سمحوا لأقلامهم ان تكتب ما لا يتفق مع العقيدة الاسلامية في الأنبياء ، حيث دفعتهم نظرتهم الى جرائم اليهود في أرض فلسطين وما جاورها من البلاد الاسلامية في هذا القرن الى أن يطعنوا في بعض الأنبياء من بني اسرائيل ولم يعلموا ان ذلك أمر خطير جدا . وتأكيدا لما ذكرته أنقل للقارئ الكريم نص ما قاله محمد على الزعبي تحت عنوان : (يوسف طليعة المحتكرين) قال : " وهكذا نرى اسرائيل منذ نجلته يوسف ، يستطيع تمثيل دور احتكار ، ويقوم قدوة لأحفاده الذين اتخذوه أسوة ، واتخذوا من سيرته نموذجا ، ونفذوا توجيه اله اسرائيل الذي يرى ذهب العالم وفضته ومواشيه و أرضه ورقابه ملكا له . وقد وهبه لابنه البكر وشعبه المختار ، وأمرهم باسترجاعه واصطياده ولو اختلفت الوسائل وتعددت الشباك . ذلك لأن نيل الغاية !! يبرر حقارة الواسطة ، ودناءة الوسيلة " (١) .

ولقد ذكر الله اسرائيل وابنه يوسف في جملة من الأنبياء الصالحين ، وأثنى عليهم ثناء عظيما ، ثم أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقتدى بهداهم قائلا : " أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده " (٢) . فدل هذا على ان من كان له هذان النبيان قدوة ، فقد هدى الى صراط مستقيم ، وأما المحتكرون من بني اسرائيل فهم أبعد الناس عن الاقتداء بهما . فكيف يعتبر هذا الكاتب ان اسرائيل ويوسف مثلا دور احتكار فصارا قدوة لمن جاء بعدهما ؟!

ومثل هذا ما فعله المقدم أمين سامي الغمراوي حيث صرح بعدم تصديقه ما ورد في الرواية اليهودية من ان موسى عليه السلام القى الألواح غاضبا مما وقع فيه قومه من الكفر بعده بعبادة العجل ، مع أن ذلك ثابت في القرآن الكريم .

---

(١) دفائن النفسية اليهودية ص ٢٤ (٢) سورة الأنعام ٩٠

قال الكاتب المذكور :

" واننى لا يمكن أن اصدق أن موسى رمى بلوحى الشهادة في لحظة غضبه على بنى اسرائيل وهو الذى تلقاها من عند الله "(١) .

وهذا وأمثاله مما ينكره الاسلام أشد الانكار ، بل ان انكار ما ثبت في القرآن الكريم كفر صريح يخرج صاحبه من ملة الاسلام. والعياذ بالله تعالى .

ان ما فعله اليهود بالمسلمين قديما ، وما يفعلونه بهم في عصرنا هذا من جرائم لا تقرها شرائع الانبياء ، ينبغى أن لا يخرجنا عن الصواب حتى نقع في شباك ابليس ونكون مثلهم والعياذ بالله . وعندها تكون الخسارة أفدح وأعظم . فان خسارة العقيدة الالهية الصحيحة لا تقاس بها خسارة الأرض التى تفنى ويفنى ما عليها . فكراهيتنا لليهود وأخلاقهم الخبيثة وسلوكهم المنحرف ، ينبغى أن لا تثيرنا و تجرنا الى عدم الانصاف والعدل في القول والعمل عملا بقول الله تعالى :" ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون "(٢) .

فيوسف عليه السلام حينما طلب من ملك مصر أن يجعله على خزائن الأرض، لم يكن منه ذلك للاحتكار ، وانما كان للحرص على المحافظة على بقاء مستوى المعيشة في مصر في يسر وسهولة في سنوات المجاعة المقبلة ، حتى يجتاز الناس تلك السنوات العجاف في طمأنينة ورخاء . وكان مؤهل يوسف في ذلك خير مؤهل وهو الأمانة والعلم ، ولقد علم الملك بأمانته ومكانته حينما كلمه فقال له : " انك اليوم لدينا مكين أمين "(٣) . ولأجل تلك الأمانة التي أنعم الله بها عليه والعلم الذى خصه الله به ، طلب يوسف عليه السلام من الملك ان يوليه على خزائن الأرض فقال :" اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم"(٤)

---

(١) كتاب : لهذا أكره اسرائيل ٣٤ طبعة اولى سنة ١٩٦٤م

(٢) سورة المائدة ٨

(٣) سورة يوسف ٥٤

(٤) سورة يوسف ٥٥

فقام يوسف بتلك المهمة خير قيام ،فعبر المصريون بسبب ذلك فترة المجاعة الى فترة الرخاء . ولولا ما قام به يوسف من نصح للملك وتدبير حسن لشؤون المؤن على خير وجه ، لكانت سنوات المجاعة قد قضت على المصريين وغيرهم. فكيف يظن من في قلبه ايمان ان من ائتمنه الله على وحيه وشريعته ،لم يكن أمينا على الطعام ؟ .

وأما القاء موسى الألواح في حالة الغضب ، فقد قصه الله علينا في كتابه العزيز بقوله : " ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا ، قال بئسما خلفتموني من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه" الآية (١).

وهو أمر وقع من موسى غضبا لله تعالى ، وغيرة على دينه ، وحماية لأمته من الكفر والزيغ . فكيف يستسيغ من في قلبه ذرة من ايمان ان يقول جهرا : " واننى لا يمكن أن اصدق أن موسى رمى لوحى الشهادة في لحظة غضبه على بنى اسرائيل ..." بمجرد ان ذلك ورد في أسفار اليهود ؟! وقد علمنا موقف الاسلام من كتب اليهود في المبحث الأخير من الفصل الأول من الباب الأول ، وهو موقف يعصم المرء من زلة الأقلام التى تؤدى الى زلة الأقدام فليتأمل .

---

(١) سورة الاعراف ١٥١

المبحث الثالث

بيان موقف بنى اسرائيل من الأنبياء على وجه الاجمال

الموقف الاجمالي من أنبياء الله تعالى الذى وقفه بنو اسرائيل في تاريخهم الطويل وشهدت به عليهم أسفارهم ، أنهم لا يراعون لأنبياء الله حرمة ولا يعتقدون فيهم العصمة . بل كانوا يكفرون بهم ويؤذونهم ويرمونهم بعظائم الأمور من الصفات القبيحة ،والخصال الشنيعة ، ولم يقتصروا على الايذاء والتكذيب والتجريح ، بل اعتدوا على عدد كثير من أنبياء الله بالقتل غير مبالين بغضب الله وسخطه .

هذا ما ذكرته أسفارهم ، وبينه لنا ألقرآن الكريم وشهدت به عليهم أناجيل النصارى . وايضاحا لهذا الموقف نستعرض النصوص اليهودية ثم المسيحية ،ثم الآيات القرآنية الدالة على ايذائهم الأنبياء وكفرهم بهم وقتل عديد منهم .

١ - من الأسفار اليهودية :

أما الأسفار اليهودية فقد ذكرت كفر بنى اسرائيل ومقاومتهم للأنبياء ومطاردتهم لهم في كل مكان انتصارا لعبادة الأوثان التى اصبحت الجماعات الاسرائيلية لا تنفك عنها منذ عهد موسى عليه السلام ،وحتى أخذوا أسرى الى بلاد أشور . فأكثر ما وقع من قتل الأنبياء كان في عهد الملك أخاب بن عمرى ملك يهوذا الذى توغل في عبادة الأصنام وتشييدها اكثرمن سبقه من ملوك يهوذا ، والذى تزوج امرأة تدعى ايزابل بنت ملك الصيدونيين التي قامت بقتل عديد من أنبياء الله كما جاء ذلك في سفر الملوك الأول في قوله :

" وكان حينما قطعت ايزابل أنبياء الرب أن عوبديا أخذ مائة نبي وخبأهم خمسين رجلا في مغارة ،وعالهم بخبز وماء "(١) .

---

(١) الملوك الأول ١٨ : ٤

ونسب هذا السفر أيضا الى عوبديا أنه قال لايليا وهو النبي الياس عليه السلام : " ألم يخبر سيدى بما فعلت حين قتلت ايزابل أنبياء الرب اذ خبأت من أنبياء الرب مائة رجل ، خمسين ، خمسين رجلا في مغارة وعلتهم بخبز وماء " (١) .

وجاء في سفر أرميا أن الرب قال لبنى اسرائيل على لسان ارميا :
" فمن اليوم الذى خرج فيه آباؤكم من أرض مصر الى هذا اليوم أرسلت اليكم كل عبيدى الأنبياء مبكرا كل يوم ومرسلا ، فلم يسمعوا لى ولم يميلوا أذنهم بل صلبوا رقابهم ، أساءوا أكثر من آبائهم " (٢) .

وجاء في سفر الملوك الثاني أن النبي اليشع أرسل احد ابناء الأنبياء الى ياهو بن يهوشافاط ليمسحه ملكا على يهوذا عوضا عن يهورام بن أخاب الذى ورث عن أبيه عبادة الأوثان ، واصبحت أمه ساعده الأيمن في ذلك :
" هكذا قال الرب اله اسرائيل قد مسحتك ملكا على شعب الرب اسرائيل فتضرب بيت أخاب سيدك وانتقم لدماء عبيدى الأنبياء ودماء جميع عبيد الرب من يد ايزابل " (٣) .

٢ - <u>من أناجيل النصارى :</u>

وأما أناجيل النصارى فقد نسبت الى المسيح ابن مريم عليه السلام أنه خاطب اليهود وعنفهم وذكرهم بمواقفهم السيئة من رسل الله الأطهار ، كما خاطب مدينة أورشليم ووصفها بأنها قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين . وهذا يؤكد اضطهاد اليهود لأنبياء الله وقتلهم بغير حق . جاء ذلك في انجيل متى (٤)

---

(١) الملوك الاول ١٨ : ١٣ (٢) ارميا ٧ : ٢٥-٢٦ (٣) الملوك الثاني ٩ : ٦-٧

(٤) متى : أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر كان من جباة الضرائب للرومان وعرف بمتى العشار فلحق بالمسيح وكان من تلاميذه المقربين وبعد رفع المسيح قام بالتبشير في بلاد كثيرة . ثم توفي بالحبشة - على ما يقال - سنة ٧٠ م على أثر ضرب مبرح تعرض له من أحد اعوان ملك الحبشة وقيل أنه طعن برمح سنة ٦٢ م بعد ان أقام بها نحو ثلاث وعشرين سنة وبه سمى السفر لأنه هو الذى كتبه . انظر محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبي زهرة ص ٤٦ الطبعة الرابعة بدار الفكر العربي سنة ١٣٩٢ هـ ١٨١-١٨٢ .

حيث قال : " ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ،لأنكم تبنون قبور الانبياء وتزينون مدافن الصديقين وتقولون : لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء . فاملأوا أنتم مكيال أبائكم . أيها الحيات أولاد الافاعي كيف تهربون من دينونة جهنم . لذلك ها أنا ارسل اليكم أنبياء و حكماء وكتبة فمنهم تقتلون و تصلبون و منهم تجلدون في مجامعكم و تطردون من مدينة الى مدينة لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح . يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين ..."(١) .

وجاء في انجيل مرقس (٢) أن المسيح عليه السلام ضرب لليهود مثلا يدل على ايذائهم وقتلهم للانبياء حيث قال :" انسان غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر حوض معصرة وبنى برجا وسلمه الى كرامين وسافر ثم أرسل الى الكرامين في الوقت عبدا ليأخذ من الكرامين من ثمر الكرم . فأخذوه وجلدوه وأرسلوه فارغا ثم أرسل اليهم عبدا آخر. فرجموه وشجوه وأرسلوه مهانا . ثم أرسل أيضا آخر فقتلوه ثم آخرين كثيرين فجلدوا بعضا وقتلوا بعضا . فاذا كان له أيضا ابن واحد حبيب اليه أرسله ايضا اليهم اخيرا قائلا : انهم يهابون ابنى . ولكن أولئك الكرامين قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله فيكون لنا الميراث فأخذوه وقتلوه . وأخرجوه خارج الكرم فماذا يفعل صاحب الكرم ؟ يأتى ويهلك الكرامين ويعطى الكرم الى آخرين . أما قرأتم هذا المكتوب(٣) ؟ : الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا"(٤) .

---

(١) متى ٢٣ : ٢٧ - ٣٩

(٢) مرقس ليس من الحواريين الاثنى عشر ولكنه تلميذ بطرس الحوارى ، وأحد السبعين الذين قيل ان المسيح أرسلهم للتعليم والتبشير . وفي نسبة هذا الانجيل اليه خلاف ليس هذا موضع بحثه . انظر مقارنة الأديان ص ١٨١ - ١٨٢

(٣) المراد بالمكتوب ما جاء فى سفر المزامير وهو قوله " الحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا" مزامير ١١٨ : ٢٢ - ٢٣

(٤) انجيل مرقس ١٢ : ١ - ١٢

وفي هذا دليل واضح على أن بني اسرائيل آذوا انبياء الله واعتدوا عليهم . فريقا كذبوا وفريقا جلدوا وفريقا رجموا وفريقا قتلوا حتى سخط الله عليهم وأقام أمة أخرى مقامهم وأرسل فيهم رسولا ختم به النبوات . وهو المعنى بالحجر الذى صار رأس الزاوية . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضرب مثلا لذلك فيما رواه جابر بن عبدالله وأبو هريرة واللفظ له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين "(١) .

وفي هذا شهادة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وختم الرسالة به . والنص المسيحى شاهد على اليهود والنصارى بأنهم كفروا بنبى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ،لأنهم يحملون الى يومنا هذا هذه النصوص وأمثالها . وهى تنادى بانتقال النبوة من بنى اسرائيل الى أمة أخرى . وختام النبوة بذلك النبي الذى يكون رأس الزاوية كما هو في كتبهم ، وهو اللبنة التى ختم بها بناء النبوة كما جاء ذلك عن صاحب الرسالة الخاتمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي انجيل لوقا (٢) ورد هذا النص أيضا باختلاف في الألفاظ دون المعانى وجاء في آخره قوله : " فماذا يفعل بهم صاحب الكرم؟ يأتى ويهلك

---

(١) أخرجه البخارى في كتاب المناقب باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم.

(٢) لوقا لم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ تلاميذه باتفاق ولكنه تلميذ بولس الملقب عند النصارى ببولس الرسول الذى أسس المسيحية على شكلها الوثنى الحالي مدعيا انه تلقى تعاليمه من الروح القدس وذلك بعد رفع المسيح عليه السلام . انظر محاضرات في النصرانية ص ٥٢ - ٥٤ والمسيحية للدكتور احمد شلبى ص ٧٧.

هولاء الكرامين ويعطى الكرم لاخرين . فلما سمعوا قالوا حاشا . فنظر اليهم وقال : اذا ما هو هذا المكتوب : الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . كل من يسقط على ذلك الحجر يترضض . ومن سقط هو عليه يسحقه "(١) .

وهذا هو الذى وقع لمن ناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم العداء من اليهود وغيرهم ، فانهم ترضضوا وسحقوا على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الأبطال بما كفروا وحاربوا الله ورسوله وهم على يقين من صدقه صلى الله عليه وسلم .

وفي موضع آخر من انجيل لوقا جاء أن بعض الفريسيين نصح المسيح عليه السلام أن يذهب من المكان الذى يعلم فيه خارج أورشليم لأنّ الحاكم الروماني هيرودس يريد أن يقتله ، فقال المسيح عليه السلام : "امضوا وقولوا لهذا الثعلب ها أنا اخرج شياطين وأشفى اليوم وغدا وفي اليوم الثالث أكمل . بل ينبغى أن أسير اليوم وغدا وما يليه لأنه لا يمكن ان يهلك نبى خارجا عن أورشليم . يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين "(٢) .

وهذا النص يدل أيضا على ان بنى اسرائيل قد قتلوا الأنبياء ورجموهم في مدينة أورشليم التي أسند اليها قتل الأنبياء ورجم المرسلين لكثرة ما أريق فيها من دمائهم الزكية .

٣ - من القرآن الكريم :

وأما القرآن الكريم فقد ذكر ان بنى اسرائيل كانوا يكفرون بأنبياء الله ويقتلونهم . فقد جاء ذلك في تسعة مواضع من سوره . وهذا بيانها :

---

(١) لوقا ٢٠ : ١٥ - ١٨

(٢) لوقا ١٣ : ٣٢ - ٣٤

١ - " ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق " (١)

٢ - " أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون " (٢) .

٣ - " قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين " (٣) .

٤ - " ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم " (٤) .

٥ - " ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله و يقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " (٥) .

٦ - " لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق " (٦)

٧ - " قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين " (٧) .

٨ - " فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق " (٨) .

أى ان الله تعالى عذبهم بسبب نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل أنبيائه عليهم السلام .

٩ - " لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون " (٩) .

---

(١) سورة البقرة ٦١
(٢) سورة البقرة ٨٧
(٣) سورة البقرة ٩١
(٤) سورة آل عمران ٢١
(٥) سورة آل عمران ١١٢
(٦) سورة آل عمران ١٨٨
(٧) سورة آل عمران ١٨٣
(٨) سورة النساء ١٥٥
(٩) سورة المائدة ٧٠

قال ابن القيم رحمه الله : " ومن تلاعبه (أى الشيطان) بهم أيضا : أنهم كانوا يقتلون الأنبياء الذى لا تنال الهداية الا على أيديهم ... وهذا من أعظم تلاعب الشيطان بالانسان : ان يقتل أو يقاتل من هداه على يديه " (١) .

ان القرآن الكريم لم يسم احدا من الأنبياء الذين قتلهم اليهود ، ولكنه ذكر قتلهم للنبيين فقط ، كما هو واضح من الآيات التي سبق عرضها . وكذلك الاناجيل لم تذكر على وجه التعيين من قتله اليهود من الأنبياء الا زكريا بن برخيا ويوحنا المعمدان وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام (٢) .

---

(١) اغاثة اللهفان جـ٢ ص ٣١٩ - الطبعة الثانية بدار المعرفة في بيروت سنة ١٣٩٥هـ

(٢) انظرمتى ٢٣ : ٣٥ و ١٤ : ٣ - ١٢

المبحث الرابع

بيان أسماء بعض الأنبياء الذين قتلهم بنو اسرائيل

١ - أشعيا :

كان أشعيا أحد انبياء بنى اسرائيل الذين بعثوا فيهم بعد موسى . فقد كان يوبخ قومه على معاصيهم المتزايدة فكان ذلك سببا لقتله .

قال زكي شنودة : " وقد ورد في تاريخ اليهود أن منسى قتل اشعياء بأن نشره بمنشار من خشب" (١) وجاء في السنن القويم : "أن اشعياء قتل منشورا شطرين بأمر منسى الملك الذى تمرغ في حمأة الفواحش لأنه بكته بعنف على شره "(٢) .

وقال متى بهنام : " وقد ذكر في تقاليد التلموديين وغيرهم من آباء اليهود انه بقي يتنبأ الى أيام منسى الملك ،وأنه قتل نشرا بأمر ذلك الملك في أيام شره "(٣) .

٢ - أوريا بن شمعيا :

وقال سفر ارميا : " وقد كان رجل ايضا يتنبأ باسم الرب أوريا بن شمعيا من قرية يعاريم ،فتنبأ على هذه المدينة وعلى هذه الأرض بكل كلام ارميا . ولما سمع الملك يهوياقيم وكل ابطاله وكل الروءساء كلامه طلب الملك أن يقتله . فلما سمع أوريا خاف وهرب وأتى الى مصر . فأرسل الملك يهوياقيم أناسا الى مصر ، الناثان بن عكبور ورجالا معه الى مصر ، فأخرجوا أوريا من مصر ، وأتوا به الى الملك يهوياقيم ، فضربه بالسيف وطرح جثته في قبور بنى الشعب "(٤) .

---

(١) موسوعة تاريخ الاقباط والمسيحية جـ٧ ص ١٢٩ .

(٢) السنن القويم جـ٨ ص ٦

(٣) مفاتيح كنوز الاسفار جـ٢ ص ٢٢٥

(٤) ارميا ٢٦ : ٢٠-٢٣

٣ - **حزقيال :**

قال زكى شنودة : " وقد ظل حزقيال يوبخ اليهود الذين في السبى ... وينذرهم ويحذرهم ، ويدعوهم الى التوبة ثلاثين سنة . ومن ثم حنقوا عليه وقتلوه "(١) .

٤ - **زكريا بن يهوياداع :**

وقال زكى شنودة : " فعاد الملك واليهود جميعا بعد موته (أى يهوياداع ، الى عبادة الاصنام ، فقام زكريا بن يهوياداع ليوبخهم على ذلك . فأمر الملك بقتله مع أنه ابن الرجل الذى كان صاحب الفضل عليه اذ أجلسه على العرش وكان بمثابة معلمه وأبيه ، فرجم اليهود زكريا بالحجارة داخل الهيكل فمات "(٢) .

وجاء الحديث عن قتل زكريا في سفر اخبار الايام الثاني حيث قال :

" ولبس روح الله زكريا بن يهوياداع الكاهن فوقف فوق الشعب وقال لهم : هكذا يقول الله : لماذا تتعدون وصايا الرب فلا تفلحون ، لأنكم تركتم الرب قد تركَكم . ففتنوا عليه ورجموه بحجارة بأمر الملك في دار بيت الرب . ولم يذكر يوآش الملك المعروف الذى عمله يهوياداع أبوه معه بل قتل ابنه . وعند موته قال : الرب ينظر ويطالب "(٣) .

وجاء في انجيل متى عندما وبخ المسيح فرقة الفريسيين من اليهود أنهم قتلوا زكريا بين الهيكل والمذبح وذلك حيث قال : " ... لكي يأتى عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح "(٤) .

---

(١) موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية جـ٨ ص ١٤٢

(٢) موسوعة تاريخ الأقباط جـ٨ ص ١١٦

(٣) اخبار الايام الثانى ٢٤ : ٢٠-٢٢

(٤) متى ٢٣ : ٣٥

وبالمقارنة بين ما جاء في سفر اخبار الايام الثاني من العهد القديم وما جاء في انجيل متى من العهد الجديد نجد ان اسم والد زكريا في سفر الأخبار يهوياداع ، وفي انجيل متى برخيا ، ومن الصعب التوفيق بين النصين الا ان يكون لوالد زكريا اسمان عرف بهما . ومما يدل على أن زكريا بن برخيا هو نفس زكريا بن يهوياداع هو أن يهوياداع قتل في بيت الرب على ما جاء في الروايتين . وفي السنن القويم قال : " والأرجح ان القول "ابن برخيا" في متى ... ليس بالأصل بل هو زيادة تفسيرية من ناسخ "(١) .

وفي موضع آخر من السنن القويم قال وهو يتحدث عن عظم جرم قاتل زكريا : " وكانت خطيئته اعظم لأن زكريا كان ابن يهوياداع (أو حفيده) الذى كان قد حفظه من الموت في طفوليته ورباه كاب حنون وجعله ملكا وكان مشيرا له أكثر حياته "(٢) ، وزكريا هذا هو صاحب السفر المسمى باسمه في العهد القديم وان كان المحققون من مفسرى الأسفار يرون أن كاتبه غير زكريا بل كان بعد زمانه (٣) .

٥ - ارمياء :

قال حبيب سعيد : " وكانت حياة ارمياء استشهادا طويلا فلم يكن العبء ثقيلا الى حد يحطم أقوى الأرواح فحسب ، ولم يكن مضطرا الى ان يقف بمفرده فقط ، بل كان هدفا لاضطهاد مر ، قاس ، وكانت حياته في خطر مستمر . وحاول جيرانه في عناثوت أن يقتلوه " فكروا عليه أفكارا قائلين : لتهلك الشجرة بثمرها ونقطعه من أرض الاحياء ، فلا يذكر بعد اسمه " (١١ : ١٩) ... ومرة ضربه رئيس كهنة الهيكل ووضعه في المقطرة ، لأنه (كما زعم) دنس الهيكل بنذر الشر التى كان ينادى بها (٢٠ : ١)

---

(١) السنن القويم جـ٥ ص ٦١ (٢) انظر السنن القويم جـ١٢ ص ١٤٥

(٣) الأنبياء الأقدمون يتكلمون ص ١١٣ - ١١٤ طبع بالمطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة . وانظر ارميا تاريخ شعب العهد القديم ص ٢٧٦ - ٢٩٩ .

تصايح الكهنة والأنبياء ... يطلبون حياته لأنه تنبأ عن خراب المدينة والهيكل ،وقد حاول يهوياقيم الملك ان يقبض عليه ... وكاد يلقى مصير ذلك النبي الآخر المدعو "أوريا" الذى تنبأ بما تنبأ به ارمياء ، فأثار سخط الملك . ومع انه هرب الى مصر ، فقد قبض عليه هناك وجيء به ليقطع رأسه بالسيف ، وتلقى جثته باحتقار في قبور عامة الشعب (٢٦ : ٢٠) ولم يكن لحياة النبي كرامة في ذلك العصر الذى ساده الفساد والالحاد والفجور" (١)

ومع أن هذا النبي لاقى من الشدة من قومه ما يطول ذكره ، فانه لم يمت على أيديهم لأن الله تعالى حماه ونجاه من ان يموت بأيديهم كما جاء ذلك في قوله : " وأجعلك لهذا الشعب سور نحاس حصينا فيحاربونك ولا يقدرون عليك لأني معك لأخلصك وأنقذك يقول الرب . فأنقذك من يد الأشرار وأفديك من كف العتاة " (٢) .

٦ - يوحنا المعمدان أو يحيى بن زكريا عليهما السلام :

ومن قتله بنو اسرائيل من أنبياء الله الكرام يحيى بن زكريا عليهما السلام وهو المعروف عند اهل الكتاب باسم يوحنا المعمدان . جاء ذكر قتله في العهد الجديد في انجيلى متى ومرقس على يد هيرودس رئيس الربع . وذلك بتحريض من امرأة اخيه المدعوة هيروديا التي أراد ان يتزوجها هيرودس فنهاه يوحنا عن ذلك فقبض عليه وسجنه . وفي عيد ميلاد هيرودس قامت ابنة هذه المرأة بالرقص امامه فسره ذلك كثيرا فوعدها أنه ينفذ لها ما تطلب منه مهما كان . فطلبت منه رأس يوحنا بتحريض من أمها هيروديا ، وبعد تردد وتخوف من تحقيق رغبتها أرسل زبانيته ، فقطعوا رأسه ،وأتوا به على

---

(١) الانبياء الاقدمون يتكلمون ص ١١٣-١١٤ طبع بالمطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة . وانظر ارميا في تاريخ شعب العهد القديم ص ٢٧٦ - ٢٩٩

(٢) ارمياء ١٥ : ٢٠ - ٢١

طبق في المحفل ثم دفعوا لها رأسه فذهبت به الى أمها . وهذا نص كلام متى في ذلك : " فان هيرودس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه في سجن من اجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه . لأنّ يوحنا كان يقول له : لا يحل ان تكون لك . ولما أراد ان يقتله خاف من الشعب . لأنه كان عندهم مثل نبي . ثم لما صار مولد هيرودس رقصت ابنة هيروديا في الوسط فسرت هيرودس . من ثم وعد بقسم أنه مهما طلبت يعطيها . فهي اذ كانت قد تلقنت من أمها قالت : أعطني ههنا على طبق رأس يوحنا المعمدان . فاغتم الملك ولكن من اجل الاقسام والمتكئين معه امران يعطى . فأرسل وقطع رأس يوحنا في السجن . فأحضر رأسه على طبق ودفع الى الصبية فجاءت به الى أمها . فتقدم تلاميذه ورفعوا الجسد ودفنوه ثم أتوا وأخبروا يسوع (١) .

هكذا كان الاعتداء على هذا النبي الكريم في حياته ومماته ، سجنوه مكبلا لأنه نهى عن المنكر ثم ذبحوه كما تنحر الشاة ، ثم قدموا رأسه الطاهر لتلك المرأة الفاجرة ، وكأنه رأس شاة يهدى لمن يأكله . وهذه غاية القسوة ونهاية الشقوة .

وجاء هذا النص في انجيل مرقس بعبارة أوضح وأدل على تدبير هيروديا قتل ذلك النبي الكريم حيث قال : "لأنّ هيرودس نفسه كان قد أرسل وأمسك يوحنا وأوثقه في السجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه اذ كان قد تزوج بها . لأنّ يوحنا كان يقول لهيرودس : لا يحل ان تكون لك امرأة أخيك فحنقت هيروديا عليه وأرادت ان تقتله ولم تقدر لأنّ هيرودس كان يهاب يوحنا عالما انه رجل بار وقديس وكان يحفظه . واذ سمعه فعل كثيرا وسمعه بسرور ، واذ كان يوم موافق لما صنع هيرودس في مولده عشاء لعظمائه وقواد الألوف ووجوه الجليل دخلت

---

(١) متى ١٤ : ٣ - ١٢

ابنة هيروديا ورقصت ،فسرت هيرودس والمتكئين معه . فقال الملك للصبية : مهما أردت اطلبى منى فأعطيك وأقسم لها ان مهما طلبت منك لأعطينك حتى نصف مملكتى فخرجت وقالت لأمها ماذا أطلب ؟ فقالت : رأس يوحنا المعمدان . فدخلت للوقت بسرعة الى الملك وطلبت قائلة : أريد ان تعطينى حالا رأس يوحنا المعمدان على طبق ، فحزن الملك جدا ، ولأجل الاقسام والمتكئين لم يرد ان يردها ، فللوقت أرسل الملك سيافا وأمر ان يؤتى برأسه ،فمضى وقطع رأسه في السجن وأتى برأسه على طبق وأعطاه للصبية والصبية أعطته لأمها . ولما سمع تلاميذه جاءوا ورفعوا جثته ، ووضعوها في قبر" (١)

---

(١) مرقس ٦ : ١٧ - ٢٩

الفصل الثانـــي

بيان موقفهم ممن قبلهم من الأنبيـــاء عليهم الســـلام

وفيه

تمهيد و أربعة مباحــــــــث :

- المبحث الأول : بيان موقفهم من نوح عليه السـلام ودعوته .
- المبحث الثاني : موقفهم من ابراهيم عليه السلام ودعوتـه .
- المبحث الثالث : موقفهم من اسماعيل عليه السلام.
- المبحث الرابع : موقفهم من لوط عليه السلا م .

*

تمهيد :

الاعتناء بالأنبياء وقصصهم والايمان بهم أو الكفر بهم لم يكن من أجل نسبهم او حسبهم اوغناهم أو فقرهم ، وانما كان من أجل تلك النعمة الجليلة التى أنعم الله بها عليهم وعلى أتباعهم باحسان . وهى الأمانة التى حملوها ، والدعوة التى بلغوها الى الناس ليخرجوهم باذن الله من الظلمات الى النور ، وهم جميعا يأخذون من مشكاة واحدة . لذلك وجب على من آمن بأحدهم واتبعه ان يوءمن بجميعهم على وجه الاجمال بلا تفريق بين أحد منهم لأنّ النبوة والنصح للناس والتفانى في طاعة الله والحرص على ما ينفع أممهم ، جمعت بينهم جميعا وأن كانوا في عصور متعاقبة وأمم مختلفة . ويعتبر الكفر بواحد منهم كفرا بجميعهم . ولهذا الترابط الوثيق بين دعوات الأنبياء ، قص الله تعالى علينا من قصصهم ما يدعو الى العبر ، و يثبت القلوب على تحمل الأذى في سبيل دعوة الحق . فالقرآن الكريم قص علينا كثيرا من قصص الأنبياء ، وذلك فيما يختص بشوءون الدعوة ومواضع العبر ، ولم يتعرض لحياتهم الخاصة المنفصلة عن الدعوة ، كالنسب ، والمال ، والزواج ، والرحلات ، وغير ذلك . لأنّ هذه الأمور لا فائدة من ذكرها ، وهى أمور يشترك فيها الانبياء مع غيرهم من البشر . هذا ما تركه القرآن وذلك ما ذكره .

وأما الاسفار اليهودية فقد اهتمت من قصص الأنبياء بالأمور المادية فحسب ، فذكرت الأسماء والأنساب والأعمار والرحلات والأملاك ذكرا تفصيليا يخرجها من أن تكون على ما هي عليه كتب هداية أوحى الله بها الى الأنبياء ، الى ان تعتبر أسفار تاريخ مادى فقط . اللهم الا ما يوجد في تلك الأسفار المنسوبة الى بعض الأنبياء والمعروفة

بالأنبياء الصغار (١) من مواعظ ونصائح . أضف الى ذلك بعض الأنبياء الكبار مثل أشعياء وارمياء وحزقيال . ولننظر فيما يأتي من الفصول الى اهتمام بني اسرائيل وحرصهم الشديد على الحياة الدنيا . واغفالهم ما يختص بالجانب الديني في معظم أسفارهم في عرض قصص الأنبياء ، اضافة الى المواقف الخاصة من كل من سيأتي ذكرهم من الأنبياء عليهم السلام . وقد سبق أن بينا انهم لا ينظرون الى الانبياء نظرة احترام ولا يعتبرونهم معصومين عن الوقوع في الكبائر وسيتجلى لنا ذلك فيما يأتي :

*

المبحث الأول

موقفهم من نوح عليه السلام ودعوته

جاء الحديث اليهودى عن نوح عليه السلام في أول سفر من اسفار العهد القديم ، وهو سفر التكوين المنسوب الى موسى عليه السلام . واستغرق الحديث عنه جزءاً يسيرا من الاصحاح الخامس ثم الاصحاحات الأربعة التي تليه . وقد تناول الكاتب خلال تلك الاصحاحات ولادة نوح وبنيه ، وصلاحه ، وفساد قومه ، وبناءه الفلك بأمر ربه ، ونجاته من الطوفان الذى أهلك قومه ومعه امرأته وبنوه ونساؤهم . الى غير ذلك على النحو التالى :

---

(١) الاسفار المعروفة بالانبياء الصغار عددها اثنا عشر سفراً ووصفت بالصغار نظرا لصغر حجمها لا لعدم اهميتها كما سبق توضيحه في الباب الأول .

انظر السنن القويم جـ ١٢ ص ١ وتاريخ شعب العهد القديم ص ٢٤٢ .

أولا - صلاح نوح عليه السلام:

١ جاء الحديث عن صلاح نوح عليه السلام في المواضع التالية من سفر التكوين :

١ - " وأما نوح ، فوجد نعمة في عيني الرب "(١) .

٢ - " كان نوح بارا كاملا في أجياله وسار نوح مع الله "(٢) .

٣ - " وقال الرب لنوح : ادخل أنت وجميع بيتك الى الفلك لأني اياك رأيت بارا لدى في هذا الجيل "(٣) .

ثانيا - وحى الله الى نوح عليه السلام :

وفيما يخص جانب الوحى الالهي الى نوح عليه السلام جاءت نصوص عديدة في سفر التكوين تدل على أنه يأتمر بأمر الله تعالى كما دل على ذلك النص السابق وهذه هي مواضعها :

١ - " قال الله لنوح : نهاية كل بشر قد أتت أمامي لأن الأرض امتلأت ظلما منهم فها أنا مهلكهم مع الأرض اصنع لنفسك فلكا .. "(٤)

٢ - " وقال الرب لنوح : أدخل أنت وجميع بيتك الى الفلك "(٥)

٣ - " وكلم الله نوحا قائلا : اخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك .. "(٦) .

٤ - " وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم : أثمروا واكثروا واملأوا الأرض .. "(٧)

٥ - " وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا : وها انا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم .. "(٨) .

وفي هذه النصوص دلالة واضحة على ان نوحا عليه السلام نبي يوحى اليه من ربه تعالى . ولذلك وصف بأنه كامل وبار ، وأنه سار مع الله من بين قومه الذين عمهم الظلم والفساد .

---

(١) تكوين ٦ : ٨ (٢) تكوين ٦ : ٩ (٣) تكوين ٧ : ١ (٤) تكوين ٦ : ١٣-١٤
(٥) تكوين ٦ : ١ (٦) تكوين ٨ : ١٥-١٦ (٧) تكوين ٩ : ١ (٨) تكوين ٩ : ٨-٩

ذكر فساد قومه :

وبجانب ما جاء ذكره من صلاح نوح عليه السلام وخطاب الله تعالى اياه بأوامره ،ذكر سفر التكوين ان قوم نوح قد كثر الشر فيهم . وذلك في النصوص الآتية :

١ - " ورأى الرب ان شر الانسان قد كثر في الأرض ، وان كل تصور افكار قلبه انما هو شرير كل يوم "(١) .

٢ - " وفسدت الأرض امام الله وامتلأت الأرض ظلما . ورأى الله الأرض فاذا هي فسدت . اذ كان كل بشر قد أخذ طريقه على الأرض فقال الله لنوح : نهاية كل بشر قد أتت أمامي ، لأن الارض امتلأت ظلما منهم فها أنا مهلكهم مع الأرض "(٢) .

ومع ما جاء في هذين النصين من الاشارة الى فساد أهل الأرض في عهد نوح ، فان السفر اليهودى لم يبين ما هو ذلك الفساد . هل كان بعبادة الأوثان ، او بظلم الناس بعضهم بعضا ، أو لم يقتصر الفساد على ناحية من النواحي بل شمل العقيدة والسلوك ، والمعاملات . هذا كله محتمل ولكنه ليس مما يفهم من النص عند سياقه لأنه موجز ايجازا شديدا .

اغفال دعوة نوح عليه السلام:

وصف سفر التكوين نوحا بالصلاح والبر والاستقامة كما سبق ذكر ذلك . وسبق أيضا بعده ما يدل على نبوة نوح عليه السلام . ثم ما يدل على فساد أهل الأرض فسادا شاملا حيث لا يوجد في ذلك العصر بار غير نوح الذى كان على صلة بربه . ومع هذا فليس في سفر التكوين ما يدل على ان نوحا أرسل الى اولئك الناس ودعاهم الى الصلاح والاستقامة . و هذا موقفهم من دعوته عليه السلام حيث أغفلوها بالجملة . ثم ذكروا ان الله تعالى أهلكهم بالطوفان بسبب فسادهم وظلمهم بعد ان أمر نوحا ان يصنع الفلك لينجو فيه هو

---

(١) تكوين ٦ : ٥ (٢) تكوين ٦ : ١١-١٣

وامرأته وأبناؤه ونساؤهم مع أصناف من الحيوانات التى كتب الله لهما البقاء . وليس من المعقول أن يعاقب الله تلك الأمة بالطوفان الا بعد أن انذرهم سوء العاقبة لقوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) [١] .

ابراز الجانب المادى في قصة نوح عند اليهود :

كان الحديث عن صلاح نوح وبره وفساد الناس في عصره حديثا موجزا جدا . وقد مر كما سبق ايضاح ان السفر اليهودى لم يشر ولو بصفة موجزة الى ان نوحا صاحب رسالة . وان الله ما أهلك قومه الا بعد اقامة الحجة عليهم . هذه الجوانب الروحية ، ليس لها اى شأن في هذا السفر وانما الجانب الذى استحق الاهتمام والاسهاب في الذكر في هذا السفر هو الجانب المادى الذى أصبح سمة هذا الشعب الاسرائيلى الذى تميز به عن سائر شعوب الدنيا على مر الأجيال .

ولكى يتضح للقارىء ذلك قريبا هذا الموقف اليهودى المادى من قصة هذا النبي الكريم ، أقدم فيما يأتي بعض النصوص التي تبرز الجانب المادى .

أ ـ الأسماء والأنساب والأعمار :

١ - " وعاش لامك مائة واثنتين وثمانين سنة [٢] وولد ابنا . ودعا اسمه نوحا قائلا : هذا يعزينا عن عملنا وتعب أيدينا من قبل الأرض التي لعنها الرب . وعاش لامك بعدما ولد نوحا خمسمائة وخمسا وتسعين سنة [٣] . وولد بنين وبنات فكانت كل ايام لامك سبعمائة وسبعا وسبعين سنة ومات [٤] . وكان نوح ابن خمسمائة سنة وولد نوح ساما وحاما ويافث " [٥] .

---

(١) سورة الاسراء ١٥

(٢) في التوراة السامرية : " وعاش لمك ثلاثا وخمسين سنة وأولد ابنا " .

(٣) في السامرية : " وعاش لمك بعد ايلاده نوحا ستمائة سنة " .

(٤) في السامرية : " وكانت كل ايام لمك ثلاثا وخمسين سنة وستمائة سنة ومات " .

(٥) تكوين ٥ : ٢٨ - ٣٢

٢ - " هذه مواليد نوح ، كان نوح رجلا بارا كاملا في اجياله وسار نوح مع الله ، وولد نوح ثلاثة بنين ساما وحاما ويافث "(١) .

٣ - " ولما كان نوح ابن ستمائة سنة صار طوفان الماء على الارض "(٢) .

٤ - " وعاش نوح بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة . فكانت كل ايام نوح تسعمائة وخمسين سنة ومات "(٣) .

انظر الى هذا التفصيل في الأسماء والاعمار والانساب ، وتصور مله ومن النصوص السابقة موقف هؤلاء القوم من الجوانب الروحية ، والجوانب المادية ، تجد الحكم على موقفهم في غاية السهولة .

ب - السفينة ومافيها :

١ - « اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر ، تجعل الفلك مساكن ، وتطليه من داخل ومن خارج بالقار . وهكذا تصنعه . ثلثمائة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعا عرضه وثلاثين ذراعا ارتفاعه . وتصنع كوا للفلك وتكمله الى حد ذراع من فوق وتضع باب الفلك في جانبه . مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله ، فها انا آت بطوفان الماء على الارض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء كل ما في الارض يموت . ولكن أقيم عهدى معك فتدخل الفلك انت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك . ومن كل حى من كل جسد اثنين من كل تدخل الى الفك لاستبقائها معك تكون ذكرا وانثى . من الطيور كاجناسها . ومن البهائم كأجناسها ، ومن كل دبابات الارض كأجناسها . اثنين من كل تدخل اليك لاستبقائها . وأنت فخذ لنفسك من كل طعام يؤكل واجمعه عندك فيكون لك ولها طعاما . ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله هكذا فعل "(٤) .

---

(١) تكوين ٦ : ٩-١٠
(٢) تكوين ٧ : ٦
(٣) تكوين ٩ : ٢٨ - ٢٩
(٤) تكوين ٦ : ١٤-٢٢

٢ - " وقال الرب لنوح ادخل انت وجميع بنيك الى الفلك لأنـي اياك رأيت بارا لدى في هذا الجيل . من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرا وأنثى . ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكرا وأنثى . ومن طيور السماء أيضا سبعة ذكرا وأنثى لاستبقاء نسل على وجه الارض . لأني بعد سبعة أيام أيضا امطر على الارض أربعين يوما وأربعين ليلة وأمحو عن وجه الارض كل قائم عملته . ففعل نوح حسب كل ما أمر به الرب . . . فدخـل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه الى الفك من وجه مياه الطوفان . ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ومن الطيور وكل ما يدب على الارض دخل اثنان الى نوح الى الفلك ذكرا وأنثى كما أمر الله نوحا "(١) .

وفي هذا الوصف الدقيق المسهب للسفينة وما حوته من انسان وحيوان ما يدعو الى القول ان بني اسرائيل كتبوا تاريخ الأنبياء وسيرهم بدافع مادى . ولذلك لم يعنوا بدعوتهم وما جرى بينهم وبين أممهم من نزاع . لأنهم لو فعلوا ذلك بجانب هذا ،لتعارض مع ميولهم المادية ورغباتهم الدنيوية .

جـ - وصف مياه الطوفان وهلاك النفوس بها :

١ - " وحدث بعد السبعة الأيام أن مياه الطوفان صارت على الارض . في سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر . في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم ، وانفتحت طاقات السماء . وكان المطر على الارض أربعين يوما وأربعين ليلة في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث ، بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم الـى الفلك . هم وكل الوحوش كأجناسها وكل البهائم كأجناسها ، وكل الدبابات التي تدب على الارض كأجناسها وكل الطيور كأجناسها كل عصفور كـل ذى جناح . ودخلت الى نوح الى الفك اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة .

---

(١) تكوين ٧ : ١-٩

والداخلات دخلت ذكرا وأنثى من كل ذي جسد كما أمره الله وأغلق الرب عليه ، وكان الطوفان اربعين يوما على الأرض وتكاثرت المياه ورفعت الفلك فارتفع عن الأرض . وتعاظمت المياه وتكاثرت جدا على الأرض . فكان الفلك يسير على وجه المياه . وتعاظمت المياه كثيرا جدا على الأرض فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل سماء . خمس عشرة ذراعا في الارتفاع تعاظمت المياه . فتغطت الجبال . فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش . وكل الزحافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس ، كل ما في أنفسه نسمة روح حياة من كل ما في اليابسات . فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض ، الناس ، والبهائم ، والدبابات ، وطيور السماء فانمحت من الأرض وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط وتعاظمت المياه على الأرض مائة وخمسين يوما "(١) .

٢ ـ " ثم ذكر الله نوحا وكل الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك ، وأجاز الله ريحا على الأرض فهدأت المياه وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء . فامتنع المطر من السماء . ورجعت المياه عن الأرض رجوعا متواليا . وبعد مائة وخمسين يوما نقصت المياه . واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط (٢) . وكانت المياه تنقص نقصا متواليا الى الشهر العاشر . وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال . وحدث بعد أربعين يوما ان نوحا فتح طاقة الفلك التي كان قد عملها وأرسل الغراب فخرج مترددا حتى نشفت المياه عن الأرض ، ثم ارسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض فلم تجد الحمامة مقرا لرجلها فرجعت اليه الى الفلك لأن مياها كانت على وجه كل الأرض فمد يده وأخذها وأدخلها عنده الى الفلك . فلبث أيضا

---

(١) تكوين ٧ : ١٠-٢٤

(٢) في السامرية : " على جبال سرنديب " . ولو كان ما نزل على موسى عليه السلام لما كان لهذا الاختلاف وجود .

سبعة أيام أخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك فأتت اليه الحمامة عند المساء واذا ورقة زيتون خضراء في فمها فعلم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض فلبث أيضا سبعة أيام أخر وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع اليه أيضا . وكان في السنة الواحدة والستمائة في الشهر الأول في أول الشهر أن المياه نشفت عن الأرض . فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر فاذا وجه الأرض قد نشف . وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين من الشهر جفت الأرض" (١) .

ومع هذه الاطالة المملة والتكرار الكثير في هذه القصة ،فان القارئ لا يرى فيها ما له صلة وارتباط بالجانب الروحي . وهذا يدل على أن هذه القصة المروية بهذه الصفة ليست مما نزل من الوحي على موسى عليه السلام ، وانما هي قصة يتناقلها الرواة والقصاص تناقلا عاديا فقط ، فتطوع أحد بني اسرائيل لكتابتها ونسبتها الى موسى عليه السلام ليجد لها رواجا في قومه الذين لا يهتمون الا بالحياة الدنيا ،وهذا هو ما وقع ، فانهم صدقوا أنه من موسى عليه السلام وهو منه براء ، والاختلاف في الأعمار بين النسخة العبرية والنسخة السامرية . وكذلك الاختلاف في اسم الجبال التي رست عليها السفينة دليل على أنه سفر موضوع . فالنسخة العبرية ذكرت أنها رست على جبال أراراط . والسامرية ذكرت أنها رست على جبال سرنديب .

وصفهم نوحا بالسكر والتعرى :

لقد مر في بداية قصة نوح مايدل على بره وصلاحه واستقامته من بين سائر البشر الذين أهلكوا بالطوفان لفسادهم العام. وسبق من النصوص ما يدل على أن نوحا يأتمر بأوامر ربه ولا يحيد عنها ، وأنه نبي يوحى اليه من ربه تعالى . ومع هذه الصفات الحسنة التي وصف بها سفر التكوين نوحا عليه السلام فانه وصفه فيما بعد بصفة لا يمكن ان يوصف بها الصالحون من عباد الله ممن هم دون الأنبياء منزلة ، تلك الصفة هي صفة السكر التي نسبوها اليه بعد حادث الطوفان .

---

(١) تكوين ٨ : ١-١٤

حيث زعموا أنه اصبح فلاحا بعد الطوفان وغرس كرما استخرج منه بعد ذلك خمرا فشربه حتى سكر وألقى ما عليه من لباس ، فتعرى وهو ثمل ، فشاهده على هذه الحالة أحد أبنائه ، فأخبر أخويه حتى سترا عورته . ولما علم نوح ما فعله ابنه الاول - الذى شاهد عورته - بعدما أفاق من سكره ، لعن ذريته لعنة كان المستفيد الأول منها ساما ، وهو الذى ينتسب اليه الاسرائيليون ، ثم يافث الذى شارك ساما في ستر عورة أبيه ، ولكن لا أمر ما امتاز عليه سام في الدعاء . وهذا هو النص الكامل للقصة :

" وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما ، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه . فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا . فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا الى الوراء ، وسترا عورة أبيهما ووجهاهما الى الوراء . فلم يبصرا عورة أبيهما . فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير . فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخويه وقال مبارك الرب اله سام وليكن كنعان عبدا لهم . ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم " (١) .

ان العقل هو أعظم ما من الله به على الانسان . اذ لولاه لما كان بينه وبين سائر الحيوانات فرق الا في النوع والشكل ، وهو مناط التكليف حيث يدرك به المكلف مقتضيات التشريع الالهى وما يحسن أو يقبح من أمور حياته الدنيوية . لذلك يكون الاعتداء على العقل بتعاطى المسكرات اعتداء على تلك النعمة العظمى التى تعتبر الحد الفاصل بين الانسان والانعام . فقد أدرك ذوو العقول النيرة من الناس في أجيالهم المتعاقبة مدى الضرر الذى يعود على شارب الخمر فحرموه على أنفسهم تحريما عقليا . واذا كان هذا بالنسبة لمن ليس له أى صلة بالوحى الالهى ، فكيف يكون حال من ينزل عليه الوحي ويؤمر بالتبليغ ؟ ولا شك أن العقل السليم يستبعد أن يتناول نبي خمرا

---

(١) تكوين ٩ : ٢-٢٧

ويفقد عقله حتى يتجرد من لباسه ويحمل نتيجة عمله شخصا بريئا لا دخل له في الأمر . وهذا ليس من الحق في شيء وانما هو من وضع اليهود وافترائهم . لأن الغرض من ذلك كله ، أن يكون لديهم صك شرعي قديم يبيح لهم استعباد الكنعانيين ، واحتلال أرضهم . ألا ترى ان الذى شاهد أباه عاريا حسب زعمهم هو حام ، ولكن الذى دعا عليه نوح هو كنعان المسكين الذى هو هدف اليهود من القصة ، وفي قوله : " مبارك الرب اله سام " ما يؤكد هذا المعنى فان الله ليس اله سام وحده ولكنه اله جميع البشر . كما ان ساما لم يكن هو الذى قام بستر عورة أبيه وحده كما يقولون ، ولكن يافث كان معه . فلم خصص سام بهذه الاضافة : " اله سام " ؟ وما ذاك الا لأنهم أرادوا ان يرسموا لأنفسهم خارطة قديمة تمنحهم حق السيطرة على أرض كنعان واذلال أهلها .

وفي هذه القصة منافاة للعصمة وذلك في عدة أمور :

الأمر الأول : في نسبة شرب الخمر عمدا الى هذا النبي الكريم وهو وان كان من الجائز عدم حرمته في شرعه ، ولكنه من الأمور الدنيئة التي لا تليق بمقام النبوة الرفيع ، لأنه يؤدى الى السكر ، والسكر يؤدى الى ما لا نهاية له من المعاصى الصغيرة والكبيرة .

الأمر الثاني : في نسبة السكر اليه . وهو زوال العقل ، وزوال العقل عن الأنبياء اكبر قادح في العصمة . وهو ما لا يجوز وقوعه .

الأمر الثالث : نسبة التعرى وانكشاف العورة اليه . وانكشاف العورة أمر قبيح فطرة ، وشرعا . فلا تصح نسبته الى نبي معصوم .

الأمر الرابع : لعن البرىء . ولا يتصور من عاقل فضلا عن نبي أن يلعن من شاهده في حالة التعرى . ولو كان ذلك في حجرته أو خيمته ، وكان المشاهد قد تعمد الاشراف عليه ، لكان لذلك وجه . أما وقد كان ذلك

حيث لا خفاء فلا وجه للعن من شاهده . هذا اذا كان الذى رآه هو الذى باء باللعنة . ولكن الذى لعن في النص اليهودى ، هو كنعان ابن حام . وحام هو الذى شاهد أباه في تلك الحالـــة المزعومة ، وليس كنعان . ولعن البرىء كبيرة لا يمكن صدوره عن نبي معصوم .

المبحث الثاني

نقد موقفهم من نوح عليه السلام ودعوته على ضوء ما جاء في القرآن الكريم

عرفنا موقف بني اسرائيل من نوح ودعوته فيما سبق ، واتضح لنا هناك أنه ليس في سفر اليهود ما يدل على انه صاحب رسالة ، وان قومه عصوه فاستحقوا عقاب الله الذى نزل بهم . ويبدو أن اليهود تركوا ذكر دعوة نوح وما يتصل بها لأحد أمرين : الأمر الأول : الجهل بأخبار نوح وقومه - وهو أمر ليس ببعيد عنهم ، والجاهل ينبغي ان لا يخوض فيما لا علم له به ، لأن ذلك افتراء وضلال ، الأمر الثاني : ان يكونوا قد تركوا الاشارة الى دعوة نوح عمدا ، لأنهم لا يهتمون بهذا الجانب من الحياة ، وفي هذا كتمان للعلم وكتمان العلم من العالم أمر شنيع ، وهو أمر اتصف به بنو اسرائيل في تاريخهم الطويل .

وان كنت لا تدرى فتلك مصيبة   وان كنت تدرى فالمصيبة أعظم

ولأن هذا الموقف اليهودى من نبي الله نوح ودعوته يحط من مكانته العلية ، اقتضى البحث ان يكون القرآن الكريم هو الذى يبرز الموقف الصحيح الذى ينبغي على من يؤمن بالله أن يقفه من نوح عليه السلام وغيره من رسل الله الكرام .

فالقرآن الكريم لم يذكر لنا ان نوحا ابن فلان ، أو أن له ثلاثة أبناء ، أو انه عاش قبل الطوفان كذا وبعده كذا ، الى غير ذلك مما ملأ صفحات السفر اليهودى ، لأن تلك الأمور حياة شخصية عادية ، لا ينتفع الناس بمعرفتها ، ولا ضرر عليهم من جهلها . وانما الأمر المهم الذى ينتفع بذكره البشر على مر الأجيال ، هو ما فيه مواعظ ، وعبر ، من حياة الأقدمين . لذلك ترك القرآن الكريم هذه الجوانب السطحية من حياة الناس . فقدم لهم الغذاء الروحي الذى به يسمو الانسان ويزكو .

ان القرآن الكريم تحدث عن نوح في اكثر من أربعين موضعا ، ففي جميع هذه المواضع أظهر لنا انه نبي كريم ،أرسل الى قومه برسالة بلغها أحسن ما يكون التبليغ ، فاستحق بذلك ثناء الله عليه مع اخوانه المرسلين من أولي العزم . وأظهر لنا القرآن ان قومه كفروا بربهم اذ كانوا يعبدون الأصنام ، وأنهم أصروا على كفرهم وطغيانهم غير مصغين الى نداء نوح ، وصيحته المتوالية فيهم ليعودوا الى ربهم. فكان من جملة من كفر به ابنه ، وان هذا الرسول الكريم جهر بالشكوى الى ربه من تصلب قومه وشدة اعراضهم عنه مع ما بذل لهم من نصح ومواعظ لينالوا مغفرة ربهم ورضاه . هنالك أوحى الله الى نوح ان قومه لن يؤمنوا الا من سبق ان آمن من قبل وأمره بصنع الفلك لأنه سيغرقهم عقابا لهم على طغيانهم . فصنع نوح السفينة وأدخل اليها من أمره الله أن يدخل اليها من المؤمنين . فأغرق الله الكافرين ، وكان من جملتهم ابنه عليه السلام . وكان دخوله باسم الله ، وخروجه منها ايضا بسلام من الله وبركات . هذه العناصر الايمانية لا وجود لها في سفر اليهود . واليك الآيات القرآنية الكريمة التي تضمنت هذه العناصر :

١ - " ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين . أن لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم أليم. فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى ، وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين . قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وأتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون . وياقوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون . ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون . ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ، الله اعلم بما في أنفسهم انى اذا لمن الظالمين . قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين . قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين .

ولا ينفعكم نصحي ان أردت ان انصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون . أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وأنا بريء مما تجرمون" (١) .

هذه هي قصة نوح ودعوته في القرآن الكريم بشكل تفصيلي لما جرى بينه وبين قومه الكافرين من الجدال المتواصل من قبلهم ، والدعوة المخلصة المستمرة من نوح عليه السلام ، حتى أنهم سئموا من صيحاته المتواصلة ، وحججه المتماسكة المتوالية عليهم ، فطلبوا منه أن يأتيهم بما ينذرهم به من عقاب الله تعالى قائلين : " يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين " فأجابهم عليه السلام بأن ذلك ليس بيده وانه ليس الا ناصحا أمينا ، والعقاب بيد الله يأتي به متى شاء ، وانه مهما بذل لهم من نصح فان ذلك ليس بنافع لهم اذا أراد الله تعالى في سابق علمه غوايتهم وهو مالك امرهم واليه مرجعهم .

واستمر نوح في الدعوة ما شاء الله ان يستمر . وهي أطول فترة قضاها نبي في الدعوة الى الله حسب ما قص الله علينا . حيث عاش فيهم الف سنة الا خمسين عاما . وهي فيما يظهر لي من سياق القرآن فترة الدعوة وليس عمر نوح كله . لأنّ القرآن الكريم عبر عن ذلك بقوله : " ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون" (٢) وقوله : " فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما " مع قوله : فأخذهم الطوفان يدل على عمر الدعوة لا على عمر نوح . لأنّ نوحا لبث فيهم قبل هلاكهم عاش بعد هلاكهم كذلك . والله أعلم .

وبعد طول المدة واستمرار الدعوة وازدياد الكفر والعناد من قوم نوح استنفد صبره ويئس من هدايتهم فتوجه الى ربه بالشكوى فقال هو يستنصر ربه :

---

(١) سورة هود ٢٥-٣٥ (٢) سورة العنكبوت ١٥

" رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا . فلم يزدهم دعائي الا فرارا .
واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم
وأصروا واستكبروا استكبارا ،ثم اني دعوتهم جهارا . ثم اني اعلنت لهم وأسررت
لهم اسرارا . فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا .
ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا . مالكم لا ترجون
لله وقارا . وقد خلقكم أطوارا "(١) .

فواصل نوح عليه السلام شكواه الى ربه من قومه مبينا فيها انه ما وجد
طريقا للنصح الا سلكها ،ولا فرصة الا اغتنمها في سبيل هدايتهم . ولكنهم
تجاهلوا ذلك ، وتحدوه باستعجال ما يتوعدهم به من عقاب ربهم ان استمروا
على كفرهم وعنادهم ، وفي هذه الشكوى بين نوح سبب ضلال قومه وهو عبادة
الأصنام التي تواصوا بالاستمرار عليها وعدم تركها بسبب دعوة نوح فقال :
" وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا "(٢) .

ولما أيقن نوح عليه السلام أن قومه لن يؤمنوا باخبار من الله الذى أكد
له عدم ايمانهم الا من سبق ايمانه بقوله : " وأوحي الى نوح أنه لن يؤمن
من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون "(٣) لما أيقن ذلك
دعا ربه ان لا يترك على وجه الأرض أحدا من الكفرة ، لأنهم ما داموا لا يؤمنون
البتة ، فلا فائدة من بقائهم ، بل بقاؤهم على الأرض يؤدى الى ضلال من
هو على الجادة من قومه ، كما يؤدى الى تناسل اهل الكفر وتكاثر عددهم .وهو
أمر خطر ينبغى أن لا يكون . لذلك جأر نوح بالدعاء :

" وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، انك ان تذرهم
يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ، رب اغفر لي ولوالدى ولمن دخل بيتي
مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا "(٤) " فدعا ربه انى
مغلوب فانتصر "(٥)

---

(١) سورة نوح ٥-١٥ (٢) سورة نوح ٢٤ (٣) سورة هود ٣٦
(٤) سورة نوح ٢٦-٢٧ (٥) سورة القمر ١٠

وبهذا الدعاء تنتهى المرحلة الأولى من مراحل قصة نوح في القرآن الكريم وهى مرحلة الدعوة والصبر عليها وعلى ما واجه النبي الكريم من الشدة والأذى من قومه . وقد تجوهلت هذه المرحلة من قصة نوح عليه السلام في كتب اليهود ، وهي قصة استحق نوح الذكر الجميل من أجلها لا من أجل حسبه ونسبه .

وبعد هذا الدعاء الذى يظهر شدة ما عاناه نوح من قومه ،وكثرة ما بذله في سبيل هدايتهم مع تواصيهم بعبادة تلك الأصنام ، استجاب الله له وأمره بصنع الفلك الذى يحمل المؤمنين عند اغراق الكافرين بطوفان لا نجاة منه لأحد منهم ، فقال تعالى :" واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى في الذين ظلموا انهم مغرقون "(١) .

فبدأت المرحلة الثانية : وهي مرحلة صنع السفينة التى قام بصنعها نوح عليه السلام بوحى من ربه الذى أرشده الى كيفية صنعها ، حتى اكتمل بناؤها .

وهنا يوضح القرآن الكريم أمرا أغفلته أسفار اليهود ، وهو أن نوحا عليه السلام عندما كان يصنع الفلك كان يمر به أشراف قومه ، فيسخرون منه ومن عمله ، لأنهم ليسوا مصدقين بأن عقاب الله نازل بهم لا محالة . فيرد عليهم نوح بأنه حينما يأتى عذاب الله لا نجاة لهم منه وأنه هو وأتباعه المؤمنين يسخرون من جهلهم بما سينزل بساحتهم من العذاب الأليم . قال تعالى :" و يصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه . قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون "(٢) .

فشتان ما بين السخريتين ،سخرية الجاهل المكذب بما ينتظره من عقاب الله ، وسخرية الناصح الأمين العالم بما ينتظرهم من سوء المنقلب :" فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم "(٣) .

---

(١) سورة هود ٣٧ (٢) سورة هود ٣٥ (٣) سورة هود ٣٩

وبعد تمام صنع الفلك امر الله نوحا أن يحمل معه من كل الحيوانات زوجين اثنين وان يحمل اهله ومن آمن معه من الفئة القليلة . ففعل ذلك نوح عليه السلام قال تعالى : " حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل" (١)

ثم بدأت المرحلة الثالثة : وهي مرحلة هلاك القوم الكافرين بالطوفان ، ونجاة القوم المؤمنين في السفينة فان الايمان هو سبب النجاة . والكفر هو سبب الهلاك . فبناء السفينة اذا ، مرتبط بالايمان . وكذلك دخول المؤمنين اليها مرتبط بالايمان ارتباطا وثيقا . ولذلك أمروا بالقول الطيب عند دخولها :

" وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم" (٢) .

ثم أمروا بالثناء على الله وحمده بعد ان يستووا على ظهرها : " فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين ، وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين" (٣) .

وبعد أن تزيل الفريقان ، فريق المؤمنين ، و فريق الكافرين ، بدأت مرحلة العذاب والانتقام الالهى قال تعالى :" ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر . وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر . وحملناه على ذات ألواح ودسر . تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر" (٤) .

انظر الى التعبير القرآنى في قوله : "أبواب السماء" وقارن بينه وبين تعبير سفر التكوين في قوله "طاقات السماء" تجد الفرق واضحا جليا . فانسكاب الماء من الأبواب أبلغ منه من الطاقات . وهذه الأمور أيضا غير موجودة في رواية اليهود .

وهناك أمر آخر لم تذكره رواية اليهود . وهو ابن نوح العاصى الذى ذكره القرآن الكريم مع الكافرين في قوله تعالى :" وهي تجرى بهم في موج

---

(١) سورة هود ٤٠ (٢) سورة هود ٤١

(٣) سورة المؤمنون ٢٨-٢٩ (٤) سورة القمر ١١-١٤

كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم . وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ... ونادى نوح ربه فقال : رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين . قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لى و ترحمنى أكن من الخاسرين "(١) .

وليس في رواية اليهود أثر لهذه القصة ، بل المذكور عندهم أن نوحا وجميع أهل بيته من أبنائه ونسائهم دخلوا معه الى السفينة ونجوا من الطوفان .

ويوجد أمر آخر أيضا : وهو ان القرآن الكريم صرح ان عددا قليلا من مؤمنى قوم نوح كانوا معه في السفينة - والرواية اليهودية قصرت النجاة على نوح وامرأته ، وبنيه الثلاثة ونسائهم ولم تذكر من سواهم .

---

(١) سورة هود ٤٢ - ٤٧

المبحث الثالث

موقفهم من ابراهيم عليه السلام ودعوته كما في أسفارهم

ان موقف اليهود من ابراهيم عليه السلام ودعوته ،لا يختلف عن موقفهم من نوح عليه السلام ودعوته . فقد اتضح فيما سبق أنهم لم يتحدثوا عن رسالة نوح الى قومه ولو بايجاز ،فكذلك الحال في شأن ابراهيم عليه السلام ، فانهم لم يذكروا أنه أرسل الى قومه ، فدعاهم الى الهداية والرشاد . ولكنهم ذكروا حياته الخاصة ذكرا تفصيليا اكثر مما ذكروا حياة نوح الخاصة .

فقد اشتمل حديث سفر التكوين عن ابراهيم عليه السلام نواحي الحياة المتعددة . من ذلك الحديث عن ميلاده ،ووطنه ،وزواجه ،واسم زوجته ، ومنها الحديث عن انتقاله من موطنه الأصلي الى مكان آخر. ومنها الحديث عن رحلته مرة أخرى من هذا الوطن الثاني الى أرض كنعان بأمر ربه . ومنها الحديث عن رحلته من أرض كنعان الى أرض مصر وعودته منها بأموال وفيرة . الى غير ذلك من أمور سيأتي بيانها حسب ترتيبها في سفر التكوين . غير أنا قد وضحنا ما يتعلق بميلاده ورحلته من أرض قومه في الباب الأول عند الحديث عن تاريخ بني اسرائيل . لذا فلا حاجة الى تكراره الا ماله ارتباط وثيق بالرسالة والدعوة فهذا موضعه .

لماذا رحل ابراهيم من أرض قومه ؟

اذا استعرض الباحث أو القارئ الفصول التي تتحدث عن ابراهيم في سفر التكوين ،يجد فيها ان ابراهيم عليه السلام قد قام بثلاث رحلات ، الرحلة الأولى : كانت من أور الكلدانيين التي ولد بها الى حاران التي حل بها حينا من الدهر ثم غادرها . وهذه الرحلة كان رائدها والد ابراهيم حسب الرواية . وكانت الأسرة كلها أي اسرة ابيه قامت بهذه الرحلة . .(١) وأخذ تارح ابرام ابنه ، ولوطا بن هاران ابن ابنه ، وساراي كنته ، امرأة ابرام ابنه ، فخرجوا معا من أور الكلدانيين ليذهبوا الى أرض كنعان . فأتوا الى حاران . وأقاموا

هناك . وكانت أيام تارح مائتين وخمس سنين ومات تارح في حاران "(١) .

ويبدو من هذا النص ان ابراهيم عليه السلام كان أحد افراد العائلة في هذه الرحلة ، ولم يكن قائدها وانما القائد هو تارح والد ابراهيم . كما يتضح لنا أمر آخر أيضا من هذا النص وهو أن وجهة تارح وأسرته ، في هذه الرحلة كانت أرض كنعان ، غير ان حاران كانت المحطة الأولى التي نزلوا بها وفيها مات والد ابراهيم . قبل ان يصل الى أرض كنعان المقصودة .

الرحلة الثانية : تختلف عن الرحلة السابقة بأمرين أحدهما ، ان هذه الرحلة كانت بأمر مباشر من الله تعالى ، والأمر الثاني : ان قائد هذه الرحلة هو ابراهيم عليه السلام لا أبوه لأنه توفي كما جاء في الرواية " وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك (٢) ومن بيت أبيك الى الأرض التي أريك ، فأجعلك أمة عظيمة . وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة ، وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه . وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض . فذهب ابرام كما قال له الرب وذهب معه لوط . وكان ابرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران ، فأخذ ابرام ساراي امرأته ولوطا ابن أخيه ، وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران . وخرجوا ليذهبوا الى أرض كنعان فأتوا الى أرض كنعان "(٣) . وقد ارتحل ابراهيم ارتحالا متواصلا داخل أرض كنعان كما تقول الرواية غير أنا لم نعدها من الرحلات الرئيسة التي انتقل فيها ابراهيم من أرض الى أرض اخرى جديدة .

الرحلة الثالثة : كانت رحلة اضطرارية حيث نزل بأرض كنعان جوع رحل بسببه ابراهيم ومن معه الى أرض مصر : " وحدث جوع في الأرض . فانحدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديدا . (٤)

---

(١) تكوين ١١ : ٣١-٣٢

(٢) قوله : " اذهب من أرضك ومن عشيرتك الخ " فيه مخالفة لما سبق أن قال ان تارح خرج بابراهيم ولوط وامرأتيهما من أور الكلدانيين حيث توجد عشيرته الى أرض كنعان فأقام بحاران التي مات بها . فكيف يستقيم القولان معا ؟ .

(٣) تكوين ١٢ : ١-٥

(٤) تكوين ١٢ : ١٠

وكان ابراهيم عليه السلام هو قائد هذه الرحلة أيضا . وكان معه لوط عليه السلام وزوجته كما في قوله : " فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له ولوط معه الى الجنوب "(١) .

وبعد استعراض هذه النصوص التى تحدثت عن رحلات ابراهيم الثلاث ، نعود لنقول : لماذا رحل ابراهيم من موطنه الاول الى أرض كنعان التى هي المقصودة من رحلة والد ابراهيم الاولى ومن رحلة ابراهيم الثانية ، وهى المرجع ايضا من رحلة ابراهيم الاخيرة الى مصر كما في الرواية ؟

هذه النصوص اليهودية لا تعطينا جوابا على هذا السؤال ، بل كل ما يستفاد منها أن أرض كنعان كانت مقصد والد ابراهيم حينما رحل بأهل بيته الى حاران ، فتوفى بها قبل اتمام الرحلة ، فأمر الرب ابراهيم بمواصلة الرحلة نحو أرض كنعان ، فأتم بذلك ما بدأه أبوه تارح . ولا يستطيع القارئ أن يعرف من نصوص سفر التكوين ما الذى دفع تلك الفئة الى الخروج من وطنها الذى نشأت به ؟ وما الهدف من التوجه الى تلك الارض ؟ أكان في وطنهم ما أقلقهم وأزعجهم ، حتى ضاقت عليهم أرضهم بسبب ذلك ؟ أم أنهم أرادوا الاستقلال بحياتهم في مكان يجدون فيه المناخ المناسب لها ؟ هذا كله غير مذكور والنصوص اليهودية تحتمل ذلك .

ولكن الذى يجيب على هذا السؤال هو كتاب الله تعالى العزيز الذى بين لنا ان ابراهيم صاحب رسالة ودعوة ، وأنه لم يهاجر من وطنه الا بعد أن لقى من قومه من العداء السافر والرفض القاطع لدعوته ما أدى الى هجرته . ولم يكن والد ابراهيم هو قائد الهجرة في القرآن الكريم ، بل هو أحد الذين هاجر ابراهيم من أجل مقاومتهم له ولدعوته .

وهذا موقف من مواقف بنى اسرائيل من الانبياء ودعوتهم ، فانهم لم يذكروا عنه الا المظاهر الدنيوية التى ملأت تفصيلاتها صفحات وفصولا من سفر التكوين . وسنبين في هذا المبحث وبعده ما يبرز لنا دعوة ابراهيم ومكانته في القرآن الكريم وذلك لاظهار تلك الجوانب المشرقة التى أسدل عليها اليهود ستور النسيان .

---

(١) تكوين ١٣ : ١

هجرة ابراهيم عليه السلام في القرآن الكريم وعلاقته بربه

ان القرآن الكريم قص علينا في مواضع كثيرة من سوره قصص ابراهيم عليه السلام . فمن بين ما قصه علينا من ذلك انتقاله من أرض قومه الى أرض أخرى . ولم يعين تلك الأرض التى انتقل منها ، ولا تلك الأرض التى انتقل اليها . غير أنه وصف الأرض التى انتقل اليها وصفا يقوم مقام التعيين . ولقد عبر القرآن الكريم عن انتقال ابراهيم من أرضه بالهجرة الى الله والذهاب اليه ، والاعتزال في ذات الله تعالى . لذا تطلب البحث هنا أن يكون مداره على أربعة أمور :

الأمر الأول : تعريف معنى الهجرة .

الأمر الثاني : بيان السبب الذى هاجر ابراهيم من أجله عليه السلام .

الأمر الثالث : بيان مهاجره عليه السلام .

الأمر الرابع : عقد المقارنة بين القصص القرآني وبين الرواية اليهودية في الأمور الثلاثة السابقة ، وهى الهجرة وسببها ومكانها .

تعريف معنى الهجرة :

قال في القاموس(١) : " والهجرة بالكسر والضم الخروج من أرض الى أخرى . وقال في المصباح المنير(٢) : " الهجرة بالكسر مفارقة بلد الى غيره . فان كانت قربة الى الله فهي الهجرة الشرعية " . وقال ابن الاثير(٣) : " الهجرة في الأصل : الاسم من الهجر ضد الوصل وقد هجره هجرا وهجرانا . ثم غلب على الخروج من أرض الى أرض ، وترك الاولى للثانية . يقال منه هاجر مهاجرة " (٤)

(١) تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادى .
(٢) تأليف احمد بن محمد بن على المقرى الفيومي المتوفي سنة ٧٧٠هـ .
(٣) هو الامام مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد الجزرى ابن الاثير المولود سنة ٥٤٤ والمتوفي سنة ٦٠٦هـ .
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر جـ٥ ص ٢٤٤ طبعة عيسى البابي الحلبي الطبعة الاولى سنة ١٣٨٣هـ .

وقال الدامغاني (١) في تعريف معناها الشرعي : " الانتقال من بلد الى بلد آخر طلب سلامة الدين في طاعة الله تعالى " (٢) . وهذا المعنى الشرعي الذى ذكره الدامغاني رحمه الله هو المطابق لرحلة ابراهيم عليه السلام من أرض قومه . لأنه لم يهاجر بحثا عن المراعي والكلأ ، ولا طلبا للمال والجاه ، وانما هاجر طلبا لمرضاة ربه ، وسلامة دينه الذى هو أغلى من النفس والمال ، لأن فيه السعادة الأبدية .

ولقد أكد القرآن الكريم هذا المقصد الأسمى من رحلة ابراهيم عليه السلام في ثلاث آيات كريمات بعبارات مختلفة ، ومعاني مؤتلفة ، فقال تعالى - وهو يحكي ما وقع بين ابراهيم وأبيه من جدال أدى الى اعتزال ابراهيم أباه وقومه في أسباب أخرى - : " قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا . قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا . وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا . فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا " (٣) .

والاعتزال المذكور هنا ليس مقتصرا على الهجر الذى هو ضد الوصل كما في عبارة أبي ابراهيم عند قوله : " واهجرني مليا " وانما هو الهجرة الشرعية التي سبق تعريفها فان ابراهيم عليه السلام لا يتصور منه اعتزال قومه وعدم مخالطتهم وهو ساكن بينهم وان كان يتصور اعتزال ما كانوا يعبدون وهو فيهم . لأن النصح والارشاد يتطلبان ان يكون الناصح على صلة ما بمن ينصحهم . أضف الى ذلك شؤون الحياة التي تجمع بين ما اختلف على سبيل الاضطرار ، مثل الطرق العامة والمياه وغير ذلك مما لا توجد معه العزلة التامة .

---

(١) هو الفقيه المفسر الحسين بن محمد الدامغاني .

(٢) قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه والنظائر تحقيق وترتيب عبد العزيز سيد الأهل الطبعة الثانية بدار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٧٧ م ص ٤٧٩-٤٨٠ .

(٣) سورة مريم ٤٦-٤٩

وقال تعالى : " فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم " (١) . وقال : " وقال : اني ذاهب الى ربي سيهدين " (٢) .

هكذا كانت رحلة ابراهيم هجرة في ذات الله تعالى . فقد ابتدأ بهجرة ما نهى الله عنه من عبادة الأوثان . ثم هجر أباه وقومه ، وهاجر من أرضه طلبا لمرضاة ربه عز وجل .

بيان السبب الذى هاجر ابراهيم من أجله عليه السلام :

وأما سبب هجرة ابراهيم عليه السلام ، فقد ذكره القرآن وفصله تفصيلا ، وبين أن ابراهيم هاجر من أرض قومه بعد ان دعاهم الى سبيل الرشاد ، ونهاهم عن عبادة الأصنام التى بين لهم أنها لا تضر ولا تنفع ، ولا تغنى عنهم شيئا ، وقارعهم في ذلك بالحجج الدامغة . فلما لم يجد منهم القبول والاستجابة أراد ان يثبت لهم أن معبوداتهم أضعف من أن تدفع عن نفسها الضر فضلا عن ان تنفع من يعبدها من دون الله . فعمد اليها في غيابهم فحطمها تحطيما الا كبيرها الذى تركه لحكمة رآها في مصلحة دعوته ليقول لقومه حينما يسألونه عمن فعل بآلهتهم ما فعل ان كبيرهم هذا هو الذى فعل بتلك الالهة الصغيرة ما فعل ، وطلب منهم أن يسألوها ان كانوا ينطقون وما كانوا ليسألوها وهم على يقين أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر . وبعد ارتباك وحيرة شديدة وتلاوم ، أخذتهم الحمية الجاهلية فنادوا باحراقه والانتصار لآلهتهم التى لا تنتصر ، ولم يعلموا أنهم بعملهم هذا يؤكدون عجز تلك الالهة وهوانها . فأوقدوا نارا عظيمة لاحراقه فألقوه فيها . ولكن الذى بيده ملكوت كل شىء جعل النار على عبده ابراهيم بردا وسلاما ، فنجاه منها لم يمسسه سوء فخرج منها منتصرا بما كانوا يريدون الانتصار به لآلهتهم . هنالك عزم ابراهيم عليه السلام على الهجرة راجيا من ربه الهداية والتوفيق الى المكان الذى يجد فيه الأمن لدينه ونفسه .

---

(١) سورة العنكبوت ٢٦ (٢) سورة الصافات ٩٩

وفي بيان هذه المواقف التي أدت الى هجرته عليه السلام بقول الله تعالى :

١ - " ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . اذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال : بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ، قالوا : من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ . قال : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم (٢) وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين . ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين" (٣)

---

(١) جذاذا : أى فتاتا وقطعا .

(٢) قال ظفر الاسلام خان : " ومن القصص التي يرويها التلمود أن نمرود الكافر عندما ألقى بابراهيم عليه السلام في النار ، تقدم جبرائيل امام الله يقول : " رب العالم أنا سوف أنزل الى الأرض وأبرد النار وأنقذ " الرجل الصالح " من كور النار" ولكن الله قال له : " انا الواحد في عالمي ، وهو الواحد في عالمه ، انه من واجب الواحد ان ينقذ الواحد الآخر . ولكن حيث ان الله لا يحرم احدا من بركاته وانعاماته ، قال لجبرائيل : انك تستطيع ان تنقذ ثلاثة من ذريتي (!) فيقول الحاخام سيمون الشيلوني عندما القى نبوخذ نصر الكافر الحاخامات حنانياه وميشائيل وأزاريا تقدم جركيمو امير البرد يطلب من الله السماح له باخماد النار . ولكن جبرائيل قاطعه قائلا : " ان قوة الله ليست كذلك ، انك امير البرد وكل الناس يعرفون ان المياه تخمد النار ولكني انا امير النار سأذهب واخمد النار في الداخل وأشعلها في الخارج . وسأقوم بمعجزة داخل معجزة " (التلمود ، تاريخه وتعاليمه ص ٨٠-٨١) ويؤخذ من هذا ان قصة ابراهيم بعضها مذكور في التلمود ولكن على طريقة اليهود الخاصة التى تشوه الحقائق . ومما يجدر التنبيه عليه هنا ان كثيرا من المفسرين ذكروا أمثال هذه القصة عند تفسير الآية القرآنية التي تدل على ان ابراهيم القي في النار . وقالوا أن جبريل طلب من ربه ان يأذن له في انجائه فقال له الرب انا الواحد في السماء الخ وهذا من زلات المفسرين عفا الله عنهم .

(٣) سورة الانبيا ٥١ - ٧١ .

٢ - وقال تعالى بعد أن ذكر نوحا عليه السلام ودعوته : " وان من شيعته لابراهيم . اذ جاء ربه بقلب سليم . اذ قال لأبيه وقومه : ماذا تعبدون ؟ أأفكا الهة دون الله تريدون ؟ وما ظنكم برب العالمين ؟ . فنظر نظرة في النجوم . فقال انى سقيم . فتولوا عنه مدبرين .فراغ (١) الى الهتهم فقال : ألا تاكلون ؟ ! مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين . فأقبلوا اليه يزفون (٢) . قال : اتعبدون ما تنحتون . والله خلقكم وما تعملون ! قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم . فأرادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين . وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين "(٣) .

٣ - وقال عز وجل : " وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون . وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين "(٤) .

وفي نهاية ما جاء في قصة ابراهيم مع قومه بعد هذه الايات قال تعالى : " فما كان جواب قومه الا ان قالوا قتلوه او حرقوه فأنجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون . وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم (٥) في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين . فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم "(٦) .

---

(١) فراغ الى الهتهم : أى مال اليها سرا .

(٢) يزفون : أى يسرعون .

(٣) سورة الصافات ٨٣-٩٩

(٤) سورة العنكبوت ١٦-١٨-

(٥) (مودة بينكم) : اى لتتوادوا لاجتماعكم على عبادتها وعدم اختلاف بعضكم بعضا .

(٦) سورة العنكبوت ٢٤-٢٦ .

هذه الآيات الكريمة بينت السبب الذى هاجر ابراهيم عليه السلام من أرض قومه من أجله . وهو طلب سلامة الدين ، وحرية عبادة رب العالمين بعدما تعذر ذلك في تلك الأرض التي نشأ بها ، لشدة مقاومة قومه لدعوته كما تبين لنا ذلك من الآيات السابقة .

بيان مهاجره عليه السلام :

اذا نظر القارئ أو الباحث في الايات القرآنية التى تحدثت عن هجرة ابراهيم عليه السلام ، يجد فيها وصفا للبلاد التي هاجر اليها عليه السلام بأنها الأرض التي بارك الله فيها للعالمين كما في قوله : " ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين " وما المراد بتلك الأرض المباركة؟

أما المراد بتلك الأرض المباركة ، فقد ذهب جمهور المفسرين (١) الى أنها ارض الشام لأن الله بارك فيها ببعث الأنبياء فيها وكثرة خصبها ورزقها .

قال الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى رحمه الله في قوله تعالى : (ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) :

" وهذه الآية الكريمة تشير الى هجرة ابراهيم ومعه لوط من أرض العراق الى الشام فرارا بدينهما . وقد أشار تعالى الى ذلك في غير هذا الموضع : كقوله في " العنكبوت " (فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي " الآية . وقوله في " الصافات " (وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين) على أظهر القولين (٢) .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ٣ ص ١٨٤-١٨٥ وتفسير ابي السعود جـ٣ ص ٣٤٨ وتفسير الشوكاني جـ٣ ص ٤١٦ وتفسير النيسابورى جـ١٧ ص ٤٢ وكتاب التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن احمد بن جزى الكلبي الغرناطى جـ٣ ص ٦٢ طبعته مطبعة الحضارة العربية بالقاهرة بتحقيق محمد عبدالمنعم اليونسى وابراهيم عطوة عوض . وظلال القرآن للسيد قطب جـ٤ ص ٢٣٨٨ طبعة دار الشروق اللبنانية الثامنة سنة ١٣٩٩ هـ وتفاسير اخرى كفتح البيان وتفسير القاسمى .

(٢) قوله رحمه الله على أظهر القولين : يشير به الى ما جاء عن بعض المفسرين من ان الذى قال " انى مهاجر " هو لوط ولكنه قول مرجوح .

لأنه فار الى ربه بدينه من الكفار ، وقال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى : " وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين " . " هذه الآية اصل في الهجرة والعزلة ، وأول من فعل ذلك ابراهيم عليه السلام ، وذلك حين خلصه الله من النار وقال : " اني ذاهب الى ربي " أي مهاجر من بلد قومي ومولدي ، الى حيث اتمكن من عبادة ربي " فانه سيهدين " فيما نويت الى الصواب . وما أشار اليه جل وعلا من أنه بارك للعالمين في الأرض المذكورة التي هي الشام على قول الجمهور في هذه الآية بقوله : " الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين " بينه في غير الموضع ، كقوله : " ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين . وقوله تعالى : " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله " الآية . ومعنى كونه (بارك فيها) هو ما جعل فيها من الخصب والاشجار والأنهار والثمار ، كما قال تعالى : " لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض " ، ومن ذلك انه بعث اكثر الأنبياء منها (١)

وبهذا يعلم ان مهاجر ابراهيم عليه السلام هو بلاد الشام التي وصفها الله تعالى بأنه باركها في سورة الأنبياء في موضعين : الموضع الأول : في قصة ابراهيم عليه السلام . والموضع الثاني : في قصة سليمان عليه السلام . وكذلك ذكر تلك الأرض بأنها مباركة في سورة الاسراء حينما ذكر المسجد الأقصى الذي اسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم اليه . ومما لا شك فيه ان سليمان عليه السلام كان بأرض الشام . وكذلك المسجد الأقصى بأرض الشام . وكذلك قرى قوم لوط التي أهلكها الله تعالى / معروفة بأنها من أرض الشام . وتناسل ذرية ابراهيم من اسحاق كان أيضا بأرض الشام . وهذا كله يؤكد لنا ان الأرض التي هاجر اليها ابراهيم عليه السلام ، هي أرض الشام كما ذهب الى ذلك جمهور المفسرين . وعلى ذلك دلت رواية أهل الكتاب كما سبق بيانها .

---

(١) أضواء البيان جـ٤ ص ٥٩٠ - ٥٩١

وأما الأرض التي هاجر منها ابراهيم عليه السلام ، فالقرآن الكريم لم يذكرها ، ولم يصفها لنا . ولعل الحكمة في ذلك أن الله سبحانه وتعالى وصف الأرض التي هاجر اليها ابراهيم بالبركة ليوجه النظر الى انه عوض نبيه خيرا مما فقد . وأما التى خرج منها فهي دار كفر ينبغى ان يهمل ذكرها ، لأنها أرض ميتة بالكفر . بخلاف الأرض التي هاجر اليها فهي حية بروح الايمان الذى توالى في ذرية ابراهيم عليه السلام .

عقد المقارنة بين القصص القرآني ورواية اليهود في شأن الهجرة وسببها :

القرآن الكريم كتاب هداية أنزله الله ليخرج الناس به من الظلمات الى النور . لذلك نراه لا يذكر من الأحداث الا ما فيه العبرة . ولذلك أورد قصة ابراهيم عليه السلام ايرادا خاصا لا يلتقى مع رواية اليهود . فقد ذكر في بادئ الأمر أن ابراهيم نبي/ هداه الله الى الحق ، واستخلصه من بين قومه الذين يعبدون الأصنام ، وآتاه رشده ، وربط بين نعمة الهداية والنبوة التي منّ الله بهما عليه ، وبين الكفر والضلال الذى خيم على قومه ، برباط الدعوة والنصيحة . فالنبوة خير وصلاح وهداية واصلاح . والكفر شر وفساد . ولا يجتمع الخير والشر في صعيد واحد فيتعايشان أضف الى ذلك أن النبوة انما أريد بها مقارعة الشر والفساد ، وهداية الناس الى سبيل الرشاد . ولما كان ابراهيم نبيا في قومه ، وكان قومه على ما كانوا عليه من الضلال المبين ، قام ابراهيم بدعوتهم الى الحق المبين على النحو الذى مر ذكره في بيان سبب هجرته آنفا . وكانت دعوته قومه الى النجاة والسعادة الأبدية سببا لالقائه في النار . فما أبعد الفرق بين الموقفين ، موقف من يريد السعادة والنجاة لقومه ، وموقف قومه الذين يريدون اهلاك من سعادتهم على يده . ولقد عبر عن مثل هذا الموقف مؤمن من آل فرعون كما حكى الله تعالى عنه اذ قال لقومه : " ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار . تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ماليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار "(١) .

---

(١) سورة غافر ٤١-٤٢

ومع تباين هذين الموقفين وتباعد ما بين الطريقتين ، فان الله تعالى بين لنا كيف كانت الصلة بين صاحب الدعوة الالهية وبين القوم الذين قامت من أجلهم الدعوة . ولكنهم رغبوا عنها وسفهوا أنفسهم وآذوا صاحبهم الأمين ، حتى أذن الله له بالهجرة فهاجر من أرضه ، وقد ترك خلفه أباه الذى بذل له من النصح ما خلده القرآن الكريم . وقد سبق ايضاح ذلك في الباب الثاني عند الحديث عن عقيدة آباء بني اسرائيل (١) .

هكذا جاءت قصة ابراهيم عليه السلام في القرآن الكريم متناسقة مع قصة قومه ، مترابطة مع هجرته في سبيل الله تعالى .

وأما الرواية اليهودية ، فقد وضعت على نحو مخالف لما جاء في القرآن الكريم ، حيث خلت عن ذكر دعوة ابراهيم وكفر قومه ، وما جرى بينه وبينهم من مجادلات ومحاجات . مما يؤكد ان سفر التكوين الذى جاءت فيه تلك الرواية وكذلك غيره من الاسفار المنسوبة الى موسى عليه السلام على أنها مما أوحى بها اليه على شكلها الذى هى عليه ، ليس لها أية صلة تربطها بالوحى الالهى . وانما هي كتب مكذوبة موضوعة اشتملت على الأوهام الباطلة والأماني الكاذبة . فأراد الله ان يظهر بطلانها وزيفها فجاءت على النحو الذى هي عليه من البعد عن دعوة الايمان وشمائل الأنبياء .

فان قيل : كيف يكون عدم ذكر الشيء دليلا على بطلان ما ذكر لجواز صحة ما ترك وما ذكر؟ قيل : ان ابراهيم عليه السلام رسول الله الى قومه والرسل انما يذكرون برسالاتهم ودعواتهم . ولولا ذلك لما كان لذكرهم وجه . فدل هذا على ان ذكر الجانب المادى من حياتهم ذكرا تفصيليا مع ترك الجانب الايماني الذى يعتبر روح حياتهم ، دليل على بطلان الرواية اليهودية .

ومما يؤكد ذلك أنهم ذكروا في روايتهم ان تارح والد ابراهيم هو الذى خرج بابنه ابراهيم من أور الكلدانيين قاصدا أرض كنعان ، ولكنه مات في حاران التى اقام بها فترة من الزمن . ثم قام ابراهيم باتمام الرحلة التي بدأها أبوه حيث وصل الى أرض كنعان .

---

(١) انظر الايات ٤١-٥٠ من سورة مريم والاية ٤ من سورة الأنعام .

وهذا في غاية البطلان ، فان ابراهيم عليه السلام قد تبرأ من أبيه وقومه ، ولم يهاجر من بلده الا وقد أيقن أن اباه عدو لله ،وأنه ممن ناصبه العداء ،وتوعده بالأذى ،وطلب منه ان يعتزله ،أو يترك ما يدعو اليه من الحق كما حكى الله ذلك بقوله : " قال أراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا " فأجابه ابراهيم اجابة فيها الرفق والأدب والحرص على هداية أبيه :" قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا . وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا" ،فدلت هذه الآيات على ان اباه كان من جملة الكفار الذين هاجر ابراهيم طلبا للسلامة من أذاهم ، وأنه طلب منه ان يعتزله ويهجره ، فاعتزلهم ابراهيم عليه السلام بأن هاجر من أرضهم قال تعالى : " فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ،وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ". وتؤكد هذا المعنى آية قرآنية أخرى حيث بين الله سبحانه وتعالى ان ابراهيم عليه السلام حينما أيقن أن اباه ممن حق عليهم القول بعدم الهداية ، وتأكد انه عدو لله تبرأ منه قال تعالى :" فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم "(١) .

فكيف يصح أن يكون أبوه هو الذى خرج بابراهيم من أرض قومه ؟ بل كيف يصح ان يكون أبوه في جملة من هاجر مع ابراهيم ،فابراهيم انما هاجر مع من آمن به من قومه ؟ ولقد كانت بين فريق المؤمنين بامامة ابراهيم ، وفريق الكافرين الذين كان أبوه منهم ،مقاطعة شديدة أعلنها ابراهيم ومن معه من المؤمنين : قال تعالى في بيان ذلك : " قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ..."(٢)

---

(١) سورة التوبة ١١٤ (٢) سورة الممتحنة ٤

فدل هذا على ان الرحلة رحلة ايمانية اقتصرت على المؤمنين . ولم يكن أبوه من المؤمنين حتى يكون معه ، في هجرته الايمانية . وأما ما جاء في الرواية اليهودية من أن ابراهيم رحل الى مصر بسبب مجاعة حلت بأرض كنعان ، فان القرآن الكريم لم يذكرها لأنّ القرآن لم يذكر من رحلة ابراهيم الا ما كان في سبيل دينه وعقيدته كما سبق توضيح ذلك. وأما الرواية اليهودية فقد جعلت رحلات ابراهيم كلها رحلات معيشية بحتة .

علاقة ابراهيم بالرب من سفر التكوين :

يروى سفر التكوين كثيرا من صلات ابراهيم بالرب . وذلك منذ أن أمره بمغادرة حاران الى الأرض التي يريها . فقد ظهر له عدة مرات ووعده أن يبارك نسله ويورثه أرض كنعان . وليس في هذه العلاقة ما يصل نفعه الى الآخرين حسب الرواية اليهودية ، ولكنها علاقة خاصة غير واضحة المعالم ، وان كانت مرتكزة على الوعود بالبركة ووراثة الأرض . ولا يظهر في هذه العلاقة اى اثر للتشريع سوى مسألة ايجاب الختان على كل ذكر من نسل ابراهيم على صورة معاهدة تمت بين ابراهيم وربه على ان يعطى الله كل أرض كنعان لابراهيم ونسله الذى سيباركه ويكثر عدده كنجوم السماء . ويقوم ابراهيم مقابل ذلك بختان كل ذكر من أهل بيته وخدمه . واليك بيان تلك النصوص فيما يأتي :

النصوص المتضمنة للوعد الالهي :

١ - " وقال الرب لأبرام : اذهب من أرضك و من عشيرتك و من بيت أبيك الى الأرض التي أريك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه و تتبارك فيك جميع قبائل الأرض " (١)

---

(١) تكوين ١٢ : ١-٣

٢ - " وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض فبنى هناك مذبحا للرب الذى ظهر له "(١) .

٣ - " وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه : ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك اعطيها ولنسلك الى الأبد . وأجعل نسلك كتراب الأرض حتى اذا استطاع احد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضا يعد . قم امش في الأرض طولها وعرضها لأني لك أعطيها "(٢) .

٤ - " بعد هذه الأمور صار كلام الرب الى أبرام في الرؤيا قائلا : لا تخف يا أبرام أنا ترس لك أجرك كثير جدا . فقال أبرام : أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماض عقيما ومالك بيتي هو أليعازر الدمشقي . وقال أبرام أيضا : انك لم تعطني نسلا وهوذا ابن بيتي وارث لي . فاذا كلام الرب اليه قائلا : لا يرثك هذا بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك ." في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات" (٣) .

٥ - ولما كان أبرام ابن تسع و تسعين سنة ظهر الرب لابرام وقال له : أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملا ، فأجعل عهدى بيني وبينك وأكثرك جدا . فسقط أبرام على وجهه . و تكلم الله معه قائلا : أما أنا فهوذا عهدى معك و تكون أبا لجمهور من الأمم . فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك ابراهيم لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم وأثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما ،وملوك منك يخرجون . وأقيم عهدى بيني وبينك و بين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا لأكون الها لك ولنسلك من بعدك ،وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا وأكون الههم "(٤)

---

(١) تكوين ١٢ : ٧ (٢) تكوين ١٣ : ١٤-١٧ (٣) تكوين ١٥ : ١-٤

(٤) تكوين ١٧ : ١-٨

هذه النصوص الخمسة صريحة في دلالتها على أن الوعد الالهى لابراهيم ينحصر في ثلاثة أمور :

الأمر الأول : تعظيم اسمه : " وأعظم اسمك " . وهو لم يتكرر كما تكرر غيره من الوعد .

الأمر الثاني : الوعد بميراث أرض كنعان له ولنسله من بعده ،وهو وعد متكرر .

الأمر الثالث : الوعد بتكثير نسله بحيث يتعذر عده بسبب الكثرة ،وتشبيه تلك الكثرة بنجوم السماء التي يصعب احصاؤها ،وبتراب الأرض أيضا . وقد تكرر هذا الوعد لابراهيم أيضا في أماكن أخرى من سفر التكوين .

وهذان الوعدان وهما وعد الله بامتلاك الأرض ، ووعده بتكثير النسل ، عام لذرية ابراهيم كما يفهم من دلالة هذه النصوص وغيرها ؛ ولكن اليهود أرادوا أن يخصوا بهذا الوعد بعض ذرية ابراهيم ؛ فجعلوا اسحاق هو الوارث الشرعي لابراهيم من بين أبنائه الذين ذكروهم في أسفارهم وعلى رأسهم اسماعيل عليه السلام. ثم حصروا هذا الوعد في أحد ولدى اسحاق وهو يعقوب لأنه أبو بنى اسرائيل . ولكن التاريخ لا يؤيد هذا الادعاء ، كما أن نصوصهم أيضا تناقض موقفهم هذا . وسيأتي الكلام على هذه المسألة في بيان موقفهم من اسماعيل عليه السلام.

الميثاق بين الرب وابراهيم عليه السلام حسب رواية اليهود :

ان الوعود الالهية التي دلت عليها النصوص السابقة لم تكن دون مقابل حسب رواية سفر التكوين ؛ فان نصوصا اخرى دلت على ان ذلك مرتبط بأمرين يقوم بتنفيذهما ابراهيم ليتحقق له ولنسله هذا الوعد وهما :

الأول : أن يستقيم ابراهيم في سلوكه كما يريد الله منه " أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملا فأجعل عهدى بيني وبينك ... "

الثاني : وهو الأهم الذى تم عليه الميثاق المؤكد . الختان في ذريته وكل من انتمى اليه من خدم من الذكور " وقال الله لابراهيم : وأما أنت فتحفظ

عهدى أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم . هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك : يختن منكم كل ذكر فتختنون في لحم غرلتكم . فيكون علامة عهد بينى وبينكم . ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم . وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك ، يختن ختانا . وليد بيتك والمبتاع بفضتك فيكون عهدى في لحمكم عهدا أبديا . وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها انه قد نكث عهدى" (١) .

وبعد أن أخذ الرب هذا الميثاق من ابراهيم بادر ابراهيم بتحقيق ما طلب منه في الميثاق "فأخذ ابراهيم اسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته كل ذكر من أهل بيت ابراهيم و ختن غرلتهم في ذلك اليوم عينه كما كلمه الله . وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته . وكان اسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته . في ذلك اليوم عينه ختن ابراهيم واسماعيل ابنه . وكل رجال بيته ولدان البيت والمبتاعين بالفضة من ابن الغريب ختنوا معه" (٢) .

هكذا كان الميثاق ، وهكذا بادر ابراهيم بالتنفيذ . كما تقول الرواية .

ولكن الذى يستدعي هنا توجيه النظر اليه . هو كون هذا الميثاق ميثاقا ماديا يتعلق بقطع لحم الغرلة :" فيكون عهدى في لحمكم" وهو أمر لا يستساغ . فان الله سبحانه وتعالى يشرع لعباده و يفرض عليهم من الأمور حسب مقتضيات حكمته والختان أحد تلك الأمور المشروعة وليس هو كل شىء . والميثاق الالهى انما يتعلق بما شرع للناس من الدين الحق بصفة كلية لا بصفة جزئية . فأين ما طلب من ابراهيم القيام به من الواجبات الأخرى في الاعتقاد والعبادات والمعاملات ؟ أضف الى هذا أن الوعد الالهى في مقابل التمسك بدينه والحفاظ على عهوده ومواثيقه أكرم وأجل من أن يقتصر على المتاع الدنيوى الرخيص ، بل يشمل الحياة الطيبة في الدنيا ، والسعادة الأبدية في الدار الآخرة . هذا ما قصه الله علينا في القرآن الكريم وسيأتي توضيحه قريبا ان شاء الله تعالى .

---

(١) تكوين ١٧ : ٩-١٤ (٢) تكوين ١٧ : ٢٣-٢٧

المبحث الرابـع

موقفهم من حياة ابراهيم الخاصة ومناقشة ذلـــــك

زعمهم انه تاجربعرضه :

موقف بنى اسرائيل من حياة ابراهيم الخاصة لا يخلو من انتقاص ،ذلك الانتقاص قد لا يقصدون به الاساءة الى أبيهم الكبير الذى يفتخرون بالانتساب اليه ، ولكنهم لا يرونه منقصة وانما يرونه منقبة ينبغى أن تكون جزءاً من حياتهم ،لأنها من تقاليد الآباء التى ينبغى عليهم التمسك بها . وسر ذلك كله ضعف الوازع الدينى في نفوسهم حتى أصبحوا يتفاخرون بالحيل والخداع ،والروغان ، غير متقيدين بشريعة تنهاهم وتأمرهم . فوصفوا من أجل ذلك أولئك الانبياء الأطهار بصفات لا تتناسب مع مكانتهم العلية ، بل تلائم حياة اليهود المنطلقة من كل قيد يربطهم بالفضائل ليبرروا مايرتكبونه من الجرائم والأعمال المخلة بالمروءة بأنها من تقاليد الآباء الكرام.

ومن أهم المواقف التي وقفوها عن ابراهيم في حياته الخاصة بعد تجاهل رسالته ودعوته ،زعمهم أنه يتاجر بعرضه جاء ذلك في سفر التكوين حيث قال :

" وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته انى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر (١) . فيكون اذا رآك المصريون أنهم يقولون : هذه امرأته فيقتلوننى ويستبقونك . قولي : انك أختى ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك . فحدث لما دخل أبرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا ، ورآها روساء فرعون ومدحوها لدى فرعون . فأخذت المرأة الى بيت فرعون فصنع الى ابرام خيرا بسببها ، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء وأتن وجمال . فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراى امرأة

---

(١) ذكر ظفر الاسلام خان نقلا عن الأدب العبرى أن التلمود قال عن سارة : " ان جمالها أضاء العالم حينما فتح ابراهيم الصندوق الذى كانت فيه أمام رجال الجمرك المصريين - التلمود وتاريخه وتعاليمه ص ٨٣ .

أبرام . فدعا ابرام وقال ما هذا الذى صنعت بي ؟ لماذا لم تخبرني أنهـا امرأتك ؟ لماذا قلت هي أختى ؟ حتى أخذتها لتكون زوجتى ، والآن هوذا امرأتك. خذها واذهب . فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامرأته وكل ما كان له" (١) .

وفي حادثة أخرى مماثلة لهذه التي وقعت في مصر. يقول سفر التكوين : " وانتقل ابراهيم من هناك (٢) الى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار (٣) . وقال ابراهيم عن سارة امرأته هي أختى . فأرسل أبيمالـك ملك جرار وأخذ سارة . فجاء الله الى أبيمالك في حلم الليل وقال له x ها أنت ميت من أجل المرأة التى أخذتها ، فانها متزوجة ببعل ، ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب اليها . فقال يا سيد أأمة بارة تقتل ألم يقل هو لي أنها أختى ؟ وهي أيضا نفسها قالت : هو أخى . بسلامة قلبي ونقاوة يدى فعلت هذا . فقال له الله في الحلم : أنا ايضا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا . وأنا أيضا أمسكتك من أن تخطىء الى ، لذلك لم أدعك تمسها ، فالآن رد امرأة الرجل فانه نبي فيصلى لأجلك فتحيا . وان كنت لست تردها فاعلم أنك موتا تموت أنت وكل من لك. فبكر أبيمالك في الغد ودعا جميع عبيده وتكلم بكل هذا الكلام في مسامعهم . فخاف الرجال جدا . ثم دعا أبيمالك ابراهيم وقال له : ماذا فعلت بنا ؟ وبماذا أخطأت اليك حتى جلبت علي وعلى مملكتي خطيئة عظيمة ؟ أعمالا لا تعمل عملت بي . وقال أبيمالك لابراهيم : ماذا رأيت حتى فعلت هذا الشيء ؟ . فقال ابراهيم : انى قلت : ليس في هـذا الموضع خوف الله البتة فيقتلوننى لأجل امرأتي . وبالحقيقة أيضا هي أختـى

---

(١) تكوين ١٢ : ١١-٢٠

(٢) " من هناك " أى من بلوطات ممرا التي في حبرون انظر تكوين ١٣ : ١٨ و ١٣ و ١٨ : ١

(٣) جرار تسمى اليوم أم جرار ، وتقع جنوبي غزة وشرقى خان يونس بفلسطين انظر موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية جـ٨ ص ٦٠

ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي . فصارت لي زوجة . وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي أني قلت لها هذا معروفك الذى تصنعين الى . في كل مكان نأتي اليه قولي عني هو أخي . فأخذ أبيمالك غنما وبقرا وعبيدا واماء وأعطاها لابراهيم ورد اليه سارة امرأته . وقال له أبيمالك: هوذا أرضي قدامك اسكن فى ما حسن في عينيك وقال لسارة : انى قد أعطيت أخاك الفا من الفضة . ها هو لك غطاء عين من جهة كل ما عندك وعند كل واحد فأنصفت . فصلى ابراهيم الى الله فشفى الله أبيمالك وامرأته وجواريه فولدن . لأن الرب كان قد أغلق كل رحم لبيت أبيمالك بسبب سارة امرأة ابراهيم "(١) .

ان هذين النصين يصفان ابراهيم بثلاث صفات قبيحة . وهي : الجبن وعدم الغيرة ،والحرص على كسب المال بتعريض زوجته للفاحشة . وهذا يتعارض مع ما جاء في هذا النص الأخير الذى صرح أن ابراهيم نبي ، وذلك عند قول الرب لأبيمالك :" فالآن رد امرأة الرجل فانه نبي فيصلي لأجلك فتحيا " . وهذه الخصال الثلاثة في غاية الشناعة ،والبعد عن مقام النبوة الذى هو أعلى المقامات الانسانية وأشرفها .

ولقد أدى هذا الاعتداء اليهودى على مقام النبوة الى ان رمى أحد كتاب النصارى ، وهو مؤلف كتاب السنن القويم (٢) - رمى ابراهيم عليه السلام بالجبن وضعف الايمان حيث قال :" أتى ابراهيم مثل هذا في مصر منذ نحو عشرين سنة . ووبخه فرعون على ذلك لكنه أطلق سارة بهدايا كثيرة . ونرى من الآية الثالثة عشرة أن هذا الكذب كان علة اضطراب لهما . ومع ذلك لم ينتبه ابراهيم لكونه أخطأ به . والظاهر ان ارتكابه اياه كان جبنا ، فانه كان رئيس جند كبير رجاله متدربون في الحرب ، ومع ذلك عرض امرأته للخطر، واستعان بالخداع . وهذا من ضعف ايمانه ؟ !"(٣)

---

(١) تكوين ٢٠ بكامله
(٢) مؤلف كتاب السنن القويم هو القس وليم مارش .
(٣) السنن القويم جـ١ ص ١٤٧ .

اذا كان ايمان ابراهيم ضعيفا ، كما زعم الكاتب ، وكان ابراهيم موصوفا بالجبن والكذب والخداع ، فكيف وصفته الأسفار اليهودية بالبر والكمال وبأنه خليل الله ؟ وذلك حيث قال في سفر التكوين : " أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملا " (١) . " الست انت الهنا الذى طرد سكان هذه الارض من أمام شعب اسرائيل وأعطيتها لنسل ابراهيم خليلك الى الأبد " (٢) .

" وأما أنت يا اسرائيل عبدى يا يعقوب الذى اخترته نسل ابراهيم خليلي ... " (٣) فكيف يوصف خليل رب العالمين بالكذب والخداع وضعف الايمان ؟ .

واذا عدنا الى المقارنة بين الحادثتين اللتين رويتا في سفر التكوين في شأن سارة ، نجد أنهما تختلفان في أمور :

الأمر الأول : ان فرعون قد اتخذ سارة زوجة له حسب الرواية اليهودية " فأخذت المرأة الى بيت فرعون فصنع الى أبرام خيرا بسببها . وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء واتن وجمال " ولم يعلم فرعون أنها زوجته الا بعد فترة . وأما ملك جرار فقد علم بالأمر قبل أن يمسها : " ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب اليها " لذلك لم يضمها الى نسائه ولم تقم عنده مدة طويلة .

الأمر الثاني : ان فرعون عوقب على أخذها من ابراهيم " وضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراى امرأة أبرام " وأما ملك جرار فلم يعاقب بضربات مماثلة لأنه لم يمسها " .

الأمر الثالث : ان فرعون لم يعلم أن ساراى زوجة ابراهيم الا بسبب العقوبة التي تعرض لها هو وأهل بيته . وأما أبيمالك ملك جرار فقد علم ذلك بسبب الرؤيا التي رآها : " فجاء الله الى أبيمالك في حلم الليل وقال له : ها أنت ميت بسبب المرأة التى أخذتها فانها متزوجة ببعل " .

---

(١) تكوين (٢) اخبار الايام الثاني ٢٠ : ٧ (٣) اشعياء ٤١ : ٨

الأمر الرابع : ان فرعون أغدق على ابراهيم الأموال الكثيرة بعد أن اخذها منه ظنا منه أنها اخته . وذلك فيما يبدو اكراما للأخ ومكافأة له . وأما أبيمالك فلم يفعل ذلك حسب ما جاء في الرواية بل أعطاه المال وأكرمه بعد ان علم أنها زوجته .

الأمر الخامس : ان فرعون أخرج ابراهيم من مصر بعد ان علم بالأمر وهو غاضب ، وأبيمالك أكرم ابراهيم بعد ما تبين له الأمر كما أكرم سارة بعطايا وعاتبه عتابا كريما لعدم صدقه معه في أمر زوجته ، وأذن له ان يسكن في أى مكان يشاء من أرضه .

الأمر السادس : ان ابراهيم حينما وبخه فرعون على اخفاء أمر الزوجية عنه لم يقل له ان سارة أخته حقيقة . وأما في قصة أبيمالك فانه أخبره بعد عتاب أبيمالك أنها اخته حقيقة أيضا : " وبالحقيقة أيضا هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي فصارت لي زوجة " وعلى هذا يكون ابراهيم لم يكذب فيما قال لكلا الرجلين . ورميه بالكذب ليس الا جرأة على أنبياء الله وطعنا في مقامهم الرفيع .

واذا عدنا الى دراسة هاتين القصتين من الناحية العقلية ، نجد أن هاتين القصتين يستبعد وقوعهما في تلك السن التى كانت لسارة عند وقوعهما حسب الطبائع البشرية فانها كانت تبلغ من العمر نحو سبعين سنة حينما اخذها فرعون (١) . وحينما أخذها أبيمالك بعد ذلك كانت تبلغ نحو تسعين سنة . لأن الحادثة الأخيرة وقعت بعد الأولى بنحو عشرين عاما (٢) . فكيف يعقل ان تكون سارة محلا لرغبة الملوك وهي في تلك السن

---

(١) انظر السنن القويم جـ١ ص ١١٣

(٢) انظر السنن القويم جـ١ ص ١٤٧ .

من حياتها ؟ انه لأمر يدعو الى الاستغراب (١) .

وفي قصة أبيمالك تناقض ظاهر : وذلك بسبب دلالة أول القصة على خلاف ما تدل عليه نهايتها . فان الرواية في البداية دلت على أن أبيمالك رد سارة الى ابراهيم ولم يصبه أى عقاب لأنه لم يقربها كما قال : " ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب اليها ... فقال له الله في الحلم : أنا أيضا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا . وأنا أيضا امسكتك عن أن تخطئ الى . لذلك لم أدعك تمسها . فالآن رد امرأة الرجل فانه نبى فيصلي لأجلك فتحيا . وان كنت لست تردها فاعلم أنك موتا تموت " . وهذا يدل على أنه توعد بالعقاب ان لم يردها : " فأخذ أبيمالك غنما وبقرا وعبيدا واماء وأعطاها لابراهيم ورد اليه سارة " . وهذه بداية القصة فقد دلت على أن أبيمالك لم يرتكب خطأ ، وان الله عصم سارة من وصوله اليها وأن الله لم يعاقب أبيمالك بل حذره من استبقاء سارة وعدم ردها لابراهيم . فردها وأحسن الى ابراهيم واليها .

وأما نهاية القصة فقد دلت على أن سارة بقيت عند أبيمالك زمنا طويلا وأن الله عاقبه ، وعاقب امرأته وجواريه بالعقم مدة بقاء سارة عنده . وبعدما أعادها دعا له ابراهيم ، فرفع الله العقاب عنه ، فولدت امرأته وجواريه : " فصلى ابراهيم الى الله ، فشفى الله أبيمالك وامرأته وجواريه فولدن . لأن الرب كان قد أغلق كل رحم لبيت أبيمالك بسبب سارة امرأة ابراهيم " .

---

(١) كان ابراهيم يقيم في بلوطات ممرا بحبرون عندما بشر باسحاق وكان ذلك عند مجئ الملائكة لاهلاك قرية لوط وجاء في البشارة أن سارة سيكون لها ولد خلال سنة من تاريخ البشارة . وبعد هذه البشارة انتقل ابراهيم الى ارض الجنوب وسكن . بين قادش وتغرب في جرار . فهناك أخذ أبيمالك زوجته سارة ثم أعادها قبل أن يمسها . ثم ولدت سارة اسحاق في الموعد المحدد في البشارة . وكانت سارة تبلغ من العمر تسعين سنة حينما ولدت اسحاق أى انها في التسعين من عمرها عندما استولى عليها أبيمالك أى في سنة البشارة وقد يكون ذلك أثناء الحمل . فكيف شغف أبيمالك بجمال سارة وهي في التسعين من عمرها ؟ ان هذا لشئ عجيب! غير أنني أعود فأقول : اذا صحت الرواية في أصلها فقد يكون السبب في ذلك أن الله أعاد الى سارة نضارة شبابها وحيويتها حينما بشرها بالولد لتستعد للحمل والولادة والارضاع .

ليس من الممكن أن توصف امرأة ما بأنها أمسكت عن الولادة أو اصيبت بالعقم الا بعد مضى فترة طويلة تعد بالسنين لا بالشهور . فعليه فان اصابة آل بيت أبيمالك بالعقم بسبب سارة ما تمت الا بعد بقائها لديه فترة عرف فيها أنهم أصيبوا بالعقم . فلما أعادها ودعا له ابراهيم فتح الله كل رحم كان قد أغلق في بيت أبيمالك !؟

ثم اذا نظرنا نظرة أخرى الى القصتين ، نرى أن العقوبة التي حلت بفرعون وآل بيته وكذلك ما نزل بأبيمالك ، ليس له ما يبرره ، لأنّ ابراهيم أخبر الرجلين أنها اخته وأكدت سارة ما قاله ابراهيم . ولم يرد في الرواية ما يدل على أن الملكين أخذا سارة قسرا ، بل ورد فيها ما يدل دلالة واضحة على ان الرجلين أخذا سارة أخذا لا اكراه فيه ولا مكروه بموافقة من أخوى المرأة ورضاه العلني . فكيف يعاقبان على أمر لم يقدما عليه الا بعدما تأكدا أنه ليس للمرأة زوج ، وأن كلا منهما أى الأخوين قد وافقا على طلب الملكين ؟ والأقيس هنا أن يعاقب الأخوان اللذان أخفيا الحقيقة الزوجية ، وأعلنا خلاف ذلك.

والذى يستخلص من هاتين الروايتين وما شابههما من الروايات الواردة في أسفار اليهود مما يدل على جواز التفريط في العلاقات الزوجية والمتاجرة بها ،أنها قد صيغت عمدا ليتخذ اليهود ذلك ذريعة الى الوصول الى أهدافهم بتقديم نسائهم بضاعة رخيصة لمن يرغبون في الوصول الى وده أو الكيد به . ولهذا شواهد كثيرة في أسفارهم (١) وتاريخهم الطويل مع الأمم في شرقها وغربها .

---

(١) ومما جاء في أسفارهم من ذلك قولهم : ان اسحاق عليه السلام قال لزوجته انها أخته وذلك في جرار خوفا من ان يقتله أهلها ان عرفوا أنها زوجته لأنها حسنة المنظر وبعد مقام طويل اكتشف أمره : " وحدث اذ طالت الايام هناك أن أبيمالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوة ونظر واذا اسحاق يلاعب رفقة امرأته ودعا أبيمالك اسحاق وقال انما هي امرأتك فكيف قلت هي أختي ... لولا قليل لاضطجع أحد الشعب مع امرأتك فجلبت علينا ذنبا . فأوصى أبيمالك جميع الشعب قائلا : الذى يمس هذا الرجل او امرأته موتا يموت " (تكون ٢٦ : ٨ - ١١) .

ومن أراد الوقوف على جلية الأمر في هذا ،فليقرأ سفر أستير ، أحد الأسفار المقدسة لدى اليهود والنصارى . وهو سفر يدعى باسم المرأة اليهودية أستير التي زج بها اليهود الى بلاط الملك المجوسي في فارس ، حتى وصلت الى قلبه ونالت رضاه ، فأصبحت زوجته ، وبعد أن استوثقت من حبه وطاعته اياها مهما طلبت ، استصدرت منه أمرا يقضي بالاستيلاء على بيت كبير قواده هامان ، فقتله وسلطت اليهود على الشعوب ، بأن منحتهم سلطات قتلوا بها عددا لا يحصى من النفوس انتقاما لليهود الذين قتلوا في فارس . فاليهود يؤمنون بالوسيلة مهما كانت قذرة اذا كانت تؤدي الى الغاية التي ينشدونها . ولذلك يتنقلون من دين الى دين لغرض الافساد والاهلاك ولذلك تواصوا في أيام النبي صلى الله عليه وسلم قائلين :" آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون "(١)

*

مناقشة هذه القصة على ضوء النصوص الاسلامية

لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية ما يدل على ان ابراهيم عليه السلام قام بتلك الرحلة المذكورة الى مصر ، ولم يرد فيهما ما ينافي ذلك. الا ان الثابت في السنة ان ابراهيم عليه السلام هاجر بزوجته سارة فدخل بها قرية فيها ملك من الجبابرة . فأرسل الى ابراهيم يطلب سارة ، فأرسل بها ابراهيم اليه فلما أراد ان يصل اليها قامت تتوضأ ، وتصلي ، وتدعو ربها ان يحول بينها وبين وصول ذلك الكافر اليها ،فنجاها الله بأن اصابه بالصرع حتى صار ينتفض برجليه ، فأطلقها . ولم يأت في السنة تعيين لذلك البلد أو القرية التى هاجر اليها ابراهيم . وفي رواية أخرى صحيحة ان ذلك الجبار بعدما رأى ما ناله بسببها أطلقها و منحها جارية وهي هاجر أم اسماعيل عليه السلام . وتذكر الروايات الصحيحة ان ابراهيم قال عن سارة انها اخته وطلب منها ان تقول مثل ماقال .

---

(١) سورة آل عمران ٧٢.

واليك بيان بعض تلك النصوص :

١ - روى الامام البخارى في صحيحه عن طريق أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " هاجر ابراهيم بسارة . دخل بهما قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة ، فأرسل اليه أن أرسل الى بها . فأرسل بها . فقام اليها ، فقامت تتوضأ وتصلى فقالت : اللهم ان كنت آمنت بك وبرسولك فلا تسلط على الكافر فغط حتى ركض برجليه" (١) .

٢ - وروى البخارى أيضا عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات (٢) ، اثنتين منهن في ذات الله عز وجل ؛ قوله " انى سقيم " وقوله : " بل فعله كبيرهم هذا " وقال : بينما هو ذات يوم وسارة اذ أتى على جبار من الجبابرة ، فقيل له ان ههنا رجلا معه امرأة من احسن الناس ، فأرسل اليه فسأله عنها فقال : من هذه ؟ قال : أختى . فأتى سارة قال : يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك وان هذا سألنى عنك فأخبرته أنك اختى ، فلا تكذبينى . فأرسل اليها ، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ . فقال ادعى الله لي ولا أضرك ، فدعت الله فأطلق . ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد ، فقال : ادعى الله لي ولا أضرك ، فدعت فأطلق فدعا بعض حجبته فقال : انكم لم تأتونى

---

(١) صحيح البخارى . كتاب الاكراه باب اذا استكرهت المرأة على الزنا فلا حد عليها .

(٢) هذه الكذبة المنسوبة الى ابراهيم ليست مما ينافى العصمة لأنه لم يقصد بها ما يتبادر الى ذهن السامع ففي الاولى أراد انه سقيم بسبب ما عليه قومه من عبادة غير الله تعالى ولا شك أن توجع الأنبياء من كفر أقوامهم شبيه بتوجع المريض أو هو أشد . وفي الثانية اراد التوبيخ والتهكم ولذلك قال بعده " فاسألوهم ان كانوا ينطقون " أى ان كانوا ينطقون فكبيرهم فعل . فلم يتحقق المشروط وهو فعل كبيرهم لعدم تحقق الشرط وهو نطق الالهة المحطمة فتبين ان هذا ليس كذبا بالحقيقة وانما هو كذب في اعتقاد السامع . وأما الثالثة فقد بين الحديث مراد ابراهيم .
نقل هذا ابن حجر في الفتح عن ابن قتيبة ج ٦ كتاب الأنبياء عند شرح الحديث الأول .

بانسان ، انما أتيتموني بشيطان ، فأخدمها هاجر. فأتته وهو قائم يصلي ، فأومأ بيده : مهيم (١) ؟ قالت : رد الله كيد الكافر ـ أو الفاجر ـ في نحره ، وأخدم هاجر ... "(٢) .

وروى الامام مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضى الله عنه أيضا وفيها ان ابراهيم عليه السلام قال لسارة بعد قدومه على ذلك الجبار : " ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتي يغلبني عليك. فان سألك فأخبريه أنك أختي فانك أختي في الاسلام . فاني لا أعلم في الأرض مسلما غيري وغيرك" (٣) .

وليس في جميع الروايات ما يدل على ان ابراهيم عليه السلام ابتغى كسبا ماديا في اخفاء الحقيقة ، وانما أراد عليه السلام أن لا يغلبه ذلك الجبار على زوجته ان اخفى عليه الأمر . فانه ان علم حقيقة الأمر أسرع الى الاستيلاء عليها وقتل زوجها أو طرده من بلده ؛ وأما ان أخبر أنها أخته ، فلا داعي للاسراع في الاستيلاء عليها ،وانما يسعى لخطبتها من أخيها ، وارضائه ليوافق على تزويجها ، ولا يفكر في قتله أو سجنه أو طرده من بلده. لأن صلة الأخوة ليست كصلة الزوجية . فهي صلة قابلة للانفصام فاذا انفصمت عراها ، فمن السهل أن تعاشر المرأة بعد ذلك زوجا آخر ، وقد جرت على هذا حياة البشر اذ يموت زوج فتتزوج امرأته بعده ، أو يطلقها فتتزوج ، أو يغلب عليها فتتزوج أيضا ،وتنسى زوجها

---

(١) " مهيم ؟ " أى ما الخبر ؟ انظر فتح البارى ج٦ ص ٣٩٤

(٢) صحيح البخارى كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى : " واتخذ الله ابراهيم خليلا " ١٦٥ سورة النساء .

(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل ابراهيم الخليل عليه السلام . وقوله لسارة : " لا أعلم في الأرض مسلما غيري وغيرك " أراد به في الأرض التي فيها ذلك الجبار لا في جميع الأرض كما في قوله تعالى : " ان فرعون علا في الأرض " اى في أرض مصر لا في الأرض كلها لوجود ملوك آخرين فيها . ولا شك أن هناك مؤمنين غير ابراهيم عليه السلام في الأرض لأن لوطا كان من المؤمنين الذين هاجروا معه . ولعله لم يكن معه في تلك الحادثة .

السابق . وأما صلة الأخوة فهي صلة غير قابلة للانفصام - فليس من السهل أن يهان أخو المرأة أو يقتل فتعاشر من أهان أخاها أو قتلها ، وتنسى رباط الأخوة مهما أحسن اليها من قتل أخاها . ثم انه لا يوجد سبب يدعو الى اهانة الأخ أو قتله من قبل من يرغب في أن يتزوج أخته . وهذا والله أعلم في نظرى هو الذى أراده ابراهيم عليه السلام ، ولكن الله تعالى أراد أمر آخر فقد جعل ذلك الجبار يقدم على أخذ سارة الى بيته على خلاف ما قصده ابراهيم ، فأظهر هناك أنه هو الذى يتولى حماية أوليائه الصالحين . وأما ما لجأ ابراهيم عليه السلام اليه فلم يغن عنه شيئا ، ولكن الله تعالى كلأ زوجته من وصول ذلك الفاجر اليها ، ولم تبق في بيته الا دقائق معدودات عادت بعدها طاهرة منتصرة .

ان الاحاديث النبوية الشريفة دلت على ان ابراهيم عليه السلام وقع في ذلك المحذور قبل ان يعلم به حيث قدم أرض ذلك الجبار فعلم أنه سيطلب سارة وذلك بعد ما طلب منه ذلك الجبار أن يحضر اليه وسأله عن سارة ، فأخبره أنها اخته . ثم عاد فأخبر زوجته بما كان وطلب منها موافقته ان سئلت هي أيضا . ولم تذكر الرواية في أى أرض كانت تلك الحادثة .

وأما الرواية اليهودية فقد ذكرت ان ابراهيم كان على يقين بوقوعه في هذا المحذور قبل أن تطأ قدماه أرض مصر ، فطلب من سارة ان تقول لمن يسألها عما بينهما من الصلة : انها أخته " وحدث لما قرب ان يدخل مصر انه قال لساراى امرأته : انى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر . فيكون اذا رآك المصريون انهم يقولون : هذه امرأته ، فيقتلوننى و يستبقونك . قولى انك اختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك " .

فهذا في غاية البعد عن الصواب ، فان ابراهيم عليه السلام ما كان له أن يلقى بنفسه وعرضه الى التهلكة ، وهو قد علم ما سينتظره في مصر من خطر محقق ، وهو اما ان يقتل وتؤخذ منه زوجته ، فيكون بذلك مفرطا في نفسه وعرض أهله ، واما ان يعيش فيغلب على زوجته فيكون التفريط في عرضها أيضا .

وقد دلت الرواية اليهودية على أن أحد الأمرين لا بد من وقوعه . فاختار ابراهيم ان يحيا وتؤخذ زوجته الى قصر فرعون . بل تذهب الرواية اليهودية الى أبعد من هذا فتزعم ان ابراهيم أراد من اخفاء علاقة الزوجية أمرين وهما : النجاة من القتل لأن فرعون ان علم أنه زوجها قتله ثم استولى عليها . وطلب المال ، فان فرعون ان صدق . انها اخته يجزل العطاء لابراهيم طلبا لرضاه ، وهذا هو الذى تحقق " قولي انك اختى ليكون لي خير بسببك و تحيا نفسى من أجلك " . ثم انه من التناقض العجيب ان يزعموا انه فعل مثل هذا مرة أخرى بعد رجوعه من مصر . فكيف عاد ابراهيم الى هذا القول بعد أن رأى أنه لم يبق سرا عن فرعون مع اخفائه ولم يقتله بعد علمه ، وهذا يدل على أنهم رأوا ان الرغبة في المال هي التي دفعت ابراهيم الى هذا القول لا الخوف من القتل .

ودلت الرواية اليهودية أيضا على ان ابراهيم وصل الى ما أراد فقد أخذ فرعون امرأته وأكرمه على أنها أخته وأعطاه أموالا كثيرة : " فأخذت المرأة الى بيت فرعون . فصنع الى أبرام خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء واتن وجمال " .

وأما الرواية الاسلامية فقد دلت على أن ابراهيم أراد باخفاء الحقيقة أن لا تؤخذ منه زوجته ، لأنه ظن أن ذلك الملك ان علم أنها أخته فلا يأخذها منه ، وهذا علم من النص بمفهوم المخالفة حيث قال عليه السلام : " ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتى يغلبني عليك " فتبين ان مراده من اخفاء الحقيقة أن لا يغلب على زوجته فقط . فحقق الله مراده بدون تلك الوسيلة التي ظن ابراهيم انها تنفعه في دفع ظلم ذلك الجبار اذ أراه من قدرته ما جعله يبادر في اعادتها عزيزة مكرمة وهي لم تلبث في قصره الا مقدار ما كان يصلى ابراهيم عليه السلام ، وأقرب روايتى اليهود الى الحق هي قصة أبيمالك ملك جرار (١) .

---

(١) ذلك لأن سارة لم تقم عنده كثيرا في الرواية اليهودية وانه لم يقربها بسبب الرؤيا التي رآها . اذ علم فيها انها زوجة نبي ثم أعادها وأهداها واكرم زوجها وطلب منه أن يدعو له .

لقد سبق أن قصة فرعون مع ابراهيم تختلف عن قصة أبيمالك معه في عدة أمور . ومن بين تلك الأمور ان ابراهيم أخبر أبيمالك ان سارة أخته حقيقة بعد ان اخفى عليه . ثم علم أبيمالك حقيقة الأمر في رؤيا رآها . ولم يخبر ابراهيم فرعون بذلك مع أنه وبخه وعنفه وطرده من أرضه .

والأحاديث النبوية الصحيحة تنفي ان تكون سارة اخت ابراهيم حقيقة وانما هي أخته في الاسلام والايمان وهذه الأخوة التي قصدها ابراهيم وأفصح عنها لسارة . حيث قال : " فان سألك فأخبريه انك أختي ، فانك أختي في الاسلام فاني لا اعلم في الأرض مسلما غيري وغيرك ... " وكذلك ما جاء في الحديث من ان هذه المقالة احدى ثلاث كذبات ابراهيم يؤكد انها ليست أخته في النسب اذ لو كانت أخته لما كان لجعل كلامه من الكذب وجه .

وبهذا يعلم أن دعوى الأخوة الحقيقية بينهما في الرواية اليهودية باطلة . ويؤيد هذا ما جاء في قصة خروج تارح بابراهيم من أور الكلدانيين ، وما سبقها من ذكر أولاد تارح ، فانه لم يرد هناك أن تارح له من الأولاد غير ابراهيم وناحور وهاران ، ولو كانت سارة بنت تارح لذكرتها رواية سفر التكوين التي ذكرت أن سارة امرأة ابراهيم ، ووصفتها بأنها كنة تارح . مع أنها لو كانت بنته لكان ذكرها بالبنوة أولى من ذكرها بأنها كنته . لأنها صفة طارئة اقتضاها الزواج . وأما البنوة فهي صفة دائمة أولى بالاعتبار والذكر : " وهذه مواليد تارح . ولد تارح أبرام وناحور وهاران . وولد هاران لوطا . ومات هاران قبل تارح أبيه في أرض ميلاده في أور الكلدانيين . واتخذ أبرام وناحور لانفسهما امرأتين . اسم امرأة أبرام ساراي واسم امرأة ناحور ملكة بنت هاران أبي ملكة وأبي يسكة . وكانت ساراي عاقرا ليس لها ولد . وأخذ تارح أبرام ابنه ، ولوطا بن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة أبرام فخرجوا معا من أور الكلدانيين " . وفي هذا دليل على أنها ليست أخت ابراهيم الا في الاسلام .

وخلاصة القول أن الرواية اليهودية تنافى عصمة الأنبياء وطهارة بيوتهم ، حيث أطلقوا لسانهم على هذا النبي الكريم ، وزعموا أنه خاف من القتل ، وطمع في المال ، فقدم زوجته في سبيل ذلك لمن يرغب فيها . فابراهيم الذى لم يخف من جبروت قومه وسطوتهم ، ولم ينل من عزيمته وقوة ايمانه وشجاعته ما عامله به قومه من الشدة والبطش حتى ألقى في الجحيم ، ما كان له ان يخاف من ان يقتله ذلك الجبار حتى يقدم له زوجته فرارا بنفسه ، وطمعا في كسب المتاع الدنيوى الرخيص . ويكفى في الرد على هذه الفرية اليهودية ، أن الله تعالى خاطب الرسل بقوله : "يأأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم" (١) .

فابراهيم عليه السلام من جملة الرسل الذين تناولهم هذا الخطاب الذى يأمر الله فيه رسله ان يكون طعامهم من الطيبات التى أحلها الله تعالى . وأى كسب أخبث من ان يأكل رجل بزوجته ؟! ألا ما أقبح هذه الرواية وأشنعها ؟!

---

(١) سورة المؤمنون ٥١ .

علاقة ابراهيم بربه كما في القرآن الكريم والسنة النبوية

علاقة ابراهيم بربه في القرآن الكريم هي علاقة عبد مخلص بربه وسيده ، وعلاقة رسول أمين بمرسله العظيم . لذلك لم يأت الحديث عن ابراهيم عليه السلام الا من خلال هذه العلاقة . فقد ذكر الله ابراهيم نحو تسع وستين مرة . وفي كل مرة أشاد القرآن الكريم به وبمواقفه الايمانية من قومه وأبيه وأثنى عليه ثناء خلد ذكره في العالمين . ومع ما سبق بيانه من الآيات الكريمة التي تدل على أنه صاحب دعوة ورسالة ، أورد هنا بعض الآيات التي تتجلى فيها صلة ابراهيم بربه ، وشدة حرصه على طلب مرضاته ،وذلك من خلال ثلاثة أمور :

الأمر الأول : علاقته بربه في مناجاته . الأمر الثاني : علاقته بربه في طاعته وتنفيذ أوامره . الامر الثالث : علاقته بربه في اختبار حبه على حب المخلوقين .

علاقته بربه في مناجاته :

وتتجلى هذه العلاقة في الآيات القرآنية الآتية :

١ - " واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر . قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل : ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم "(١) .

٢ - " واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا واجنبني وبني ان نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم . ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند

---

(١) سورة البقرة ١٢٦ - ١٢٩

بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء . الحمد لله الذى وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء . رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء . ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب "(١) .

٣ - " الذى خلقني فهو يهدين . والذى هو يطعمني و يسقين . واذا مرضت فهو يشفين . والذى يميتني ثم يحيين . والذى أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين . رب هب لي حكما و الحقني بالصالحين . واجعل لي لسان صدق في الآخرين . واجعلني من ورثة جنة النعيم . واغفر لأبي انه كان من الضالين ولا تخزنى يوم يبعثون . يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم "(٢) .

في هذه الأدعية الكريمة تتجلى صلة ابراهيم عليه السلام بربه الكريم ، ومدى اخلاصه وحبه الشديد لربه تبارك وتعالى . وهذا ما لا وجود له في الأسفار اليهودية .

وبهذه الصلة الوثقى التي ربطت ابراهيم بربه ، استحق لقب خليل الله كما قال تعالى : " واتخذ الله ابراهيم خليلا "(٣) .

علاقته بربه في طاعته وتنفيذ أوامره :

وتتجلى هذه العلاقة في هذه الآيات الكريمات :

١ - " واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن ، قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين "(٤) .

---

(١) سورة ابراهيم ٣٥ - ٤١
(٢) سورة الشعراء ٧٨ - ٨٩
(٣) سورة النساء ١٢٥
(٤) سورة البقرة ١٢٤

٢ - " اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين "(١) .

٣ - " انى وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحاجونى في الله وقد هدان . ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا . وسع ربى كل شيء علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف أشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم "(٢) .

٤ - " ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم . وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين "(٣) .

علاقته بربه في اختياره حبه على حب المخلوقين :

وتتجلى صلة ابراهيم بربه في اختياره حب الله تعالى على نفسه ، وولده ووالده ، والناس أجمعين . وذلك هو الايمان الكامل الذى لا أكمل منه . فقد اختار ابراهيم ربه على نفسه حين اختار ان يلقى في النار في ذات الله تعالى . فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم أخبرنا ان من حلاوة الايمان أن يكره المرء أن يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار ، فان ابراهيم عليه السلام أحب أن يقذف في النار في سبيل النجاة بعقيدة الايمان . والجود بالنفس أقصى غاية الجود . وكذلك اختار حب الله تعالى على حب والده :

" فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم "(٤) .

---

(١) (٢) سورة الأنعام ٧٩ - ٨٣

(٣) سورة النحل ١٢٠ - ١٢٣ (٤) سورة التوبة ١١٤

وكذلك اختار حب الله على حب ولده الوحيد الذى أمر بذبحه فقام بالاستجابة والانقياد لتنفيذ أمر ربه ، ولكن الله تعالى أنعم عليه بالفداء ، وأبقى له ابنه ، وبشره بولد آخر يولد له ، ويولد لذلك الولد ولد أيضا ، مكافأة له على ماعزم عليه من ذبح ابنه الوحيد . قال تعالى مخبرا عن ذلك : " وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين ، رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى في المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا ان كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه في الآخرين . سلام على ابراهيم . كذلك نجزى المحسنين . انه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين "(١) .

وفي اختياره حب الله على حب الناس أجمعين قال ابراهيم ومن آمن معه لقومهم : " انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده "(٢) وفي سبيل اختيار مرضاة ربه على حب وطنه ، هاجر من أرضه قاطعا صلته بأرضه وعشيرته ، موطدا صلته بربه عز وجل الذى أنعم عليه ، وجعل في ذريته النبوة والكتاب . فالكتب الالهية التي نزلت كانت في آل ابراهيم " فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكم والنبوة وآتيناهم ملكا عظيما "(٣) .

وأما ابراهيم في السنة المطهرة فيكفي أن يعلم ان الاسلام أوجب على المسلمين في صلواتهم أن يقولوا في الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم : " اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك

---

(١) سورة الصافات ٩٩-١١٣ (٢) سورة الممتحنة ٤ (٣) سورة النساء ٥٤

على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد "(١) . وفي رواية أخرى عن طريق كعب بن عجرة قال :" سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فان الله قد علمنا كيف نسلم ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد "(٢) .

هكذا كانت علاقة ابراهيم بربه كما ذكرها القرآن الكريم الذى نزل من رب العالمين (ومن أصدق من الله حديثا) ؟ .

---

(١) اخرجه البخارى عن طريق ابي حميد الساعدى في كتاب الأنبياء .

(٢) أخرجه البخارى أيضا في كتاب الأنبياء باب (يزفون) .

المبحث الخامس

موقفهم من اسماعيل عليه السلام

أ - ميلاد اسماعيل ونشأته كما يروى اليهود :

اقترنت قصة ابراهيم الطويلة في سفر التكوين بقصة زواجه هاجر التي كانت جارية سارة ، وما وقع بين زوجتيه سارة التى لم تلد له ، وهاجر التي تزوجها بطلب من سارة التي رغبت أن يكون لها ولد من جاريتها ، كما تقول الرواية . وقد اشتملت هذه القصة على عديد من الصفات التي نسبت الى ابراهيم عليه السلام . ولما كان ذلك موقفا من مواقف اليهود منه ، كان لزاما على توضيحه بعرض نصوصه ، واليك بيانها :

قال سفر التكوين : " وأما ساراى امرأة أبرام فلم تلد له وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر فقالت ساراى لأبرام : هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة . ادخل على جاريتي لعلى أرزق منها بنين فسمع أبرام لقول ساراى . فأخذت ساراى امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لاقامة أبرام في أرض كنعان ، وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له . فدخل على هاجر فحبلت . ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها . فقالت ساراى لأبرام ظلمي عليك أنا دفعت جاريتي الى حضنك فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينيها يقضى الرب بيني وبينك . فقال أبرام لساراى هوذا جاريتك في يدك افعلى بها ما يحسن في عينيك . فأذلتها ساراى فهربت من وجهها فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور . وقال لها يا هاجر جارية سارة من أين أتيت والى أين تذهبين ؟ فقالت : أنا هاربة من وجه مولاتي ساراى . فقال لها ملاك الرب : تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه : اسماعيل ، لأن الرب قد سمع لمذلتك . وأنه يكون انسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع اخوته يسكن ... فولدت

هاجر لأبرام ابنا . ودعا أبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر : اسماعيل . كان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل" (١) .

وهذا النص يظهر لنا ابراهيم وكأنه رجل ضعيف لا يقوى على دفع الظلم وانصاف المظلوم ، ولو كان الظالم والمظلوم من تحت يده . وهو أمر لا يمكن تصديقه على هذا النحو الذى جاء في هذه الرواية لأن ابراهيم نبي والنبي لا يمكن أن يقر الظلم في آل بيته . فكيف يقول ابراهيم لسارة : " هوذا جاريتك تحت يدك فافعلى بها ما يحسن في عينيك " حتى أذلتها فأدى ذلك الى هربها فرارا من ظلمها ؟ واذ كان هذا يتصور وقوعه بين ضرتين احداهما ذات سلطان بحكم ولايتها على الأخرى ، والأخرى ضعيفة لكونها جاريتها ، فانه لا يتصور أن يقع هذا الظلم بموافقة من هذا النبي الكريم . ومما يوجه اليه نظر القارىء هنا ، أن اليهود دأبوا على ان يجردوا من لا ينتسب الى بنى اسرائيل أو آباء اسرائيل من كل فضيلة . لذلك لجأوا الى وصف هاجر وصفا متكررا أنها أمة ساراى . وخاصة في الكلام المنسوب الى الملك : " ياهاجر جارية ساراى " ، ألا يكفى أن يناديها باسمها فقط ؟ وفي الكلام المنسوب الى هاجر : " أنا هاربة من وجه مولاتي ساراى " وفيه أيضا تكرار متعمد لصفة العبودية والتذلل . وفي هذه الأمور اساءة الى ابراهيم عليه السلام ، كما أن فيه اساءة الى آل بيته بقصد التفاخر على من لا ينحدر من سلالة سارة .

ب - <u>طرد اسماعيل وأمه كما في سفر التكوين :</u>

ومع ما سبق الحديث عنه عن مولد اسماعيل عليه السلام ، وما حدث لأمه هاجر أثناء حمله من قبل سارة كما تقول الرواية ، فان الخلاف الذى وقع بين المرأتين كان مستمرا ، ثم بلغ ذروته حينما ولدت سارة ابنها اسحاق ، ورأت ابن ضرتها وهو يمزح ، فأثار ذلك الغيرة والخوف من أن يرث اسماعيل وهو ابن

---

(١) تكوين ١٦ : ١ - ١٦

الأمة - كما يزعمون - مع اسحاق ، وهو ابن الحرة الذى ينبغى أن يكون الوارث الشرعي لأبيه في نظرها ،أو في نظر كاتب السفر . فما كان منها الا أن تطلب من زوجها ابراهيم عليه السلام أن يطرد هاجر وابنها معللة طلبها بأن لا يرث ابن الجارية مع ابنها . ومع انزعاج ابراهيم من هذا الطلب فانه لم يجد بدا من أن يستجيب لرغبتها وخاصة بعد أن أكد الرب وجاهة طلبها .

قال سفر التكوين :" ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لابراهيم يمزح ، فقالت لابراهيم : اطرد هذه الجارية وابنها . لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحاق . فقبح الكلام جدا في عينى ابراهيم لسبب ابنه . فقال الله لابراهيم : لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها ، لأنه باسحاق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة عظيمة لانه نسلك فبكر ابراهيم صباحا وأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعا اياهما على كتفها والولد وصرفها فمضت وتاهت في برية بئر سبع ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت احد الأشجار ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس . لأنها قالت : لا انظر موت الولد فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت . فسمع الله صوت الغلام ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : مالك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومي احملى الغلام وشدى يدك به لأني ساجعله أمة عظيمة . وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملاءت القربة ماء وسقت الغلام وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامى قوس وسكن في برية فاران" (١) .

وفي هذا النص أيضا استضعاف لابراهيم عليه السلام ، ونسبة اقرار الظلم اليه ، حيث قالوا ان سارة طلبت منه طرد الجارية وابنها . وأقر الرب هذا الطلب أيضا مع تعليلها بأن ابن الأمة لا يرث مع اسحاق .

---

(١) تكوين ٢١ : ٩ - ٢١

أضف الى هذا تكرار كلمة الجارية وابن الجارية عوضا عن اسميهما ، وما يحمل هذا التكرار المتعمد من احتقار واذلال قصد منه اليهود الطعن في بني اسماعيل والتفاخر عليهم. ومن اظهار ابراهيم عليه السلام بمظهر الضعف والاستكانة أمام زوجته سارة ، زعمهم أنه صرف هاجر واسماعيل ليتيها في البرية وأنه لم يكن معهما في التيه .

جـ - قصة الذبيح كما يرويها اليهود :

وما يتصل بقصة ابراهيم في سفر التكوين قصة ابنه الذبيح الذى أمر الله ابراهيم أن يذبحه . فقد ذكر سفر التكوين وصف ذلك الابن الذى أمر ابراهيم بذبحه بأنه ابنه الوحيد الذى يحبه ، والابن الوحيد لابراهيم هو اسماعيل لأنه اكبر من اسحاق بثلاث عشرة سنة . وهو قبل ميلاد اسحاق وحيد ابراهيم عليه السلام . وأما اسحاق فلم يكن وحيد ابراهيم يوما من الأيام لأنّ كليهما عاشا حتى توفي ابراهيم فدفناه معاكما جاءت به الرواية (١) . يقول سفر التكوين في قصة الذبيح :

" وحدث بعد هذه الأمور ان الله امتحن ابراهيم فقال له : يا ابراهيم فقال : ها أنذا . فقال خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحاق واذهب الى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك . فبكر ابراهيم صباحا وشد على حماره وأخذ اثنين من غلمانه معه واسحاق ابنه وشقق حطبا لمحرقة وقام وذهب الى الموضع الذى قال له الله . وفي اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد . فقال ابراهيم لغلاميه : اجلسا انتما ههنا مع الحمار وأما أنا والغلام فنذهب الى هناك ونسجد ثم نرجع اليكما . فأخذ ابراهيم حطب المحرقة ووضعه على اسحاق ابنه وأخذ بيده النار والسكين فذهبا كلاهما معا . وكلم اسحاق ابراهيم أباه وقال : يا أبي . فقال : ها أنا ذا يا ابني . فقال : هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة ؟ فقال ابراهيم

---

(١) تكوين ٢٥ : ٩

الله يرى الخروف للمحرقة يا ابنى فذهبا كلاهما معا . فلما أتيا الى الموضع الذى قال له الله بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب . ثم مد ابراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه .. فناداه ملاك الرب من السماء وقال ابراهيم ابراهيم فقال : ها أنا ذا . فقال : لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا . لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى . فرفع ابراهيم عينيه ونظر واذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقرنيه فذهب ابراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه . . . ونادى ملاك الرب ابراهيم ثانية من السماء . وقال : بذاتي أقسمت يقول الرب انى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذى على شاطئ البحر ويرث نسلك باب أعدائه ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي " (١) .

لقد نص سفر التكوين هنا على أن الذبيح هو اسحاق عليه السلام .ولكن الباحث اذا قرأ ما يتعلق بهذه القصة ، وغيرها في سفر التكوين ، يجد في سطورها ما ينفى أن يكون اسحاق هو الذبيح ، ويؤكد أن اسماعيل هو المقصود لا غيره . ولكن اليهود أرادوا أن يسلبوا الفضائل من اسماعيل ويسندوها الى اسحاق أبيهم . وهما النبيان الكريمان والأخوان الصالحان . وقد تجلى ذلك في عدة مواقف بينتها نصوصهم واليك بيان ذلك في الأمور الآتية :

١ - جاء في مواضع عدة من سفر التكوين أن الله بشر ابراهيم باسحاق قبل ميلاده ، ووعده أنه سيقيم عهده مع ابنه اسحاق لا اسماعيل ، وأنه سيبارك في نسل اسحاق الذى سيرث ابراهيم دون اسماعيل لأنّ اسماعيل في زعمهم ابن الأمة وابن الأمة لا يرث مع ابن الحرة :

" فقال الله : بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحاق وأقيم عهدى معه عهدا أبديا لنسله من بعده "(٢)

---

(١) تكوين ٢٢ : ١ - ١٨ (٢) تكوين ١٧ : ١٩

" ولكن عهدى أقيمه مع اسحاق الذى تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية" (١) .

" لأنه باسحاق يدعى لك نسل" (٢) .

وهذه النصوص تدل على أن الذبيح غير اسحاق لأنه لا يصح أن يؤمر ابراهيم بذبحه وقد علم من هذه الوعود أنه سيعيش ، ويكثر نسله ، ويكون وارثا له دون أخيه اسماعيل . وهذا دليل بيّن على ان القصة محرفة .

٢ - لقد تكرر في سفر التكوين تعبيرها بأنها أمة سارة ، وبأنها تكبرت على سيدتها عندما علمت أنها حبلى " فدخل على هاجر فحبلت . ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها" (٣) .

فوصفها بالتكبر والتمرد ، يراد به الوصول الى القول : ان ابنها ليس جديرا بأن يكون وارث العهد الذى بين الرب وابراهيم .

٣ - كان التكبر المنسوب الى هاجر مقدمة ترتبت عليها النتيجة التي قصدها اليهود . وهي أن سارة حينما رأت أن أمتها تمردت عليها ، تظلمت عند ابراهيم منها ، فأعطاها ابراهيم الحق في أن تفعل بجاريتها ما تشاء لأنها جاريتها ، فأذلتها سارة مما أدى الى هربها : " فقالت سارای لأبرام : ظلمى عليك ، أنا دفعت جاريتي الى حضنك . فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينيها يقضى الرب بيني وبينك . فقال ابرام لساري : هوذا جاريتك في يدك ، افعلى بها ما يحسن في عينيك فأذلتها ساراى فهربت من وجهها " (٤) .

ان الغيرة في النساء طبيعة متأصلة لا تخلو منها المرأة في كل زمان ومكان ولو كانت من آل بيت النبوة ، وهى شعور في النفس قد يصدقه العمل أولا . ولكن التكبر المنسوب الى هاجر ، والغلظة المنسوبة الى سارة ، واقرار ابراهيم

---

(١) تكوين ١٧ : ٢١
(٢) تكوين ٢١ : ٢١
(٣) تكوين ١٦ : ٤
(٤) تكوين ١٦ : ٥-٦

لتلك القسوة والمذلة في آل بيته ، أمور لا شك أنها موضوعة ، بعيدة أن توجد في آل بيت قال الله في حقهم : " رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد "(١) . ولو فرضنا ذلك في حق المرأتين ، كان مانسب الى ابراهيم من اقرار الظلم في أهل بيته في غاية الفسان . والذى يتصور هنا حسب دلالة النصوص وطبائع النساء أن تكون سارة هي التي غارت من هاجر لأنها حملت وأصبحت ذات شأن عند ابراهيم . بينما هي لا تزال عاقرا .

ع - وذكروا أن هاجر بعد هربها من سارة وجدها ملاك الرب في البرية على عين ماء ، فناداها بما يشعر بالتحقير والاذلال : " وقال يا هاجر جارية ساراى من أين أتيت ؟ والى أين تذهبين ؟ " فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراى . فقال لها ملاك الرب : ارجعي الى مولاتك واخضعي تحت يديها "(٢) . فمخاطبة هاجر من الملك بهذا الخطاب : " يا هاجر جارية ساراى " على ما فيه من تكلف ، فيه ما يشعر بالتحقير ، وكذلك ما تردد فيه من قوله : " مولاتي ساراى " و" ارجعي الى مولاتك واخضعي تحت يديها " ، يدعو الى القول : ان ذلك كله قصد به التعالي والتكبر من اليهود على نسل اسماعيل ! وفي سبيل اثبات هذا التفوق والتعالى جعلوا ابراهيم يقر الظلم في بيته ، وجعلوا الملك أيضا يجارى هواهم .

٥ - وذكروا أيضا أن سارة طلبت من ابراهيم عليه السلام أن يطرد هاجر وابنها لأنها خافت أن يرث مع ابنها اسحاق ، وكان ذلك بعد ميلاد اسحاق (٣)

---

(١) سورة هود ٧٣ (٢) تكوين ١٦ : ٨ -٩

(٣) حينما طلبت سارة طرد هاجر وابنها كانت سن اسماعيل نحو خمسة عشر عاما أو اكثر لأن اسماعيل اكبر من اسحاق بأربعة عشر عاما ، والواقعة كانت بعد ميلاد اسحاق حسب الرواية اليهودية لأن علة طلب الطرد ، خشية ان يرث مع اسحاق . ثم يأتى في الرواية ما يدل على ان اسماعيل طفل صغير عندما طرد وذلك في قول الرواية " فطرحت الولد تحت احدى الأشجار " وقولها

===

وقالوا أيضا : ان الله طلب منه أن ينفذ ما طلبت منه سارة مع أنهم ذكروا أن طلب سارة هذا قبح جدا في عيني ابراهيم لأجل ابنه :

" ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لابراهيم يمزح . فقالت لابراهيم : اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى اسحاق . فقبح الكلام جدا في عيني ابراهيم لسبب ابنه . فقال الله لابراهيم : لا يقبح في عينيك من أجل الغلام و من أجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه باسحاق يدعى لك نسل وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لانه نسلك "(١) .

فتسمية اسماعيل ابن الجارية على لسان سارة وحكاية عن الله ، قصد منها ابعاد اسماعيل من ميراث أبيه ، وقطع صلة الأبوة والنبوة بينهما ، ليفسحوا المجال لاسحاق ونسله . ويدل على هذا التحقير المتعمد قوله : " ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لابراهيم " مع ما فيه من تجهيل و تكلف يمكن الاستغناء عنه بذكر اسم " اسماعيل " بلا حاجة الى هذا التطويل الركيك. ولكنه مقصود به الحط من قدره ، ومع ما ذكر في الرواية ان ابراهيم باسحاق يدعى له نسل ، على سبيل الحصر بتقديم الجار والمجرور على عامله جاء ما يناقضه في نهايته حيث قال : " وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لانه نسلك " فمؤداه ان اسماعيل ايضا مثل اسحاق في أنه نسل ابراهيم وأنه سيكون أمة ، وقد أكدت هذا المعنى كلمة " أيضا " الواردة في حق اسماعيل بعد قوله . باسحاق يدعى لك نسل . فتأمل الى قصر عقل واضع

=== حكاية عن الملك : " قومى احملي الغلام وشدى يدك به " وكيف يمكن ان يطرح تحت الشجرة ويحمل كذلك وهو في تلك السن ؟ واذا كان في هذه السن فلماذا لم يتحمل العطش الذى تحملته أمه وهى امرأة ؟ هذا الخلط والتشويش الذى يسود هذه الرواية دليل على قصر نظر من وضعها . والحديث الصحيح دل على ان ابراهيم جاء باسماعيل وأمه الى مكة وهو طفل رضيع وذلك ينافى ما زعم اليهود في أنه طرد حتى لا يرث مع اسحاق .

(١) تكوين ٢١ : ٩ - ١٣

هذه القصة . فانها تحمل في سطورها ما يدل على بطلانها . مصداقا لقول الله تعالى : " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ". (١)

وهذا كله يدل على أن اليهود تقولوا على اسماعيل كثيرا ووضعوا نصوصا نسبوها الى الله كذبا لينالوا من مكانته . ثم زعموا ان الذبيح هو اسحاق عليه السلام مع أن سياق الرواية عندهم يأبى ذلك. ذلك لأنهم قالوا ان الله أمر ابراهيم بذبح ابنه بقوله :" خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحاق " وليس اسحاق ابن ابراهيم الوحيد لأنه ولد بعد اسماعيل باربع عشرة سنة حسب رواياتهم فهو على هذا ابنه الثاني ، فلا يستقيم القول في حقه انه ابن ابراهيم الوحيد ، فابن ابراهيم الوحيد هو اسماعيل بلا خلاف ؛

قال الدكتور احمد شلبي : " وبالنسبة للتوراة يلحظ الباحث المدقق أن ما ورد بها عن تحديد الذبيح بانه اسحاق ، عمل مصنوع لم تتقن صنعته. فقد جاء في الاصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين " ان الله امتحن ابراهيم .... فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحاق ... " ووضع الاسم (اسحاق) مع كلمة " وحيدك " ،تناقض ظاهر ، لأن اسحاق لم يكن وحيدا لابراهيم في يوم من الأيام . فقد ولد وعمر اسماعيل أربع عشرة سنة ،كما نصت التوراة . وبقي اسماعيل واسحاق معا (٢) حتى مات ابراهيم ودفناه معا في مدينة حبرون (الخليل) . ودليل آخر نسوقه على كون الذبيح

---

(١) سورة النساء ٨٢

(٢) قوله : " بقى اسماعيل واسحاق معا " يوهم أنهما بقيا في مكان واحد وهو غير صحيح لأن اسماعيل كان يقيم بمكة لا بالشام كما هو ثابت في الاسلام. وما ذكرته الرواية اليهودية أنهما اشتركا في دفن ابراهيم عليه السلام لا يقتضى كونهما معا لجواز حضور اسماعيل لزيارتهم . ولا خلاف بين المسلمين وأهل الكتاب في أنه غير مقيم مع أبيه وان اختلفا في تحديد المكان.

اسماعيل لا اسحاق ؛ ذلك أن كاتبي التوراة من اليهود دأبوا على محاولة اسناد الفضائل الى أجدادهم . فاذا كان في قصة الذبيح طاعة وامتثال، فانهم ينسبونها لاسحاق . وستراهم كذلك يحاولون أن ينقلوا بركة اسحاق الى جدهم يعقوب بدلا من أخيه الاكبر عيسو "(١) .

ومما يدل على أن اسم اسحاق قد أدرج عمدا في هذه الرواية الوصف الذى وصف به الولد الوحيد في قوله :" الذى تحبه " هذا الوصف لا يعقل ان يوصف به اسحاق وحده ، لوجود ابن آخر معه يحبه ابراهيم حبا قد يكون اكثر من حبه لاسحاق . لأنه ولده البكر الذى وهب الله له بعد كبر سنه فآنس به وحشته في غربته . وهذا الولد هو اسماعيل . ولا أدل على حب ابراهيم لابنه اسماعيل مما جاء في رواية سفر التكوين من قوله حينما بشر باسحاق : " ليت اسماعيل يعيش أمامك " أى انه كان يتمنى ان يعيش اسماعيل ، ويبارك له فيه وفي ذريته عوضا عن البشارة بولد آخر فاستجاب الله له فيه فقال :" وأما اسماعيل ، فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة (٢) .

وان كان حب ابراهيم لاسماعيل كحبه لاسحاق بعد ميلاده ؛ فان هذا الوصف لأحدهما بعد ميلاد الثاني غير مستقيم ؛ وانما المستقيم هذا لو وصف به اسماعيل قبل ذلك ، لأنه ابنه الوحيد ، والابن الوحيد يخصه والده بحب يفوق حب من له عديد من الأولاد . فثبت أن هذا الوصف يتناسق مع وصف الابن بالوحيد ، والابن الوحيد هو اسماعيل عليه السلام .

---

(١) مقارنة الأديان . اليهودية ص ١٣٧-١٣٨ .

(٢) تكوين ١٧ : ٢٠

د - تعيين الذبيح على ضوء النصوص الاسلامية :

وردت قصة الذبيح في القرآن الكريم في معرض الثناء على ابراهيم عليه السلام الذى امتثل أمر ربه في ذبح ابنه فجاد به على حبه الشديد له . فلما ظهر عزمه وامتثاله ، نسخ الله تعالى ذلك وفداه بذبح عظيم . ولم يرد في الآيات القرآنية تعيين الذبيح لأن القصة جاءت تبعية أى تبعا لقصة ابراهيم . ولم تأت على سبيل الاستقلال . فالآيات الواردة في ذلك دلت على أن ابراهيم عليه السلام قام بهذا العمل العظيم ؛ فبشره الله باسحاق نبيا من الصالحين مكافأة له على ما قام به في سبيل طاعة ربه من العزم الوطيد على ذبح ابنه الوحيد ؛

ولما كانت الايات الواردة في ذلك لم تنص على تعيين الذبيح ، اختلف العلماء في تعيينه على قولين : قول بانه اسماعيل عليه السلام ، وقول بانه اسحاق عليه السلام.

ولكن سياق الآيات القرآنية يكاد يكون نصا في أن الذبيح غير اسحاق عليه السلام . وهو اول مولود وهب الله لابراهيم بعد هجرته من أرض قومه بعد ان دعا ربه ان يهب له ولدا يكون من الصالحين .

قال الله تعالى :" وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين . رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم. فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين . فلما اسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه في الآخرين . سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحاق ، ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين" (١)

---

(١) سورة الصافات ٩٩ - ١١٣

هذه الايات الكريمات دلت على أن الذبيح هو اسماعيل في عدة مواضع :

الموضع الأول : في دعاء ابراهيم عليه السلام ربه ان يهب له من الصالحين ، وهو لم يزل في أرض ميلاده التي هاجر منها ، اذ جاء دعاؤه موصولا باعلان الهجرة حيث قال : " انى مهاجر الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين" فاستجاب الله دعاءه وبشره بغلام حليم (فبشرناه بغلام حليم " . ولا شك في أن هذا الغلام الذى بشر به ابراهيم هو اسماعيل لا اسحاق لأنّ اسحاق ولد بعده بنحو أربع عشرة سنة حسب الرواية اليهودية . فالذبيح أول غلام بشر به ابراهيم عليه السلام . فأول غلام وهب الله لابراهيم هو اسماعيل باتفاق المسلمين وأهل الكتاب . وما من شك في ان ابراهيم طلب من الله أن يهب له من الصالحين قبل أن يولد له ولد ، وأما بعد أن ولد له اسماعيل فقد قربه عينا ، وطاب نفسا ، فلم يطلب من ربه سوى أن يبارك له فيه ، ولذلك كانت البشارة باسحاق لأمه سارة ، لأنه بالنسبة لها أول مولود ، (وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ،و من وراء اسحاق يعقوب " ولا شك أن البشرى في حقها أبلغ منها في حق ابراهيم عليه السلام ،لأنّ لديه ولدا آخر هو اسماعيل عليه السلام .

الموضع الثاني : في عطف بشارة اسحاق على بشارة الغلام الذبيح اذ جاء بعد تمام قصته :" وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين " والعطف يدل على المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ، اذ الشيء لا يعطف على نفسه . فدل على أن الذبيح اسماعيل لا اسحاق .

الموضع الثالث : مجيء البشارة باسحاق بعد قصة الذبيح يوحى بأن ذلك كان على سبيل الجزاء والمكافأة على استسلامه وانقياده لأمر الله تعالى صابرا محتسبا ، فلما عزم على التضحية بابنه الوحيد في حب الله تعالى ، كافأه الله بأن أبقى له ولده ، وبشره بولد آخر سيولد له ويكون نبيا من الصالحين .

وفي ذلك من ادخال السرور على قلب الأب الرحيم ما لا يعلم قدره الا الله تعالى . وذلك بعد أن أيقن أن ولده الوحيد الذى استأنس به في كبره وبلغ السعى معه سيموت على يده . فاذا به يعود به حيا وقد فداه الله ووعده بغلام آخر يعتبر من الأنبياء الصالحين .

الموضع الرابع : في عودة الضمير في قوله : " وباركنا عليه " على الذبيح على أحد القولين (١) فانه يقطع الشك في ان الذبيح غير اسحاق لأنه عطف عليه اسحاق بقوله : " وعلى اسحاق " أى بارك الله على الغلام الذبيح وعلى اسحاق . فتحتم ان يكون ذلك اسماعيل .

الموضع الخامس : في قول الذبيح لأبيه : " ستجدني ان شاء الله من الصابرين" فوصف نفسه بالصبر على ما أمرالله به أباه من بلاء مبين ، وجاء وصف اسماعيل بالصبر وصفا صريحا في قول الله تعالى : " واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين "(٢) فدل هذا على أن الغلام الموصوف بالحلم الذى بشر به ابراهيم والقائل له : " ستجدني ان شاء الله من الصابرين " هو اسماعيل عليه السلام .

الموضع السادس : وهو في غير آيات الصافات وذلك في قوله تعالى : " واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا "(٣) فوصفه بصدق الوعد دليل على ما امتاز به اسماعيل على غيره في هذا الشأن ، اذ قدم نفسه بلا جزع كما وعد أباه صابرا مطيعا ، فأى صبر أعظم من هذا ؟ وأى صدق أفضل من أن يصدق المرء في بذل نفسه طاعة لربه وبرا بأبيه ؟ ومن كانت هذه صفاته ، فحرى ان يقول الرب الكريم عنه : " انه كان صادق الوعد " لما في ذلك من الفضل والشرف ما يفوق القدر المشترك بينه وبين سائر الأنبياء في صدق الوعد ، لأنهم جميعا صادقون في وعودهم ، ولكن اسماعيل له مزيد فضل ومزية في ذلك .

---

(١) انظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ٢٣ ص ٦٦ وفتح القدير جـ٤ ص ٤٠٦ .
(٢) سورة الانبياء ٨٥ (٣) سورة مريم ٥٤

ولقد رجح كون الذبيح اسماعيل الامام ابن القيم رحمه الله تعالى ، ونقل ذلك أيضا عن شيخ الاسلام ابن تيمية . وذلك في كتابيه ، زاد المعاد في هدى خير العباد ، واغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١) . فقال في زاد المعاد : " واسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وأما القول بأنه اسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجها . وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : " هذا القول انما هو متلقى عن أهل الكتاب ، مع انه باطل بنص كتابهم ، فان فيه : " ان الله أمر ابراهيم أن يذبح ابنه بكره " وفي لفظ " وحيده " ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين ان اسماعيل هو بكر أولاده . والذى غر أصحاب هذا القول : أن في التوراة التى بأيديهم : " اذبح ابنك اسحاق " قال : وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم ، لأنها تناقض قوله : " اذبح بكرك ووحيدك " . ولكن اليهود حسدت بنى اسماعيل على هذا الشرف وأحبوا ان يكون لهم ، وأن يسوقوه اليهم ويختاروه لأنفسهم دون العرب ويأبى الله الا ان يجعل فضله لأهله . وكيف يسوغ ان يقال : ان الذبيح اسحاق والله تعالى قد بشر أم اسحاق به وبابنه يعقوب . فقال تعالى عن الملائكة انهم قالوا لابراهيم لما أتوه بالبشرى : (١١ : ٧٠-٧١ لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب " فمحال ان يبشرها بأنه يكون لها ولد ثم يأمره بذبحه . ولا ريب ان يعقوب عليه السلام داخل في البشارة . فتناول البشارة لاسحاق ويعقوب واللفظ واحد . وهذا ظاهر الكلام وسياقه " (٢) .

وفي اغاثة اللهفان رجح ابن القيم رحمه الله كون الذبيح/ اسماعيل عليه السلام من عشرة وجوه (٣) .

---

(١) انظر اغاثة اللهفان جـ ٢ ص ٣٥٤ - ٣٥٧

(٢) زاد المعاد في هدى خير العباد جـ١ ص ٢٨ - ٢٩
تحقيق محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٣هـ

(٣) انظر جـ٢ ص ٣٥٤ - ٣٥٧

وكذلك رجح الحافظ ابن كثير كون اسماعيل هو الذبيح فقال بعد ذلك معلقا على آراء القائلين بخلافه : " وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار فانه لما أسلم في الدولة العمرية ، جعل يحدث عمر رضى الله عنه عن كتبه قديما فربما استمع له عمر رضى الله عنه ،فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده غثها وسمينها . وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة الى حرف مما عنده "(١) .

ورجح أبو السعود (٢) كون اسماعيل هو الذبيح وكذلك النيسابوري رجح ذلك في تفسيره (٣) .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : " اعلم وفقني الله وإياك ان القرآن العظيم قد دل في موضعين على ان الذبيح هو اسماعيل لا اسحاق أحدهما : في الصافات . والثاني : في هود . أما دلالة آية الصافات على ذلك ، فهي واضحة جدا من سياق الايات. وايضاح ذلك: انه تعالى قال عن نبيه ابراهيم : " وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين ، رب هب لي من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى في المنام أنى اذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم ،وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم . كذلك نجزى المحسنين (انه من عبادنا المؤمنين)(٤) " قال بعد ذلك عاطفا على البشارة الأولى : " وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين " . فدل ذلك على ان البشارة الأولى/ شئ غير المبشر به في الثانية ،لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على ان معناه : فبشرناه باسحاق ،ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضا :

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٧ (٢) تفسير ابي السعود جـ٤ ص ٢٧٤

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ٢٣ ص ٦٢ - ٦٣

(٤) الآية الأخيرة لم تكتب في الأصل .

وبشرناه باسحاق . فهو تكرار لا فائدة فيه ينزه عنه كلام الله . وهو واضح في أن الغلام المبشر به أولا الذى فدى بالذبح العظيم ،هو اسماعيل وان البشارة باسحاق نص الله عليها مستقلة بعد ذلك. وقد أوضحنا في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى :" من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤ من فلنحيينه حياة طيبة " الآية ، ان المقرر في الأصول أن النص من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احتمل التأسيس والتأكيد معا ، وجب حمله على التأسيس ، ولا يجوز حمله على التأكيد الا لدليل يجب الرجوع اليه. ومعلوم في اللغة العربية أن العطف يقتضي المغايرة ، فآية الصافات هذه دليل للمنصف على أن الذبيح أسماعيل لا اسحاق ويستأنس لهذا بأن المواضع التي ذكر فيها اسحاق يقينا عبر عنه في كلها بالعلم لا الحلم. وهذا الغلام الذبيح وصفه بالحلم لا العلم. وأما الموضع الثاني الدال على ذلك الذى ذكرنا في اول سورة هود فهو في قوله تعالى :" وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ، ومن وراء اسحاق يعقوب " لأنّ رسل الله من الملائكة بشرتها باسحاق وان اسحاق يلد يعقوب . فكيف يعقل ان يؤمر ابراهيم بذبحه وهو صغير وهو عنده علم يقين بأنه يعيش حتى يلد يعقوب فهذه الآيات أيضا دليل واضح على ما ذكرنا . فلا ينبغي للمنصف الخلاف في ذلك بعد دلالة هذه الأدلة القرآنية على ذلك . والعلم عند الله تعالى "(١) .

ومع ما سبق ايراده من الأدلة المؤيدة كون الذبيح اسماعيل وما جاء من أقوال العلماء في ذلك ، ينبغى ان يعلم ان اسماعيل واسحاق عليهما السلام نبيان كريمان ، وأيا كان الذبيح ، فان كلا منهما ولد الأب كريم ، هو ابراهيم عليه السلام ، وهو أفضل منهما ، واليه ينتسب بنو اسماعيل وبنو اسحاق.

---

(١) أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن جـ٦ ص ٦٩١ - ٦٩٣ .

وليست العبرة عند الله تعالى والمؤمنين به بالنسب ،وانما هى بالايمان والعمل الصالح . وعلى هذا دل قول الله تعالى في حق ذرية ابراهيم حينما دعا لهم ابراهيم بالامامة بعد ان وعده الله بامامة الناس بقوله : " واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتي ، قال لا ينال عهدى الظالمين " فاستثنى الله عز وجل الظالمين من ذريته . وعلى هذا دلت نهاية قصة الذبيح والبشارة باسحاق حيث قال تعالى :" ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين " فالمحسن يجازى على احسانه وحسناته ، والظالم يحاسب على ظلمه وجرمه ،ولا ينفعه نسبه عند الله شيئا . وعليه فان كون الذبيح اسماعيل أو اسحاق لا يترتب عليه شيء من الشرف لمن انتسب اليه . ومع ذلك ينبغى قبول ما دلت عليه النصوص في هذه القصة فهي أولى بالقبول .

ومما ينبغى الاشارة اليه هنا أن معرفة من الذبيح من ولدى ابراهيم أو جهل ذلك ليس مما يقدح في عقيدة أحد . ولكن ثم أمر آخر يتصل بابراهيم واسماعيل يتحتم الايمان به ،ويؤدى انكاره الى الكفر ،لأنه مما علم من الدين بالضرورة . ذلك الأمر هو بناء بيت الله الحرام على يد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بمكة المكرمة . فقد ثبت ذلك بنصوص من الكتاب والسنة ثبوت مكة وحرمتها . ولكن اليهود ، تجاهلوا هذا الأمر العظيم ولم يذكروه في أسفارهم التي تذكر عادة الأحداث التاريخية بتفصيل ممل . ولما كان هذا الأمر العظيم فيه الفضل لاسماعيل وذريته ، وفيه الرمز الى بعثة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم أهملوا ذكره . بل ذهبوا الى ان اسماعيل كان يقيم في برية بئر سبع . وما ذلك الا هضم للحقوق ، وحسد لبني اسماعيل وكفر بالنبي الخاتم .

ولقد ذكر القرآن الكريم ان الله تعالى بوأ لابراهيم مكان البيت . وأنه أمره أن يبنى له بيتا ويطهره للطائفين به والعاكفين حوله ، والركع السجود بساحاته ، فقال :

" واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق "(١) وقال :" واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود . واذ قال ابراهيم : رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم "(٢) .

وقال :" ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا ، وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا . ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين "(٣) .

وقال :" واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم . ربنا انى اسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون "(٤)

---

(١) سورة الحج ٢٦ - ٢٧

(٢) سورة البقرة ١٢٥ - ١٢٩

(٣) سورة آل عمران ٩٧

(٤) سورة ابراهيم ٣٥ - ٣٧

هذه الآيات كلها دلت على ان ابراهيم واسماعيل باشرا بناء بيت الله الحرام طاعة لأمر الله تعالى ، وان ابراهيم أمر ان ينادى في الناس بالحج الذى يعتبر أحد أركان الاسلام الخمسة وأنه دعا ربه لذريته التى أسكنها في مكة ان يصرف اليهم قلوب الناس ويسوق اليهم الارزاق ويبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم كتاب الله ، ويعلمهم ما لا يعلمون من الكتاب والحكمة ، ويطهرهم من المعاصى والشرك . فاستجاب الله له فأصبح الوادى الذى لا زرع فيه تساق اليه ثمار الدنيا من كل حدب وصوب ، و تنساق اليه قلوب المؤمنين منذ ذلك الحين الى يومنا هذا وحتى يأتي وعد الله . ولا يزال من يقصد مكة بالعمرة أو الحج في ازدياد مطرد . وكذلك استجاب الله دعاء ابراهيم واسماعيل الذى دعيا به وهما يبنيان البيت قائلين : " ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم " (١) فأصبحت ذرية اسماعيل عليه السلام أمة مسلمة ،أى السواد الأعظم منها ،وان كان القليل منها غير مسلم تحقيقا لقوله تعالى : " و من ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ".

لقد طوى اليهود صفحة هذه القصة العظيمة من أسفارهم طيا أبديا ، فأخفوا أعظم جانب من جوانب الرسالة الابراهيمية ،وطمسوا المعالم المشرقة من حياته وحياة اسماعيل عليهما السلام . وأرادوا بذلك اطفاء نور الله الذى يهدى

---

(١) روى الامام البخارى في صحيحه عن طريق ابن عباس قال " ثم انه بدا لابراهيم فقال لأهله : انى مطلع تركتى فجاء فوافق اسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلا له فقال يا اسماعيل ان ربك أمرنى ان ابنى له بيتا قال أطع ربك فقال انه قد أمرني ان تعيننى عليه قال اذن افعل او كما قال . قال فقاما فجعل ابراهيم يبنى واسماعيل يناوله الحجارة ويقولان : " ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم " قال حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ على نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان : " ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم " . كتاب الأنبياء . باب يزقون .

الله له من يشاء من عباده " يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون "(١) .

وعلى الرغم من اخفاء اليهود قصة بناء البيت ومقام اسماعيل بمكة ، فان طرفا من الخيط الموصل الى موضع بئرها من سفر التكوين لا يزال باقيا شاهدا عليهم . ولعل من المفيد للقارى ان نضع هنا ما جاء في مسكن اسماعيل وأمه في سفر التكوين ، مقابل ما جاء في صحيح البخارى في ذلك بغض الطرف عن الترتيب الذى جاء به الحديث في صحيح البخارى ، واليك بيان ذلك :

مقام اسماعيل كما في صحيح البخارى	مقام اسماعيل كما في سفر التكوين
(غير مرتب)	(غير مرتب)
١ ـ ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل ... حتى وضعهما عند البيت (٢) .	١ ـ وصرفها فمضت وتاهت في برية بئر سبع .
٢ ـ ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء .	٢ ـ وأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاها لهاجر .
٣ ـ حتى اذا نفد ما في السقاء .	٣ ـ ولما فرغ الماء من القربة ..
٤ ـ حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم .	٤ ـ طرحت الولد تحت احدى الاشجار .

---

(١) سورة التوبة ٣٢

(٢) دل هذا الحديث على ان ابراهيم عليه السلام لم يصرف هاجر واسماعيل ، بل كان معهما في هذه الرحلة حتى تركهما في موضع البيت . وفي اول الحديث جاء مايدل على ان سارة لم تعلم بخروج ابراهيم بهاجر واسماعيل وذلك حيث قال ابن عباس رضى الله عنه : " أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقا لتعفى اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل " الحديث . فدل هذا على ان ما رواه اليهود من طرد سارة لهاجر وابنها غير صحيح وانما قصد به الاساءة والاهانة لذلك زعموا ان ابراهيم صرفهما ولم يكن معهما .

مقام اسماعيل كما في صحيح البخارى (غير مرتب)	مقام اسماعيل كما في سفر التكوين (غير مرتب)
٥ - وجعلت تنظر اليه يتلوى ... فانطلقت كراهية ان تنظر اليه .	٥ - ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس لأنها قالت لا أنظر موت الولد .
٦ - فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا	٦ - ونادى ملاك الله هاجر من السماء ..
٧ - فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله .	٧ - وقال لها : مالك ياهاجر ؟ لا تخافى لأنّ الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو...
٨ - فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه .. حتى ظهر الماء .	٨ - وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء..
٩ - وجعلت تغرف من الماء في سقائها .. فشربت وأرضعت.	٩ - فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام ..
١٠- فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم .. وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب ..	١٠ - وكان الله مع الغلام فكبر
١١- فلما أدرك زوجوه امرأة منهم ..	١١- وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر.
١٢- (ربنا انى اسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم) (١)	١٢- وسكن في البرية .. وسكن في برية فاران .

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه برواية عبدالله بن عباس في كتاب الأنبياء . باب (يزفون) هذا الدعاء دعا به ابراهيم عندما ترك هاجر واسماعيل بمكة واقفا حيث لا يريانه مستقبلا موضع البيت رافعا يديه .

مقام اسماعيل كما في صحيح البخارى (غير مرتب)	مقام اسماعيل كما في سفر التكوين (غير مرتب)
١٣- "ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان راميا "(١)	١٣- وكان ينمو رامي قوس(٢) .

ومن تأمل بالانصاف في هذين النصين وقارن بينهما ، تبين له أن اليهود سلكوا في تحريف هذه القصة مسلكين :

المسلك الأول : مسلك الحذف وهو كثير في أسفارهم كحذف دعوة الرسل وما جرى بينهم وبين أممهم . وقد حذفوا قصة بناء البيت ودعوة ابراهيم الناس الى الحج اليه (٣) .

المسلك الثاني : مسلك التبديل كتبديل مكة ببرية بئر سبع ، وتبديل امرأة من جرهم ، بامرأة من مصر ، وتبديل الذبيح اسماعيل باسحاق . وهذا النوع من التحريف كثير جدا في أسفارهم .

والمقصود بهذا كله عدم الاعتراف بالفضل لأهله ، ولو كان في

---

(١) أخرجه البخارى في كتاب الانبياء باب قول الله تعالى "واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد" برواية سلمة بن الأكوع .

(٢) تكوين ٢١ : ١٤-٢١

(٣) وبالاضافة الى المسلكين السابقين فان هناك مسلكين آخرين وهما مسلك الزيادة كزيادة اسم اسحاق في قصة الذبيح وزيادة كلمة "كشبهنا" في خلق الانسان على صورة الله . والمسلك الثاني هو مسلك التأويل كتأويل فاران بجبال في الشام وتأويل النبي الذى بشرت به توراتهم من اخوة بني اسرائيل على لسان موسى بنبي منهم مع ان السياق يأباه . وسيأتي ذكر مسلك التأويل في كلام ابن القيم رحمه الله تعالى قريبا .

ذلك محاربة الله تعالى . والكفر بأنبيائه ، لأنه لا يعقل ان يعلم القوم من الأمور التاريخية ما دق وخفى حتى المكان الذى بات فيه آباؤهم ليلة واحدة ، مثل فنوئيل التى صارع فيها يعقوب انسانا زعموا انه الرب . وهم مع ذلك لا يدرون عن بناء بيت الله الحرام على يد ابراهيم واسماعيل شيئا ، مع أنه أول بيت وضع للناس وان من بناه هو جدهم الكبير الذى يعترفون له بالفضل .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله معلقا على قصة اسماعيل وأمه في سفر التكوين : " فهذا خبر الله في التوراة أن اسماعيل ربي وسكن في برية فاران ، بعد ان كاد يموت من العطش وأن الله سقاه من بئر ماء ، وقد علم بالتواتر واتفاق الأمم ان اسماعيل انما ربي بمكة (١) ، وهو وأبوه بنيا البيت ، فعلم ان ارض مكة من فاران" (٢) .

وقال ابن القيم رحمه الله : " وأما جبال فاران فهم يحملونها على جبال الشام وهذا من بهتهم وتحريف التأويل . فان جبال فاران هي جبال مكة . وفاران اسم من أسماء مكة . وقد دل على هذا نص التوراة : ان اسماعيل لما فارق أباه سكن في برية فاران ، وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر فثبت بنص التوراة ان جبال فاران مسكن لولد اسماعيل" (٣) .

وذكر صاحب القاموس المحيط ان فاران اسم جبال ورد ذكرها في التوراة ، وهي بالحجاز . وقال جرجي زيدان في مسكن اسماعيل : " فالتوراة تقول انه برية فاران أو جبل فاران ، وكلاهما عند العقبة شمالي جزيرة سيناء . والعرب يقولون : انه مكة بالحجاز . ويسهل تطبيق الروايتين متى علمنا ان جبال مكة أو جبال الحجاز تسمى أيضا فاران . فيكون المراد : أن البرية التي أقام فيها اسماعيل برية الحجاز ، أو انه أقام حينا في سيناء ثم خرج الى الحجاز وسكن هناك وتزوج" (٤)

---

(١) ما ذكره شيخ الاسلام رحمه الله من ان اسماعيل ربي بمكة باتفاق الأمم غير مستقيم لان اليهود والنصارى لا يسلمون بذلك.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٣ ص ٣٠٥ مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر .

(٣) اغاثة اللهفان جـ٢ ص ٣٦٣

(٤) العرب قبل الاسلام ص ١٨٥ المطبوع بمطابع دار الهلال للمؤلف .

والاحتمال الثانى الذى ذكره جرجى زيدان ممتنع ،لان ابراهيم جاء بهاجر واسماعيل وهي ترضعه ،فتركها في مكة. فهو اذن أقام بمكة من أول نشأته ، ولا يمكن أن يقال انه تحول فيما بعد الى الشام لأنّ المكان الذى أقام فيه مكان لا يبغى مؤمن عنه حولا . ونسبة القول بأن اسماعيل سكن بمكة الى العرب ، فيه تجاهل للقرآن الكريم الذى هو مصدر هذا الكلام ودستور أمة الاسلام . فهلا نسب جرجى زيدان هذا القول الى القرآن كما نسب القول بأنه في فاران الى التوراة ؟!

وما يؤكد أن اسماعيل أقام بمكة أن ذريته تناسلت وتكاثرت في مكة وما حولها من القرى حتى مجيء الاسلام . وقد علمت ذريته جيلا عن جيل أن جدهم اسماعيل اقام بمكة مع أمه هاجر ، ولا زالوا يتوارثون العلم بذلك حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكد ذلك فيما أنزل الله عليه . وتناسل ذرية اسماعيل وتكاثرهم في مكة وحولها دليل مادى قوى على صحة ما دل عليه القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والأخبار المتواترة عن المؤرخين . فان من غير المعقول ان يكون مقام أبيهم بالشام ثم هم ساكنون بالحجاز ، ولا أثر يدل على هجرتهم وانتقالهم من الشام الى مكة .

ولا يمارى اهل الكتاب في ان الاسماعيليين كانوا يقيمون بالحجاز قبل شروق شمس الاسلام . وللباحث أن يسألهم : لماذا انتقل الاسماعيليون من أرض الشام الخصبة التى كانوا بها كما يزعمون الى أرض مكة القفراء التي لم تكن في يوم من الايام صالحة للزراعة وتربية المواشى ؟ أكانت ثم حرب تسببت في نزوحهم أم كان هناك جدب ؟ فاذا كانت الحروب سببا في نزوحهم فما هي تلك الحروب وتلك القبائل التي أجبرتهم على الجلاء عن الشام ؟

ان استقراء التاريخ الانساني علمنا ان الجماعات البشرية في مختلف أدوار حياتها لا تغادر مواطنها الأولى الا لأحد الأسباب الآتية :

السبب الأول : ضيق المكان بسبب الكثافة السكانية ، فتضطر بعض القبائل من أجل ذلك الى النزوح طلبا للمكان الذى تجد فيه فسحة وامتدادا كهجرة سكان ما بين النهرين في العراق بسبب تزايد أعداد السكان على أرض لا تستوعبهم .

السبب الثاني : الجدب والجفاف ، حيث يقل المطر ، وتشح الأنهار ، وتجف الابار ، وتنضب العيون ، وتتحول الحقول الخضراء والمراعي الخصبة الى صحراء قاحلة ، فيكون ذلك سببا للهجرة طلبا للحياة والكلأ والمعيشة .

السبب الثالث : الحوادث والنوازل كالحروب والفيضان ، والضغوط السياسية ، فتكون هذه الأمور سببا من أسباب الهجرة الجماعية ، وأمثلة ذلك كثيرة في التاريخ مثل هجرة القبائل العربية من اليمن بسبب انفجار سد مأرب .

السبب الرابع : الدافع الديني وذلك بأن تعتقد الجماعة المهاجرة ان الموضع الفلاني مقدس أو ان نبيا سيظهر فيه ، وذلك كهجرة هاجر واسماعيل الى مكة لقدسيتها وشرف مكانها ومضاعفة الحسنات فيها وكهجرة اليهود الى يثرب قبل الاسلام انتظارا لبعث الرسول الذى علموا صفاته من التوراة التي وصفت لهم موضع هجرته عليه السلام ، فنزل بعضهم بخيبر وبعضهم بالمدينة وما حولها لأنهما ذواتا نخيل جاء وصف المهاجر به .

فأى هذه الأسباب كان وراء انتقال الاسماعيليين من الشام الى الحجاز؟ من أرض الشام التي جاء وصفها عندهم بأنها أرض تفيض لبنا وعسلا ، الى أرض مكة التي وصفها ابراهيم عليه السلام بقوله : " ربنا انى أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة " أى ان الغرض من اسكان ابراهيم من ذريته بذلك الوادى الذى لا يوجد فيه شيء من الاسباب المادية للحياة ، هو الجانب الايماني الذى فيه حياة القلوب ، وغذاء الأرواح ، وهو الذى عبر عنه بقوله : " ليقيموا الصلاة " على سبيل التعليل .

وللباحث أن يسألهم أيضا اذا كان الوعد الالهى باعطاء الأرض لنسل ابراهيم من نيل مصر الى نهر الفرات لا يتناول غير نسل اسحاق ثم نسل يعقوب - لان اسماعيل ابن أمة وابن الأمة لا يمكن ان يرث ابراهيم كما زعمتم - فكيف بقي اسماعيل منافسا لاسحاق الوارث الشرعي لأبيه في نظركم؟

واذا نظرنا بعين الانصاف الى ذلك الوعد المروى في سفر التكوين ، والذى كان يتناول في الأصل جميع ذرية ابراهيم ، ثم جاء التخصيص بنسل اسحاق ، فان وراثة الأرض من النيل الى الفرات قد تحقق في نسل ابراهيم من اسماعيل منذ ظهور الاسلام الى يومنا هذا ، ولا يوجد من آل يعقوب الا حفنة لا تستعصى على العد ، وحتى تلك الحفنة المنتسبة اليه في يومنا هذا لا يمكن القطع بأنها من بنى اسرائيل . فالمقطوع به هو أنهم خليط من الأمم المختلفة غزت بلاد المسلمين باسم الصهيونية ، وتحت مظلة الصليبيين فأقامت دولة تسمى اسرائيل في أرض فلسطين المسلمة . وصدق الله العظيم القائل : " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم " فانهما لم يزالا يحاربان المسلمين بمختلف الوسائل ، ويتربصان بهم الدوائر ليستسلم لنفوذهما المسلمون و يدوروا في فلكهما ويأتمروا بأوامرهما معرضين عن الاسلام وتعاليمه . ونسأل الله تعالى ان يحول بينهما وبينما يشتهيان ، وان يعيد للاسلام وأهله ما فقدوه من عز وتمكين انه سميع مجيب .

المبحث السادس

موقفهم من نبي الله لوط عليه السلام

تمهيد : نسبة الزنا الى الأنبياء في أسفارهم :

ان بنى اسرائيل وقفوا من أنبياء الله مواقف لا تليق بمكانتهم التي رفع الله قدرها . فمنهم من قتلوه ، ومنهم من كذبوه وسعوا في قتله ، ومنهم من رموه بعظائم الأمور ، كالكفر والزنا . و ممن نسبوا اليه فاحشة الزنا ، لوط ، و يعقوب ، وداود عليهم السلام .

و نستعرض فيما يأتي/ من تالمباحث نصوص أسفارهم التي وردت فيها نسبة هذه الفاحشة الى هؤلاء الأنبياء الأطهار عليهم الصلاة والسلام.

*

موقفهم من نبي الله لوط:

ان موقف بنى اسرائيل من نبي الله لوط عليه السلام ليس بدعا من موقفهم من نوح وابراهيم عليهما السلام فيما يتعلق بأمر رسالته الى أهل قريته .وما كان عليه قومه من أنواع الكفر والمعاصى ، فقد خلت روايتهم عن ذلك كله الا اشارة مجملة الى فساد قومه : جاء فيها قوله : " وكان أهل سدوم أشرارا وخطاة لدى الرب "(١) وقوله : " وقال الرب ان صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت . أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى والا فاعلم"(٢).

---

(١) تكوين ١٣ : ١٣

(٢) تكوين ١٨ : ٢١ قوله : " أنزل وأرى " الخ : يدل على أنهم لا يؤمنون بعلم الله الشامل المحيط بكل شيء دقيقه وجليله . وهذا موقف من مواقفهم من الذات الالهية ، ومن كان هذا موقفه من رب العالمين فلا عجب ان يقف من أنبيائه هذه المواقف المزرية.

ولم يأت في الرواية هل أرسل اليهم لوط أولا . وهذه حالة تشبه حالتهم في حديثهم عن فساد قوم نوح المجمل ،وعدم ذكر رسالته الى قومه ،ثم فصلوا الحديث في حكاية ما نزل بهم من عذاب الله ونجاة لوط وبنتيه من الهلاك ، وذلك مثل نجاة نوح وأهله من الطوفان . ونستعرض نصوص أسفارهم في أمرين وهما قصة عرض لوط بنتيه على أهل سدوم ومناقشتها على ضوء القرآن الكريم وقصة بنتي لوط مع أبيهما ومناقشة تلك القصة وفيهما يتجلى موقفهم منه عليه السلام . :

أولا - قصة عرض لوط بنتيه على أهل سدوم :

جاء في سفر التكوين أن ملكين جاءا الى سدوم لاهلاكها ، فنزلا على لوط عليه السلام ليلا : " وقبلما اضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة ،رجال سدوم ، من الحدث الى الشيخ ، كل الشعب من أقصاها . فنادوا لوطا وقالوا له : أين الرجلان اللذان دخلا اليك الليلة ؟ أخرجهما الينا لنعرفهما . فخرج اليهم لوط الى الباب وأغلق الباب وراءه ، وقال : لا تفعلوا شرا يا أخوتي . هوذا لي ابنتان لم تعرفا رجلا اخرجهما اليكم فافعلوا بهما كما يحسن في عيونكم . واما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئا لأنهما قد دخلا تحت ظل سقفي " (١) . وقوله : " افعلوا بهما ما يحسن في عيونكم " يدل دلالة واضحة على أن لوطا في زعمهم عرض بنتيه على أولئك القوم عرض محرما ،أي انه عرضهما للزنا دفاعا عن الرجلين اللذين نزلا في ضيافته . وهذه اساءة عظيمة الى هذا النبي الكريم . فكيف يعرض أب بنتيه لفاحشة الزنا ،في سبيل الدفاع عن قوم لم يعرف هويتهم ، وليس مكلفا بحمايتهم من الأذى بما هو أقبح وأشنع من عمل القوم بالرجلين ؟ لأن الوصول الى الرجلين لا يمكن ان يحدث الا بعد أن يغلب على أمرهما وأمر لوط . وهو وضيفاه في هذه الحالة معذوران شرعا وعرفا . وأما الوصول الى البنتين على النحو الذى أوردوه هنا أمكن ان يحدث

---

(١) تكوين ١٩ : ٤ -٨

على سبيل الاختيار والعرض ، فليس هناك ما هو أقبح من الذنب بعد الكفر بالله أن يقدم أب بنته طعمة للمجرمين يفعلون بها ما يشاؤون ، هذا كله اذا كان الأب من عوام الناس . فكيف يكون هذا الأمر من نبي كريم أرسل الى الناس ليأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ؟ وهو أمر في غاية البعد عن ساحة هذا النبي الكريم .

وكون لوط عليه السلام عرض بناته عليهم أمر نؤمن به ، غير ان ايماننا بذلك ليس مبنيا على ما جاء في هذه الرواية ، وانما القرآن العظيم هو مصدر ايماننا بذلك ، ولكن على نحو لا يقدح في عصمة هذا النبي الكريم . وهذا ما سنوضحه في المناقشة التالية ان شاء الله تعالى .

*

مناقشة هذه القصة على ضوء القرآن الكريم

جاء في القرآن الكريم أن لوطا عليه السلام - الذى فتن قومه باتيان الرجال شهوة من دون النساء ودعاهم الى الكف عن تلك العادة السيئة المنحطة بأمر ربه تبارك وتعالى فرفضوا دعوته رفضا قاطعا - شق عليه ان يصل أهل قريته الى ضيفه وهو لا يعلم أنهم ملائكة الله تعالى ، وذلك حينما جاءه قومه مسرعين بعد أن شاهدوا مجموعة من الرجال نزلوا على لوط عليه السلام ضيفا ، وراودوه عن ضيفه ، فطلب منهم الاكتفاء بالحلال عوضا عن الحرام فأبوا الا أن ينالوا من ضيفه قال الله تعالى في كتابه الكريم :

" ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب ، وجاءه قومه يهرعون اليه ، ومن قبل كانوا يعملون السيئات ، قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد . قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد " (١) .

---

(١) سورة هود ٧٧ - ٧٩ .

ظاهر الآية القرآنية محتمل أن لوطا عليه السلام يريد بهذا العرض أن يبذل بناته لمن يرغب ان ينكحهن منهم فعلى هذا أراد بالبنات بناته من صلبه . ومحتمل ان يكون دعاهم الى الاكتفاء بزوجاتهم عوضا عن الانهماك في وحل الرذيلة التي لا يقرها العقل السليم ولا الشرائع الالهية . وعلى هذا فالمراد بالبنات بنات قومه . واضافتهن الى نفسه يراد بها الأبوة النبوية ، لأنّ كل نبي أب لأمته كما قال تعالى في حق محمد صلى الله عليه وسلم : " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم "(١) وهو احتمال بعيد لما سيأتي بيانه . وهناك قول ثالث لا يحتمله اللفظ وهو عرضهن للفاحشة

أما الاحتمال الأول : فهو الذى ينبغى أن يسار اليه لعدة أمور :

الأمر الأول : ان لوطا عليه السلام نبي أرسل للدعوة الى الفضيلة ومحاربة الرذيلة ، فما كان له ان يدعو القوم الا الى ما فيه الخير والصلاح لقومه وبناته .

الأمر الثاني : ليس من طبائع البشر السليمة أن يسلموا فلذات أكبادهم للأذى والرذيلة ، دفاعا عن قوم لا تعرف هويتهم من عابرى سبيل ، وخاصة فيما يتعلق بالأعراض . هذا في عامة الناس . فكيف يكون بالنسبة الى نبي مرسل ؟ .

الأمر الثالث : ان لوطا عليه السلام ليس من أهل تلك البلاد ، وانما جاء مع عمه ابراهيم مهاجرا من أرض الكلدانيين وهو رجل غريب عنهم ، ولذلك كانوا لا يتورعون عن ايذائه واهانته بالاعتداء على ضيفه ، فعرض بناته عليهم طلبا للمصاهرة ليكون ذلك سببا يمنعهم من الاعتداء عليه والسخرية من دعوته . ولذلك كان جوابهم : " مالنا في بناتك من حق " أى أنهم لا رغبة لهم في بناته لأنه رجل غريب عنهم ولأنّ طلبهم هو العمل الشاذ .

---

(١) سورة الأحزاب

وأما الاحتمال الثاني : وهو دعوتهم الى الاكتفاء بزوجاتهم ،فأمر بعيد لعدة أمور أيضا :

الأمر الأول : ان قوم لوط قوم مجرمون مجاهرون بالعداوة له ولمن نزل بداره ضيفا ، فكيف يخاطبهم بهذا الخطاب أى خطاب الأبوة وهم لا يعترفون بنبوته ؟ فأبوة الأنبياء لأقوامهم انما هي للمؤمنين منهم خاصة ، بدليل آية الأحزاب السابقة .

الأمر الثاني : اجابة قوم لوط دلت على أنه ماأراد بالبنات نساء أهل قريته ، وانما أراد بناته من صلبه وذلك حيث قالوا : " مالنا في بناتك من حق " . ولو كان مراده نساء قومه ، لكان جوابهم : (ما لنا في نسائنا من رغبة) .

الأمر الثالث : قوله عليه السلام لقومه : " هؤلاء بناتي " يدل على أنه أشار اليهن اشارة حضور ، ولا ريب ان نساء القوم لم يحضرن الى دار لوط مع قومهن ، لأنهن وان كن كافرات لا يؤيدن بطبيعة خلقتهن هذا العمل الذى عاد عليهن بالضرر ، حيث اكتفى الرجال بالرجال وأهملوا النساء. فدل هذا على أنه أراد بناته من صلبه .

وأما القول الثالث : فهو أبعد من الثاني ،ولا يدل عليه دليل . بل هو قول مردود أتت به الرواية اليهودية . وقوله عقب ذلك لقومه : " فاتقوا الله " يدل على أنه طلب منهم كل مافيه الصلاح والتقوى . وكذلك قوله :" هن أطهر لكم " دليل قوى على أنه أراد الزواج الشرعي ،لأن السفاح لا يمكن أن يوصف بالطهارة .

قال في تفسير المنار :" وزعم بعض المفسرين انه عليه السلام عرض على هؤلاء الفساق المجرمين بناته أن يستمتعوا بهن كما يشاءون . ومثل هذا في سفر التكوين (١٩ : ٨) وفيه أنهما اثنتان . ولا يعقل أن يقع هذا الأمر من أى رجـــل

صالح فضلا عن نبي مرسل . ولا يصح في مثله أن يعبر عنه أنه أطهر لهم ، فغسل الدم بالبول ليس من الطهارة في شيء . وان يعتقد أنهم لا يجيبونه الى هذا الفعل . بل الذنب في هذه الحال اكبر لأنه أمر بالمنكر ، وخروج عن الحكم الشرعي ايثارا للتجمل الشخصي ! وهو لا يتعارض مع قوله لهم بعده : (فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي) فان الزنا ليس من التقوى بل هو هدم لها ، وانما معنى هذا الأمر والنهي : فاجمعوا بما أمرتكم به بين تقوى الله باجتناب الفاحشة . وبين حفظ كرامتي وعدم اذلالي واستهانتي بفضيحتي في ضيفي فان فضيحة الضيف فضيحة للمضيف واهانة له"(١) .

وخلاصة القول ان هذا القول الأخير ليس له أصل في الاسلام وانما أخذه من أخذه من رواية اليهود ونحن في غنى عن ذلك القول المشين والحمد لله رب العالمين .

ثانيا - <u>قصة بنتي لوط عليه السلام مع أبيهما</u> :

جاء في سفر التكوين أن لوطا عليه السلام سكن في مغارة مع ابنتيه بعد هلاك قرية سدوم . وذلك حيث قال :

" وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر ، فسكن في المغارة هو وابنتاه . وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلا . فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . وحدث في الغد ان البكر قالت للصغيرة اني قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما . فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب ، وهو أبو الموآبيين الى اليوم . والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه ابن عمي وهو ابو بني عمون الى اليوم "(٢) .

---

(١) تفسير المنار جـ١٢ ص ١٣٤ - ١٣٥ (٢) تكوين ١٩ : ٣٠-٣٨

هذه القصة تبين لنا كيف كان اليهود ينالون من سمعة الأنبياء ، وذرياتهم فقد اعتدوا على هذا النبي الكريم بهذه المقالة الشنعاء ، ولم يراعوا فيه مكانة النبوة ، ولا حرمة القرابة بينه وبين ابراهيم عليه السلام الذى كان لوط من أتباعه المؤمنين من آل أبيه ، فمن الله عليه بالنبوة والرسالة .

ولعل المراد من وضع هذه القصة وأشباهها ، هو التمهيد لادعاء بني اسرائيل ان عنصرهم خير العناصر البشرية ، وأنهم شعب الله المختار بنسبه وحسبه ، لا بايمانه وعمله الصالح ، وأن غيرهم من الشعوب ليس لهم شأن في هذه الحياة ، ولا يقام لهم وزن فيها ، لأنهم ينحدرون من سلالات منحطة ، وقد رأينا ذلك في موقفهم من اسماعيل عليه السلام وأمه ، وهذا موقف آخر من مواقفهم من أنبياء الله تعالى ، وهو مناف للعصمة في موضعين :

الموضع الأول : في نسبة السكر وفقدان العقل (١) الى نبي مرسل فهو باطل لأننا نؤمن بان الأنبياء معصومون مما يقدح في نبوتهم من الأمراض فكيف بفقدان العقل الذى يجعل المرء في درجة البهائم . والموضع الثاني : في نسبة الزنا اليه وهو من الكبائر التي لا تجوز نسبتها الى نبي من أنبياء الله تعالى (٢) .

---

(١) فان قيل : ان لوطا لم يتعمد السكر لأن بنتيه سقتاه السكر وهو لا يدرى ، ثم فعل ما فعل وهو في حالة السكر الذى لم يتعمده فكيف يلام على شيء لم يتعمده ؟ قيل ان ايماننا بعصمة الأنبياء يدفع هذا الاعتقاد لأن العصمة من الموبقات ليست خاصة بالعمد ، وانما هي تشمل حالة العمد والخطأ / أي ان النبي معصوم من الكبائر عمدا وسهوا .

(٢) قال الشيخ علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب علاء الدين الباجي المتوفي سنة ٧١٤ "فان هذا لا يظن بلوط عليه السلام يسكر بحيث يغيب عقله الى هذا الحد ، ولا أن يزني بابنتيه ويحبلها بولدي زنا . بل ولو وقع هذا لبعض آحاد الناس ، لما وسعته الأرض بعد ذلك خزيا وهما . بل لو فعله غلامه لما أمكنه أن يراه بعد ذلك أصلا ، فضلا عن ان يقيم عذره بعدم علمه". على التوراة : كتاب في نقد التوراة اليونانية ص ٧٤ تحقيق احمد حجازي ، طبعته مطبعة الحلبي الطبعة الاولى سنة ١٤٠٠ هـ

ويؤكد عدم صحة هذه القصة عدة أمور . منها أن قومه هلكوا بسبب اجرامهم وكفرهم ،وما نسبه اليهود اليه هنا أشد قبحا وأعظم جرما ، فان المعاصى من الأنبياء لهي أقبح منها ممن دونهم . ومنها أن امرأة لوط انما هلكت بسبب جرمها وممالأتها قومها في عملهم الشنيع ، ولم ينفعها كونها زوجة نبي ، وأن الله نجى لوطا وبناته لايمانهم وصلاحهم ، وذلك بمثابة الشهادة لهم من الله تبارك وتعالى على أنهم من الصالحين ، ولا يتصور أن يقع هذا الفجور ممن شهد الله لهم بالصلاح وكافأهم بالنجاة والفلاح ،وخاصة بعد أن أهلك الله أولئك المنحرفين بوقت قصير ، وذلك خير واعظ وأعظم زاجر.

ومنها : ان الفاحشة في بيت الأنبياء عقوبتها ضعفان ،لقوله تعالى : "يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا"(١) . فأى فاحشة أقبح من أن يسكر نبي فيضاجع بنتيه ، ويكون ذلك من البنتين على سبيل العمد ، أى الاسكار والمضاجعة ؟ ليس هناك ما هو أقبح من الذنوب بعد الكفر بالله تعالى من أن يزني أب بابنته . فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عد من اكبر الكبائر الزنا بحليلة الجار لما للجار من حقوق أوجبها الله تعالى ، فكيف يكون هذا وخاصة من نبي مرسل ؟!

ومنها : أن ما نسبوه الى البنت الكبرى من أنها قالت للصغرى : "وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض " دليل واضح على ان هذه القصة مصنوعة مكذوبة ،وأن واضعها ليس فيه ذرة من عقل . لأن الهلاك انما حل بقريتي سدوم وعمورة . وقرية صوغر التى لجأ اليها لوط وابنتاه عند نجاتهم من القرية المهلكة ،كانت قريبة منهم ،وابراهيم عليه السلام كان يسكن في موضع قريب من ذلك المكان ، فكيف يستقيم القول : ليس في الأرض رجل ؟ بل هناك رجال ورجال .

---

(١) سورة الاحزاب ٣٠

قال ابن حزم رحمه الله تعالى تعليقا على هذه الرواية : " في هذه الفصول فضائح وسوآت تقشعر من سماعها جلود المؤمنين بالله تعالى ، العارفين حقوق الأنبياء عليهم السلام .

فأولها : ما ذكر عن بنتي لوط عليه السلام من قولهما (١) : ليس أحد في الأرض يأتينا كسبيل النساء تعالي نسق أبانا خمرا ونضاجعه ونستبق منه نسلا . فهذا كلام أحمق في غاية الكذب والبرد . أترى كان انقطع نسل ولد آدم كله حتى لم يبق في الأرض أحد يضاجعها ؟ ان هذا لعجب ! فكيف والموضع معروف الى اليوم ،ليس بين تلك المغارة التي كان فيها لوط عليه السلام مع بنتيه ، وبين قرية سكنى ابراهيم عليه السلام الا فرسخ واحد لا يزيد . وهو ثلاثة أميال فقط . فهذه سوأة .

والثانية : اطلاق الكذاب الوضاع لهذه الخرافة لعنه الله ، هذه الطومة (٢) على الله عز وجل من أنه أطلق نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم على هذه الفاحشة العظيمة من وطء ابنتيه واحدة بعد الأخرى . فان قالوا : لا ملامة عليه في ذلك ،لأنه فعل ذلك وهو سكران ، وهو لا يعلم من هما ؟ قلنا : كيف عمل اذ رآهما حاملتين ،واذ رآهما قد ولدتا ولدين لغير رشدة ، واذ رآهما تربيان أولاد الزنا ؟ هذه فضائح الأبد ،وتوليد الزنادقة المبالغين في الاستخفاف بالله تعالى وبرسله عليهم السلام .

والثالثة : اطلاقهم على الله تعالى أنه نسب أولاد ذينك الزنيمين ، فرخي الزنا الى ولادة لوط عليه السلام حتى ورثهما بلدين كما ورث بني اسرائيل وبني عيسو ابني اسحاق سواء سواء (٣) . تعالى الله عن هذا علوا كبيرا . (٤)

---

(١) في النسخ التي بين أيدينا ان الكبرى هي التي قالت للصغرى .

(٢) الطومة بضم الطاء المهملة : المنية والداهية . كما في القاموس .

(٣) يريد ابن حزم رحمه الله ما جاء في سفر التثنية (٢ : ٤-٢٠) مما يتضمن الأمر الالهي لموسي عليه السلام بعدم الاعتداء على بني عيسو وبني موآب وبني عمون لأنه منحهم الأرض التي هم ساكنون بها ميراثا .

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ١ ص ١٣٣ - ١٣٤ .

وقال حبيب سعيد : " أما عن الحادث الآخر الذى رواه السفر المقدس (١٩ : ٣٠-٣٨) عن اضطجاع لوط مع ابنتيه ، فقد ذهب بعض الشراح الى ان الفكرة هي ابراز التناسل من أسرة ابراهيم على أنسال المؤابيين والعمونيين . وقال آخرون : أن هدفها تكريم المرأة التي تقبل على نفسها أن تبقى على الحياة الانسانية على الأرض ولو بطريق التناسل غير المشروع (١)

هذا الكلام يؤكد ما سبق أن اشرنا اليه في قصة سارة مع فرعون وأبيمالك أن الغرض من هذا استباحة اتخاذ النساء وسيلة يصلون بها الى أهدافهم الخبيثة .

---

(١) خليل الله في اليهودية والمسيحية والاسلام ص ٦١ .

الفصل الثالث

بيان موقفهم ممن عاصروهم من الأنبياء

وفيه

ستة مباحث

- المبحث الأول : في بيان موقفهم من أبيهم يعقوب عليه السلام.
- المبحث الثاني : في بيان موقفهم من موسى وهارون عليهما السلام.
- المبحث الثالث : بيان موقفهم من داود عليه السلام.
- المبحث الرابع : بيان موقفهم من سليمان عليه السلام .
- المبحث الخامس : بيان موقفهم من عيسى ابن مريم عليه السلام.
- المبحث السادس : بيان موقفهم من خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .

*

المبحث الأول

موقفهم من أبيهم يعقوب عليه السلام

لقد أظهر اليهود أباهم يعقوب عليه السلام بمظهر الرجل الحريص على جمع الأموال بمختلف الوسائل فنسبوا اليه جملة من الأفعال تقدح في مكانته غير أنه الذى نورده هنا هو ما يعتبر أقبح ما نسبوا اليه من أفعال، ذلك العمل القبيح هو فاحشة الزنا ، وان كانوا يروونها بطريقة من الممكن أن يوجد له فيها عذر لو كان من عامة الناس ولم يكن نبيا ، ولم يكن مستمرا على ذلك الفعل بعد ما تبين له الأمر .

ولقد جاء في سفر التكوين ان يعقوب عليه السلام أقام عند خاله لابان في حاران ، واتفق معه على رعي الغنم لمدة سبع سنوات على ان يزوجه لابان احدى ابنتيه ، وهي راحيل التي كانت صغرى بنتيه وأجملهما . ولما أتم يعقوب سبع سنوات طلب من خاله لابان انجاز ما وعد به فقال :

" أعطني امرأتي لأن ايامي قد كملت ، فأدخل عليها . فجمع لابان جميع أهل المكان وصنع وليمة . وكان في المساء أنه أخذ ليئة ابنته وأتى بها اليه فدخل عليها وأعطى لابان زلفة جاريته لليئة ابنته جارية . وفي الصباح اذا هي ليئة. فقال للابان : ما هذا الذى صنعت بي ؟ أليس براحيل خدمت عندك ؟ فلماذا خدعتني ؟ فقال لابان : لا يفعل هكذا في مكاننا ان تعطى الصغيرة قبل البكر . اكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضا بالخدمة التي تخدمني أيضا سبع سنين ففعل يعقوب هكذا فأكمل أسبوع هذه . فأعطاه راحيل ابنته زوجة له "(١) .

ظاهر هذا النص يدل على أن يعقوب عليه السلام قد خدع وغرربه ، فدخل على امرأة ليست له ، فضاجعها ، ولم يتبين حقيقة الأمر الا في الصباح . غير أن هذا لا يجوز وقوعه لنبي ، لأن الله عز وجل يعصم نبيه من الوقوع في

---

(١) تكوين ٢٩ : ٢١-٢٨

الرذيلة . فكيف وقع هذا الخداع لنبي ؟ وكيف أمضى هذا النبي تلك الخديعة بعد ماعلم بها ؟ حتى ولدت له تلك المرأة عددا كثيرا من أولاده .

قال ابن حزم رحمه الله تعالى : " هذا الفصل آبدة الدهر . وهي اقرارهم أن يعقوب عليه السلام تزوج راحيل فأدخلت عليه غيرها . فحصلت ليئة الى جنبه بلا نكاح وولد لها منه ستة ذكور وابنة . وهذا هو الزنا بعينه . أخذ امرأة لم يتزوجها بخديعة . وقد أعاذ الله نبيه من هذه السوءة . وأعاذ انبياءه عليهم السلام ، موسى وهارون وداود وسليمان من أن يكونوا من مثل هذه الولادة . وهذا يشهد ضرورة أنها من توليد زنديق متلاعب بالديانات"(١)

ومما يجعل هذه القصة في معزل عن الصدق أنها تضمنت أن يعقوب عليه السلام عاش مع تلك المرأة بلا عقد يبيح له لأنّ العقد السابق كان على راحيل التى أمسكت عنه وهي زوجته . ثم تزوج راحيل الزوجة الشرعية بشرط جديد . وهذا لا يقدم عليه عاقل فضلا عن نبي مرسل .

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ١ ص ١٤٠ .

المبحث الثانــي

موقفهم من موسى وهارون عليهما الســلام

نستعرض في هذا المبحث موقف بني اسرائيل من موسى وهارون عليهما السلام ،ونظرتهم الى رسالة موسى كما جاء في أسفارهم . ثم نعقب على ذلك بما جاء في القرآن الكريم من مواقفهم منهما أو من أحدهما ، وما ينقد ذلك من الآيات القرآنية التي تدل على علو قدرهما ،ورفعة مكانتهما عند الله تعالى .

لقد سبق في الباب الأول ايضاح سبب انتقال بنى اسرائيل وأبيهم من أرض كنعان الى أرض مصر ، وذكرنا هناك ما منحوا من امتيازات ،وكرم ضيافة ، وحسن جوار ، لمكانة يوسف عليه السلام من فرعون ، وما نالهم من الذلة والمسكنة والهوان بعد وفاة يوسف وانتقال حكم مصر الى من لا يعرف ما كان ليوسف من منزلة عادت على قومه بفوائد جمة ، ثم بينا هناك ما ترتب على ذلك من أمور كان من بينها خروج موسى من مصر الى أهل مدين ،واقامته بها فترة ، ثم عودته الى مصر مرسلا من ربه عز وجل الذى شد عضده بأخيه هارون عليه السلام . لذلك نكتفي بما ورد هنالك من الاعادة .

كانت رسالة موسى عليه السلام لتحقيق غايتين ،وهما التحرير والتنوير. أى تحرير بنى اسرائيل من ذل العبودية ،وتنويرهم باخراجهم من ظلمات الكفر والجهل الى نور العلم والايمان .

أما تحريرهم من العبودية فقد تحقق على يد موسى وهارون بعد جهد وعناء وصبر وثبات أمام فرعون وقومه ، ثم أمام بنى اسرائيل الذين لقيا منهم من التمرد والعصيان والكفر وسوء الأدب ما يصعب وصفه.

وأما تنويرهم بنور العلم والايمان ، فانه لم يؤت ثماره المطلوبة رغم جهاد الرسولين الكريمين المتواصل . ذلك بأنهم نظروا الى موسى عليه السلام من خلال جانب التحرير فقط . أى انهم نظروا الى زعامته نظرة الشعوب المستعبدة الى زعيم قادهم من العبودية الى الحرية ، ولم ينظروا اليه نظرة أمة مؤمنة بالله الى رسولها .

فلما نظر بنو اسرائيل هذه النظرة المادية الى موسى ومعه هارون عليهما السلام ،استباحوا الخروج عليهما واستحلوا عصيانهما ،ونازعوهما في الأمر فقاموا من أجل ذلك بثورات متكررة ، غير متأثرين أو معتبرين بتلك الآيات البينات التى اجراها الله تعالى على يد موسى امام عيونهم ، ولم يقدروا نعم الله المترادفة عليهم/ حيث أنقذهم من الذل والهوان الى العز والتمكين .

وفيما يأتي نستعرض تلك المواقف التي وقفها بنو اسرائيل من موسى وهارون في دعوتهما وسلوكهما وعقيدتهما ابتداء من موقفهم وهم في مصر حتى وفاة موسى عليه السلام.

الموقف الأول :

حينما ضاعف فرعون العذاب على بني اسرائيل بعد طلب موسى منه أن يطلق قومه ،كان لهم موقف جديد يخالف موقفهم الأول الذى آمنوا فيه بموسى وسجدوا لله شكرا ، وفي هذا الموقف الجديد انقلبوا على أعقابهم وشكوا في صحة دعوة موسى وهارون واتهموهما بالتسبب في زيادة القسوة عليهم ،ودعوا عليهما من أجل ذلك قائلين :

" ينظر الرب اليكما ويقضي ،لأنكما أنتنتما رائحتنا في عيني فرعون وعيون عبيده حتى تعطيا سيفا في أيديهم ليقتلونا" (١) .

وهذا ما لا يجوز أن تقوله أمة مؤمنة برسولها . ثم تجاوزوا هذا الحد فأبوا ان يسمعوا لموسى عليه السلام حينما أكد لهم بأن وعد الله سيتحقق ، وأنهم سيخرجون من قبضة فرعون وجبروته . جاء ذلك في سفر الخروج أيضا عند قوله :

" فكلم موسى هكذا بني اسرائيل ، ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس ومن العبودية القاسية " (٢)

هذا كان موقفهم قبل الخروج من مصر . وأما موقفهم بعد الخروج منها فحدث ولا حرج . ففي اماكن مختلفة من رحلاتهم المتواصلة قاموا بالصخب والضجيج وهو ما يعرف اليوم بالمظاهرات الصاخبة في وجه موسى وهارون عليهما السلام.

---

(١) خروج ٥ : ٢١ (٢) خروج ٦ : ٩

الموقف الثاني :

حينما اقترب فرعون من بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر ، كان لهم موقف آخر من موسى عليه السلام ، فقد استولى عليهم الرعب الشديد فقالوا لموسى عليه السلام:

" هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لتموت في البرية ؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر ؟ أليس هذا هو الكلام الذى كلمناك به في مصر قائلين : كف عنا فنخدم المصريين ، لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية "(١) .

وهذا الكلام يدل على ندمهم على الخروج مع موسى وعلى اطاعتهم اياه واصرارهم على موقفهم الأول . وفي اختيارهم خدمة المصريين على طاعة موسى عليه السلام ما يدل على كفرهم . لأن الأمر بالخروج صادر عن الله عز وجل على لسان موسى عليه السلام. ولو كانوا يؤمنون بالله ورسوله لما كان لهم ان يختاروا على أمره تعالى هواهم .

الموقف الثالث :

بعد ما عبر موسى بقومه البحر ورحل من شاطئه الى برية شور ، كان لهم موقف ثالث . وهو أنهم لم يجدوا بعد رحيلهم من بحر سوف ماء يشربونه لمدة ثلاثة أيام ، حتى جاءوا الى ماء لم يطيقوا شربه لمرارته . فهناك واجهوا موسى عليه السلام بالشغب :

" فتذمر الشعب على موسى قائلين : ماذا نشرب ؟ فصرخ الى الرب فأراه الرب شجرة فطرحها في الماء فصار الماء عذبا "(٢) .

ان طلب الماء ليس معصية ولا سوءا ،ولكن التذمر الذى معناه اللوم والتغضب والتنكر للشيء والتوعد (٣) ، يدل على أنهم لم يطلبوا بأدب ووقار وانما طلبوا بتوعد وتهدد مع ما بدا عليهم من اللوم على خروجه بهم ، وموافقتهم على الخروج معه.

---

(١) خروج ١٤ : ١١-١٢ (٢) خروج ١٥ : ٢٤-٢٥

(٣) في القاموس المحيط : " الذمر الملامة والحض والتهدد ... وتذمر لام نفسه على فائت وتغضب وعليه : تنكر له وأوعده ".

الموقف الرابع :

بعد شهرين ونصف من خروجهم من مصر ،كان لهم موقف رابع من موسى وهارون عليهما السلام فقد تذمروا عليهما باجماع . لأنهم تذكروا قدور اللحم ،ووفرة الخبز في مصر ، فتمنوا لو كانت منيتهم هناك :

" فتذمر كل جماعة بنى اسرائيل على موسى وهارون في البرية .وقال لهما بنو اسرائيل : ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع . فانكما أخرجتمانا الى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع "(١) .

وفي قولهم هذا من الندم والحسرة على أنهم أطاعوا الرسولين موسى وهارون عليهما السلام ما لا يحتاج الى توضيح . فقد أنزل الله تعالى بعد هذه الحادثة المن والسلوى فأكلوا وشبعوا . ولما نهاهم موسى ان لا يبقى احد منهم من المن عنده الى الصباح ، عصوه ولم يسمعوا له فأبقاه اناس الى الصباح فتولد فيه دود وأنتن وبعد هذا هدأوا قليلا .ثم ملوا هذه النعمة وسئموها فكان لهم موقف آخر وهو الموقف السابع .

الموقف الخامس :

وكان لهم موقف خامس من مواقفهم العجيبة ، فقد وقفوا من موسى في موضع اخر موقفا شديدا اذ خاصموه وتذمروا عليه ،ولاموه لوما شديدا على خروجه بهم من مصر ، وذلك بسبب ما نالهم من العطش حيث لم يجدوا ماء للشرب فكادوا يرجمونه عليه السلام:

" ولم يكن ماء ليشرب الشعب ،فخاصم الشعب موسى وقالوا : أعطونا ماء لنشرب . فقال لهم موسى : لماذا تخاصمونني لماذا تجربون الرب ؟؟ وعطش هناك الشعب الى الماء ، وتذمر الشعب على موسى ،وقالوا : لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش ؟ فصرخ موسى الى الرب قائلا : ماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرجمونني "(٢) .

---

(١) خروج ١٦ : ٢-٣ (٢) خروج ١٧ : ١-٤

وفي صرخة موسى هذه ،وشكواه الى ربه ما يلاقيه من قومه ،وما ترقبه منهم من الرجم ، ما يبين للقارئ مدى قسوة قومه وصلابتهم في ايذاء من سعادتهم على يده. وفي هذا الموقف أغاث الله نبيه موسى اذ أمره ان يضرب الصخرة بعصاه ،فانفجر منها الماء فشربوا .

الموقف السادس :

وكان لهم بعد هذا موقف آخر ولكنه موقف غير واضح وان وصف بالشر. وفي هذا الموقف تعرضوا لعقاب عاجل اذ نزلت نار الرب فأحرقت جانبا من خيامهم :" وكان الشعب كأنهم يشتكون في أذني الرب وسمع الرب فحمي غضبه ،فاشتعلت فيهم نار الرب واحرقت في طرف المحلة . فصرخ الشعب الى موسى فصلى موسى الى الرب فخمدت النار . فدعى اسم ذلك تبعيرة(١) لان نار الرب اشتعلت فيهم "(٢) .

الموقف السابع :

في الموقف الرابع رأينا كيف كان بنو اسرائيل تمنوا لو كانت منيتهم في مصر عند قدور اللحم ووفرة الخبز ،ورأينا هناك الحسرة والندامة التي سيطرت عليهم حتى واجهوا موسى عليه السلام مواجهة شديدة تفوح منها رائحة الكفر والعصيان ، وكان من نتيجة ذلك الموقف أن أنزل الله عليهم المن لعلمه عز وجل أنهم يهتمون بامتلاء بطونهم بالطعام والشراب لا بامتلاء القلوب بالايمان . وبعد ان استمروا حينا من الزمن على أكل المن سئموا وملوا فكان لهم موقف سابع :

" واللفيف الذى في وسطهم اشتهى شهوة ،فعاد بنو اسرائيل أيضا وبكوا ، وقالوا : من يطعمنا لحما ؟ قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله في مصر مجانا .

---

(١) تبعيرة : اى اتقاد واحتراق ، أو احراق . قاله في السنن القويم جـ٢ص٢٦١

(٢) عدد ١١ : ١-٣

والقثا والبطيخ والكراث والبصل والثوم . والآن قد يبست أنفسنا ليس شيء غير أن أعيننا الى هذا المن" (١) .

انهم هنا تاقوا الى الكد والعمل ، فلم يقبلوا نعمة الله التى تأتيهم رغدا ،بل استقلوها و تمنوا ان يكونوا فلاحين كما كانوا في مصر .

و لقد أحسن البوصيرى في وصف موقفهم هذا حيث قال في همزيته (٢) :

وسفيه من ساءه المن والسلـ ـوى وأرضاه القوم والقثاء (٣)

وبعد هذا الموقف الذى ظهر فيه بجلاء سلوك بنى اسرائيل المادى ، واستهتارهم برسولهم ، شكا موسى عليه السلام ما يعانيه من البلاء من هذا الشعب المتطفل ، فاستجاب الله له وعززه بسبعين رجلا من شيوخهم وعرفائهم كما تقول روايتهم : " فقال الرب لموسى اجمع الى سبعين رجلا من شيوخ اسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاوءه ،وأقبل بهم الى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك ، فأنزل أنا وأتكلم معك هناك وآخذ من الروح الذى عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب . فلا تحمل أنت وحدك و للشعب تقول تقدسوا للغد فتأكلوا لحما لأنكم بكيتم في أذنى الرب قائلين : من يطعمنا لحما " (٤)

ومع ما يفوح من هذا النص من رائحة التجسيم حيث ذكروا أن الرب ينزل الى خيمة الاجتماع فيتكلم مع موسى والشيوخ يسمعون وهو تحريف وكذب بلا شك ، ذكروا بعد هذا ان الله تعالى ساق اليهم السلوى من البحر بواسطة ريح فملأ مسيرة يوم من كل جهة من منازلهم و بلغ ارتفاعها من الأرض نحو ذراعين .

---

(١) عدد ١١ : ٤-٦

(٢) هو شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى المولود سنة ٦٠٨ والمتوفي سنة ٦٩٦هـ انظر ترجمته في ديوان البوصيرى بتحقيق محمد سيد كيلاني الطبعة الثانية سنة ١٣٩٣هـ بمطبعة مصطفى الحلبي .

(٣) ص ٦٤ ديوان البوصيرى (٤) عدد ١١ : ١٦-١٨

فجمعوا وأكلوا بنهم ، ثم نزل بهم العقاب الالهي الرادع لوكانوا يرتدعون :

" واذ كان اللحم بين أسنانهم قبل ان ينقطع ، حمى غضب الرب على الشعب ، وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جدا ، فدعى اسم ذلك الموضع قبروت هتأوة (١) لأنهم هناك دفنوا القوم الذين اشتهوا " (٢) ومع هذا العقاب الرادع للقوم على ما اقترفوا ، ومع استجابة الله لهم بانزال السلوى لهم ، كان لهم موقف آخر .

الموقف الثامن :

وبعد أن رزقهم الله السلوى ، وعاقب الذين قادوا ذلك التمرد بالموت العاجل ، كان لبعضهم موقف آخر من موسى عليه السلام ، غير ان هذا الموقف اقترن به ما يدل على عدم وقوعه ، لأن هارون عليه السلام من جملة من وقف فيه ضد موسى في زعمهم . وكان هذا الموقف موقفا عائليا كما يصورون ، والهدف منه معارضة موسى على تزوجه امرأة كوشية وكانت مع هارون في هذا اليوم أخته مريم :

" وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها ، لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية . فقالا هل كلم الرب موسى وحده ؟ ألم يكلمنا نحن أيضا ؟ فسمع الرب . وأما الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (٣) .

فكانت عقوبة هذه المعارضة ان اصيبت مريم بالبرص فتضرع موسى الى ربه ليشفيها ، فأمره الله ان يحجزوها خارج منازلهم أسبوعا ثم تعاد .

" فقال الرب حالا لموسى وهارون ومريم : اخرجوا أنتم الثلاثة الى خيمة الاجتماع فخرجوا هم الثلاثة . فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة . ودعا هارون ومريم فخرجا كلاهما . فقال اسمعا كلامي ان كان منكم نبي للرب فبالرؤيا استعلن له في الحلم أكلمه . وأما عبدى موسى فليس هكذا بل هو

---

(١) قبروت هتأوة : قبور الشهوة . انظر السنن القويم جـ٢ ص ٢٦٥ .

(٢) عدد ١١ : ٣٣-٣٤ (٣) عدد ١٢ : ١-٣

أمين في كل بيتي فما الى فم وعيانا أتكلم معه لا بالالغاز . وشبه الرب يعاين . فلماذا لا تخشيان ان تتكلما على عبدى موسى ؟ فحمى غضب الرب عليهما ومضى . فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة اذا مريم برصاء كالثلج . فالتفت هارون الى مريم واذا هي برصاء كالثلج . فقال هارون لموسى : أسألك يا سيدى لا تجعل علينا الخطية التي حمقنا وأخطأنا بها . فلا تكن كالميت الذى يكون عند خروجه من رحم أمه قد أكل نصف لحمه . فصرخ موسى الى الرب قائلا : اللهم اشفها . فقال الرب لموسى : ولو بصق أبوها بصقا في وجهها ، أما كانت تخجل سبعة أيام ؟ تحجز سبعة أيام خارج المحلة وبعد ذلك ترجع . فحجزت مريم خارج المحلة سبعة أيام . ولم يرتحل الشعب حتى أرجعت مريم "(١) .

ليت شعرى كيف عوقبت مريم وحدها على ذلك الذنب ، مع أنها لم تكن وحدها في ذلك الموقف ، بل كان معها هارون كما يزعمون ؟ هل حل بها العقاب وحدها لأنها امرأة ؟ أليست مريم في نظرهم نبية كما جاء ذلك في قوله : " فأخذت مريم النبية اخت هارون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص "(٢) . فلماذا لم يعاقب هارون أيضا ؟ وهذا يدل على أنه لم يكن شريكا في هذه المقاومة ، فالله تعالى لا يجامل أحدا لأنه كبير ، ويعاقب غيره لأنه صغير .

الموقف التاسع :

وبعد تلك المواقف السابقة المتنوعة ، كان لبني إسرائيل موقف آخر قد يكون من أشد المواقف على موسى عليه السلام ذلك أن الله تعالى وعدهم على لسان عبده موسى بأن تكون لهم الأرض المقدسة فأمرهم أن يدخلوها ، ولكنهم خافوا من سكانها وجبنوا ، فأبوا ان يدخلوها ، بعد أن علموا ان سكانها قوم أشداء ، أقوياء ، ولم يبق على طاعة موسى وهارون من قومه الا رجلان فقط كما تقول الرواية .

---

(١) عدد ١٢ : ٤-١٥

(٢) خروج ١٥ : ٢٠ كان هذا الرقص عقب نجاتهم من قبضة فرعون وبعد غرقه مباشرة .

حتى بلغ من جبنهم وعصيانهم ان عزموا على الرجوع الى مصر وتولية رئيس يقود هم اليها :

" فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة . وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بني اسرائيل ، وقال لهما كل الجماعة : ليتنا متنا في أرض مصر ،أو ليتنا متنا في هذا القفر . لماذا أتى بنا الرب الى هذه الارض لنسقط بالسيف ؟ تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة . أليس خيرا لنا أن نرجع الى مصر ؟ فقال بعضهم لبعض : نقيم رئيسا و نرجع الى مصر . فسقط موسى وهارون على وجهيهما امام كل معشر جماعة بني اسرائيل . ويشوع بن نون وكالب بن يفنة من الذين تجسسوا الارض مزقا ثيابهما . وكلما كل جماعة بني اسرائيل قائلين : الارض التي مررنا فيها لنتجسسها الارض جيدة جدا جدا . وان سر بنا الرب يدخلنا الى هذه الارض ويعطينا اياها أرضا تفيض لبنا وعسلا . انما لا تتمردوا على الرب ولا تخافوا من شعب الارض لانهم خبزنا قد زال عنهم ظلهم والرب معنا لا تخافوهم . ولكن قال الجماعة ان يرجما بالحجارة " (١) .

وبعد هذا الموقف المخزي ،أراد الرب ان يهلكهم و يبيدهم :" وقال الرب لموسى حتى متى يهينني هذا الشعب ؟ وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم ؟ انى أضربهم بالوباء ،وأبيدهم ،وأصيرك شعبا أكبر وأعظم منهم" (٢) .

فتضرع موسى الى ربه ان لا يهلكهم حتى لا يشمت بهم من يسمع هلاكهم من الامم فاستجاب الله له ولكنه حرم على ذلك الجيل دخول الارض المقدسة ، وقضى عليهم أن يتيهوا في البرية أربعين سنة . " فقال الرب : قد صفحت حسب قولك . ولكن حي أنا فتملأ كل الارض من مجد الرب ان جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر ،وفي البرية وجربوني عشر مرات

---

(١) عدد ١٤ : ١-١٠ (٢) عدد ١٤ : ١١-١٢

ولم يسمعوا لقولي . لن يروا الارض التى حلفت لآبائهم . وجميع الذين أهانونى لا يرونها . وأما عبدى كالب فمن أجل أنه كانت معه روح أخرى ، وقد اتبعنى تماما أدخله الى الارض التي ذهب اليها وزرعه يرثها .. حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة على ؟ قد سمعت تذمر بنى اسرائيل الذى يتذمرونه على . قل لهم حى أنا يقول الرب : لأفعلن بكم كما تكلمتم في أذني في هذا القفر تسقط جثثكم جميع المعدودين منكم حسب عددكم . من ابن عشرين سنة فصاعدا الذين تذمروا علي لن تدخلوا الارض التي رفعت يدى لأسكننكم فيها ، ما عدا كالب بن يفنة ويشوع بن نون وأما أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة ، فانى سأدخلهم فيعرفون الارض التى احتقرتموها . فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر . وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في القفر . كعدد الأيام التى تجسستم فيها الأرض اربعين يوما للسنة يوم تحملون ذنوبكم اربعين سنة فتعرفون ابتعادى . أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة عليّ في هذا القفر يفنون وفيه يموتون "(١) .

الموقف العاشر:

وبعد هذا الموقف الذى عوقب عليه بنو اسرائيل بالحرمان من دخول الارض المقدسة ، وبالتيه أربعين سنة في صحراء سيناء ، لم يكفوا عن ايذائهم وعصيانهم . فقد كان لبعضهم موقف من موسى و هارون عليهما السلام ، ولكنه في البداية لم يكن موقفا اجماعيا ، وان أوشك في النهاية ان يكون كذلك هذا الموقف كان لجماعتين منهم من بنى لاوى ، وبنى رأوبين ، مع اناس آخرين من بنى اسرائيل . لقد تزعم هذه الجماعة قورح (قارون) من بنى لاوى والاخوان داثان وأبيرام ، ومعهما أون وهم جميعا من بنى رأوبين ، وانضوى تحت قيادتهم جماعة من بنى اسرائيل ، فأخذوا يقاومون موسى وهارون عليهما السلام . ولكنهم عوقبوا

---

(١) عدد ١٤ : ٢٠ - ٣٥

عقابا شديدا كان عبرة للمعتبرين وكان هذا بعد أن قضى الله عليهم بالحرمان والتيه في الأرض أربعين سنة . واليك ما جاء في ذلك :

" وأخذ قورح بن يصهار بن قهات بن لاوى ، وداثان وأبيرام ابنا أليآب ، وأون بن فالت بنو رأوبين ، يقاومون موسى مع أناس من بنى اسرائيل مائتين وخمسين رؤساء الجماعة مدعوين للاجتماع ذوى اسم . فاجتمعوا على موسى وهارون ، وقالوا لهما : كفاكما ان كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب . فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب ؟ فلما سمع موسى سقط على وجهه . ثم كلم قورح وجميع قومه قائلا : غدا يعلن الرب من هوله ومن المقدس حتى يقربه اليه . فالذى يختاره يقربه اليه ؛ افعلوا هذا خذوا لكم مجامر ، قورح وكل جماعته . واجعلوا فيها نارا ، وضعوا عليها/بخورا أمام الرب غدا ، فالرجل الذى يختاره الرب هو المقدس . كفاكم يا بنى لاوى . وقال موسى لقورح : اسمعوا يا بنى لاوى أقليل عليكم ان اله اسرائيل أفرزكم من جماعة اسرائيل ليقربكم اليه لكى تعملوا خدمة مسكن الرب وتقفوا قدام الجماعة لخدمتها . فقربك وجميع اخوتك بنى لاوى معك وتطلبون أيضا كهنوتا ؟ اذن أنت وكل جماعتك متفقون على الرب . وأما هارون فما هو حتى تتذمروا عليه ؟ فأرسل موسى ليدعو داثان وأبيرام ابنى أليآب . فقالا : لا نصعد . أقليل انك أصعدتنا من أرض تفيض لبنا وعسلا لتميتنا في البرية حتى تترأس علينا ترؤسا ؟ كذلك لم تأت بنا الى أرض تفيض لبنا وعسلا ، ولا أعطيتنا نصيب حقول وكروم . هل تقلع أعين هؤلاء القوم ؟ لا نصعد ... وكلم الرب موسى وهارون قائلا : افترزا من بين هذه الجماعة ، فانى أفنيهم في لحظة . فخرا على وجهيهما وقالا : اللهم اله ارواح جميع البشر هل يخطىء رجل واحد فتسخط على كل الجماعة ؟ فكلم الرب موسى قائلا : كلم الجماعة قائلا اطلعوا من حوالى مسكن قورح وداثان وأبيرام ... فكلم الجماعة قائلا اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البغاة ، ولا تمسوا شيئا مما لهم لئلا تهلكوا بجميع خطاياهم ... فقال موسى : بهذا تعلمون أن

الرب قد أرسلني لأعمل كل هذه الأعمال وأنها ليست من نفسي . ان مات هؤلاء كموت كل انسان وأصابتهم مصيبة كل انسان فليس الرب قد أرسلني . ولكن ان ابتدع الرب بدعة وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل ما لهم ، فهبطوا أحياء الى الهاوية ، تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب . فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام ، انشقت الأرض التي تحتهم . وفتحت الأرض فاها ، وابتلعتهم وبيوتهم ، وكل ما كان لقورح مع كل الأموال ، فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء الى الهاوية ،وانطبقت عليهم الأرض ، فبادوا من بين الجماعة ، وكل اسرائيل الذين حولهم هربوا من صوتهم ،لأنهم قالوا : لعل الأرض تبتلعنا . وخرجت نار من عند الرب وأكلت المائتين والخمسين رجلا الذين قربوا البخور" (١) .

وبعد هذه الحادثة التي ترتجف من هولها القلوب ،ما كان قوم موسى يوعظون بها وبما سبقها من العقوبات ، بل كان عصيانهم وتمردهم أسرع وأكثر كما سيتضح في الموقف التالي .

الموقف الحادي عشر :

لم يمر وقت طويل على هلاك قورح وأتباعه بتلك الطريقة المرعبة ، حتى قام بنو اسرائيل جميعا في وجه موسى عليه السلام ، بل كان ذلك في اليوم التالي من هلاك القوم :

" فتذمر كل جماعة بني اسرائيل في الغد على موسى وهارون قائلين : أنتما قد قتلتما شعب الرب . ولما اجتمعت الجماعة على موسى وهارون ،انصرفا الى خيمة الاجتماع واذا هي قد غطتها السحابة وتراءى مجد الرب . فجاء موسى وهارون الى قدام خيمة الاجتماع . فكلم الرب موسى قائلا : اطلعا من وسط هذه الجماعة فاني أفنيهم بلحظة فخرا على وجهيهما ،ثم قال

(١) عدد ١٦ : ١-٣٥ كان التبخير من الطقوس التي لا يقوم به الا رجل من نسل هارون . فقد أبى قورح ومن شايعه التقيد بهذا التخصيص فنال جزاءه .

موسى لهارون : خذ المجمرة واجعل فيها نارا من على المذبح ، وضع بخورا واذهب بها مسرعا الى الجماعة وكفر عنهم لأنَّ السخط قد خرج من قبل الرب قد ابتدأ الوباء . فأخذ هارون كما قال موسى وركض الى وسط الجماعة ، واذا الوباء قد ابتدأ في الشعب ،فوضع البخور وكفر عن الشعب . ووقف بين الموتى والأحياء فامتنع الوباء . فكان الذين ماتوا بالوباء أربعة عشر ألفا وسبعمائة عدا الذين ماتوا بسبب قورح "(١).

هكذا توالت مظاهرات بني اسرائيل وثوراتهم على موسى وهارون ، مع وجود ما يقنعهم ويردعهم ولكنهم أصموا آذانهم عن صوت الحق ونداء الخير. فأصبحوا لا يرون موسى وهارون الا رجلين تسببا في هلاكهم وشقائهم مع أنهما جاءا قومهما بما يسعدهم سعادة أبدية .

الموقف الثاني عشر:

ان تمرد القوم لا يزال مستمرا ،واستخفافهم بالنبيين وما أرسلا به من الهداية والوعد لا يزال موضع استهزاء وسخرية ، فقد قامت قيامتهم مرة أخرى حينما نزلوا بقادش ولم يجدوا ماء للشرب !

" وأتى بنو اسرائيل الجماعة كلها الى برية صين في الشهر الأول ، وأقام الشعب في قادش وماتت هناك مريم ، ودفنت هناك . ولم يكن ماء للجماعة ، فاجتمعوا على موسى وهارون . وخاصم الشعب موسى وكلموه قائلين : ليتنا فنينا فناء إخوتنا أمام الرب . لماذا أتيتما بجماعة الرب الى هذه البرية لكي نموت فيها ونحن ومواشينا ؟ ولماذا أصعدتمانا من مصر لتأتيا بنا الى هذا المكان الردىء ؟ ليس هو مكان زرع وتين وكرم ورمان ولا فيه ماء للشرب . فأتى موسى وهارون من أمام الجماعة الى باب خيمة الاجتماع وسقطا على وجهيهما . فتراءى لهما مجد الرب وكلم الرب موسى قائلا خذ العصا واجمع الجماعة أنت وهارون أخوك وكلما الصخرة أمام أعينهم أن تعطى ماءها فتخرج لهم ماء من الصخرة وتسقي الجماعة

---

(١) عدد ١٦: ٤١-٤٩

ومواشيهم . وأخذ موسى العصا من أمام الرب كما أمره . وجمع موسى وهارون الجمهور امام الصخرة فقال لهم : اسمعوا أيها المردة ، أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء ؟ ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء غزير فشربت الجماعة ومواشيها" (١) .

وبعد ما شربوا وشربت مواشيهم هدأت نفوسهم قليلا . غير ان الرحلة لا تزال مستمرة ،وما دامت الرحلة مستمرة ، والسفر قائما ، فالمشقة لا بد أن تصاحبهم أيضا ،ولا بد أن يكون لهم موقف آخر من مواقفهم الشريرة .

الموقف الثالث عشر :

كان هذا الموقف أحد مواقفهم المشهودة التي كان الدافع اليها فراغ المعدة من الطعام ، وخلو القلب من الايمان . مع ان المن والسلوى يصاحبانهم في تنقلاتهم ،ولكنهم ازدروا بنعمة الله فسموها بالطعام السخيف ، فعوقبوا على ذلك بعقاب أليم .

" وارتحلوا من جبل هور في طريق بحر سوف ليدوروا بأرض أدوم فضاقت نفس الشعب في الطريق . وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين : لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت في البرية لأنه لا خبز ولا ماء ، وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف ، فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة ،فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من اسرائيل فأتى الشعب الى موسى وقالوا : قد أخطأنا اذ تكلمنا على الرب وعليك فصل الى الرب ليرفع عنا الحيات . فصلى موسى لأجل الشعب . فقال الرب لموسى : اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر اليها يحيا . فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية انسانا ونظر الى حية النحاس يحيا" (٢) .

---

(١) عدد ٢٠ : ١-١٢ .

(٢) عدد ٢١ : ٤-٩ جاء في سفر الملوك الثاني ان بني اسرائيل عبدوا هذه الحية النحاسية وسموها "نحشتان" أي النحاس فقد أزالها الملك حزقيا ابن أحاز مع ما أزال من الأوثان التي عبدت من دون الله تعالى : ١٨ : ٣-٤ .

وبعد هذا الموقف الذى أظهروه بعد التوبة ،واعتذروا الى موسى ، واعترفوا بالخطأ ، وقفوا موقفا يعتبر ختام تلك المواقف السابقة وأخطرها .

الموقف الرابع عشر :

استمرت رحلة بني اسرائيل المتواصلة ، وتتابعت فيها مواقفهم الرافضة خلال تجوالهم في البرارى والقفار المترامية . ولكنهم في النهاية بدأوا يخرجون من الخلاء والبرية الى حيث العمران والسكان من الموآبيين ، فقد أقام القوم في موضع يسمى شطيم ،وفيه حدث موقف خطير و تمرد آخر .

" وأقام اسرائيل في شطيم ،وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب . فدعون الشعب الى ذبائح آلهتهن ،فأكل الشعب وسجد لآلهتهن . وتعلق اسرائيل ببعل فغور . فحمي غضب الرب على اسرائيل . فقال الرب لموسى : خذ جميع رؤوس الشعب و علقهم للرب مقابل الشمس فيرتد حمو غضب الرب عن اسرائيل . فقال موسى لقضاة اسرائيل : اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور . واذا رجل من بني اسرائيل جاء وقدم الى اخوته المديانية أمام عيني موسى وأعين كل جماعة بني اسرائيل وهم باكون لدى باب خيمة الاجتماع. فلما رأى ذلك فينحاس بن العازار بن هارون الكاهن ، قام من وسط الجماعة وأخذ رمحا بيده ، ودخل وراء الرجل الاسرائيلى الى القبة وطعن كليهما الرجل الاسرائيلى والمرأة في بطنها . فامتنع الوباء عن بني اسرائيل . وكان الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرين ألفا "(١) .

وفي هذا الموقف ارتد بنو اسرائيل على اعقابهم فكفروا بربهم ، فزنوا وعبدوا ذلك الصنم ،وأكلوا من الذبائح التي تقدم له . ورسول الله موسى عليه السلام بين أظهرهم ،والوصايا الالهية العشر التي اشتملت على النهى والتحذير الشديد عن عبادة الأوثان ، ولكنهم عموا وصموا فكفروا بربهم وعصوا رسوله الداعى الى رضوانه ،وما يسعدهم في معاشهم ومعادهم .

---

(١) عدد ٢٥ : ١-٩

وهذه المواقف كلها تبين للقارئ ما لاقاه موسى وهارون عليهما السلام من قومهما من التمرد والعصيان المتتابع . و هناك مواقف اخرى وقفها بنو اسرائيل من هذين النبيين وهي مواقف نظرية ، ولم تكن مواقف عملية كتلك المواقف السابقة . فالمواقف النظرية هي نظرتهم الى هذين النبيين واعتقادهم فيهما ويظهر ذلك للباحث من خلال ما نسبوا اليهما من أعمال لا تليق بمكانتهما الرفيعة عند الله تعالى . وفيما يأتي استعراض لتلك المواقف النظرية :

*

١ - نسبتهم الكفر والمعاصي الى موسى وهارون عليهما السلام

ان جميع الرسل عليهم السلام وجدوا في أممهم من آمن بدعوتهم ، ومن كفر بها على تفاوت في ذلك بين أمة وأمة اخرى . وهذا أمر مطرد فيما بلغنا من قصص الأنبياء والرسل باستثناء قوم يونس عليه السلام الذين آمنوا به جميعا . أما ان يوجد في تلك الأمم من يرمي رسولها بعصيان ربه فيما أمره به حتى يصل به الأمر الى الكفر به وعبادة غيره . واضلال أمته ، فهو أمر لم يوجد الا في بني اسرائيل الذين لم يتركوا لأنبيائهم ذكرا حسنا يخلو من الطعن ،والتشويه ، والنيل من سمعتهم . ومع ما لموسى من مكانة في نفوس بني اسرائيل ، فان تلك المكانة لم تصل به الى حد اعتقاد العصمة فيه في نفوس قومه . ولذلك جوزا عليه وعلى أخيه هارون مخالفة أمر الله تعالى ونسبوا اليهما العصيان فيما أمرا به . ورموا موسى عليه السلام بالجرأة على الله تعالى ، وبالكذب البين . واليك بيان ذلك.

نسبة الكذب الى موسى وهارون عليهما السلام

أولا : حينما أمر الله رسوله موسى عليه السلام أن يتوجه الى مصر لاخراج قومه منها وهو يرعى غنم حميه كما تقول الرواية ،ذكروا انه كذب على حميه ، اذ لم يخبره بحقيقة أمره ،وانما ذكر له أنه سيرجع الى مصر ليرى اخوته بني

اسرائيل ، مع انه انما يذهب الى مصر لتبليغ رسالة ربه .

" فمضى موسى ورجع الى يثرون حميه وقال له : أنا أذهب وأرجع الى اخوتي الذين في مصر لأرى هل هم بعد أحياء. فقال يثرون لموسى : اذهب بسلام " (١) .

وهل يعقل ان يكون موسى قد قال هذا الكلام ، وهو قد علم من ربه ان اخوته أحياء وأنه ينبغي ان يعود اليهم ليخرجهم من مصر ، وقد سأل ربه ان يرسل معه أخاه هارون قبل أن يعود من مكان الوحي الى حميه يثرون . فكيف يقول بعد ذلك : " لأرى هل هم أحياء بعد " وهو على يقين أنهم أحياء ؟ . وحاشا ان يكون هذا من كلام موسى عليه السلام ، وانما اللائق به انه لا يقول الا صدقا وحقا . بل انه لم يكن يرعي الغنم حينما خوطب بالرسالة ، بل كان سائرا مع أهله ، مفارقا حماه بعد أن قضى الأجل الذى اتفق عليه معه في رعى الغنم . وذلك بنص القرآن الكريم اذ يقول تعالى :

" فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا ، قال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني انا الله رب العالمين " (٢) ونصت آيات أخرى أيضا (٣) أن موسى كان مع أهله حين رأى النار ، وكان ذلك ليلا لأنه شاهدها من بعيد ، وذهب الى موضعها بعد أن ترك أهله يمكثون حيث هم ، ليعود اليهم بفائدتين ، الأولى : ان يعود بقبس من النار ليستدفئ بها أهله من البرد ، والثانية : ليعود بعد أن استرشد الى الطريق التي يريد أن يسلكها . وهذا يدل على ان رواية اليهود القائلة انه كان يرعى الغنم حينما شاهد النار ، غير صحيحة بل هي تتناقض ، لأن رعى الغنم لا يكون في الليل انما يكون في النهار . والنار انما ترى ليلا من مسافة بعيدة لا نهارا . وما جاء في القرآن الكريم هو المعتمد عليه لأنه المهيمن على الكتب السابقة .

---

(١) خروج ٤ : ١٨ (٢) سورة القصص ٢٩-٣٠

(٣) انظر الآيات ١٠ و١١ و١٢ من سورة طه والآيات ٧ و٨ و٩ من سورة النمل .

ثانيا : حينما رجع موسى عليه السلام الى مصر ،وذهب الى فرعون ،زعموا أنه لم يخبره انه يريد ان يخرج بقومه من مصر خروجا لا رجوع بعده ،وانما أخبره هو وهارون انهما يريدان ان يخرجا بقومهما سفر ثلاثة أيام في البرية ليقدموا هناك ذبائح لالهم ويعبدوه ! وذكروا هذا مرات عديدة على لسان موسى وهارون ، مع ان هذا كذب لا يجوز وقوعه من النبيين الكريمين ،كما لا يمكن أن يامرهما الله تعالى بالكذب . حيث يقولان لفرعون خلاف ما ينويان عمله ، بل خلاف ما ذكرا لبني اسرائيل من أنهما سيخرجان بهم الى أرض كنعان التي وعد الله آباءهم ان يعطيهم اياها . وقد زعموا ان الله هو الذى أمر موسى بذلك بقوله :

" تدخل أنت وشيوخ بني أسرائيل الى مصر وتقولون له : الرب اله العبرانيين التقانا ، فالآن نمضى سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب الهنا" (١) .

" وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون : يقول الرب اله اسرائيل : أطلق شعبي ليعيدوا لي في البرية . فقال فرعون : من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق اسرائيل (٢) ؟ لا أعرف الرب واسرائيل لا أطلقه فقالا : اله العبرانيين قد التقانا . فنذهب سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب الهنا لئلا يصيبنا بالوباء أو السيف "(٣) .

وقد تكرر هذا الطلب من موسى عدة مرات حسب الأمر الالهى كما تقول الرواية . ولذلك استجاب فرعون لموسى وهارون بعد آيات عديدة رآها ان يخرج الرجال فقط :

" فقال لهما : اذهبوا اعبدوا الرب الهكم . ولكن من ومن هم الذين يذهبون ؟ فقال موسى : نذهب بفتياتنا وشيوخنا ، نذهب ببنينا وبناتنا ،

---

(١) خروج ٣ : ١٨

(٢) وهذا يتفق مع ما جاء في قوله تعالى حكاية عن فرعون :" قال : فمن ربكما يا موسى " (سورة طه ٤٩) وقوله :" وما رب العالمين " (سورة الشعراء ٢٣) وفي هذا من التكبر والاستعلاء والكفر ما لا يخفى .

(٣) خروج ٥ : ١-٣

بغنمنا وبقرنا ، لأن لنا عيدا للرب . فقال لهما : يكون الرب معكم هكذا كما أطلقكم واولادكم . انظروا ان قدام وجوهكم شرا . ليس هكذا اذهبوا أنتم الرجال واعبدوا الرب لأنكم هكذا طالبون" (١) .

يظهر من هذا ان فرعون شك في الأمر فأراد ان يختبر صدقهما ،فسمح للرجال فقط دون غيرهم ،لأنهما ان كانا صادقين في الخروج لمسافة ثلاثة أيام فقط للعبادة ، فان ذلك لا يستدعي الا خروج الرجال الذين يتحملون مشاق السفر ذهابا وعودة ،وأما الخروج بالنساء والأطفال والمواشي ، فهو أمر يدعو الى الشك في صدق الرجلين ، لذلك قال لهما :" ان قدام وجوهكم شرا" أي انكم تبيتون أمرا يخالف ما تنطقون به. وهل هذا من أوامر الله تعالى الذى لا يأمر الا بالحق والصدق ومحاربة الكذب ؟ كلا انه ليس من أوامر الله ولا هو من كلام موسى وهارون عليهما السلام. وانما الذى أمر الله ان يقولاه هو دعوة فرعون الى الايمان بالله ،والى ترك بني اسرائيل يخرجون من أرضه فقام موسى وهارون بتبليغ أمر الله خير قيام . ولقد بين القرآن الكريم ما أمر به موسى وهارون ان يقولا لفرعون ، كما بين أنهما قالا ما أمرا به فقال :

" فاتياه فقولا ان رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى " (٢) .

" فاتيا فرعون فقولا : انا رسول رب العالمين . ان ارسل معنا بني اسرائيل " (٣) .

" وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين . حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني اسرائيل" (٤) .

---

(١) خروج ١٠ : ٨-١١ (٢) سورة طه ٤٧

(٣) سورة الشعراء ١٦-١٧ (٤) سورة الأعراف ١٠٤-١٠٥

فدلت هذه الايات البينات على ان موسى وهارون أمرا بأن يقولا الحق لفرعون ، وأنهما قالا ذلك علنا ولم يخفيا شيئا . وقولهما لفرعون : " ولا تعذبهم " صريح في الدلالة على أنهما أرادا تحرير بنى اسرائيل ،وأخبرا فرعون بذلك جهرة . وكذلك دلت الايات الكريمات على أن موسى وهارون لم يقولا عن الله : انه اله العبرانيين وانما قالا : " رب العالمين " وخاطبا فرعون بأنه ربه . وما كان لهما ان يقولا انه اله قبيلة من قبائل البشر وهو اله العالمين وسيدهم ،وانما الذى ادعى انه اله اسرائيل هو فرعون الذى لا يعترف لربه بالالوهيـــة المطلقة ، ولذلك قال للمصريين : " ما علمت لكم من اله غيرى "(١) ، يريد دفع ما قاله موسى وهارون . وقال حينما أيقن بالهلاك في وسط البحر : " آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين "(٢) . ولكن ذلك لم ينفعه لنزول مقدمات الموت به .

٢ - نسبة العصيان الى موسى و هارون عليهما السلام

ومما نسبوا الى هذين النبيين عليهما السلام زعمهم أنهما عصيا ربهما فيما أمرهما به ، وذلك حينما تذمر بنواسرائيل عليهما في برية صين بسبب عدم الماء ،وأمرهما الرب ان يكلما الصخرة لتعطى ماء فلم يفعلا بل سخر موسى من الأمر فقال لقومه المجتمعين عند الصخرة حسب الأمر الالهي : " اسمعوا أيها المردة ، أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء ؟ " فضرب الصخرة بعصاه مرتين مع أنه لم يؤمر بذلك . فغضب الله عليهما كما تقول الرواية وعاقبهما بحرمانهما من دخول الأرض المقدسة ببنى اسرائيل .

" فقال الرب لموسى وهارون : من أجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني أمام اعين بنى اسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة الى الأرض التي أعطيتهم اياها "(٣) .

---

(١) سورة القصص ٣٨ (٢) سورة يونس ٩٠

(٣) عدد ٢٠ : ١٢ سبق ايراد النص بتمامه قريبا في الموقف الثاني عشر .

ومن أجل هذا العصيان الذى ذكروه ،قالوا ان موسى وهارون عليهما السلام عوقبا بالموت قبل دخول أرض فلسطين . وأن موسى أشار الى هذا الغضب الالهى في عدة خطب فقال :

" وعلى أيضا غضب الرب بسببكم قائلا : وأنت أيضا لا تدخل الى هناك"(١)

وقال :" لكن الرب غضب على بسببكم ولم يسمع لى . بل قال لي الرب : كفاك لا تعد تكلمنى أيضا في هذا الأمر اصعد الى رأس الفسجة ،وارفع عينيك الى الغرب والشمال والجنوب والشرق ،وانظر بعينيك لكن لا تعبر هذا الأرض "(٢) .

وقال :" وغضب الرب على بسببكم وأقسم انى لا أعبر الأردن ،ولا ادخل الأرض الجيدة التي الرب الهك يعطيك نصيبا ، فأموت أنا في هذه الأرض لا أعبر الأردن . وأما أنتم فتعبرون وتمتلكون تلك الأرض الجيدة "(٣) .

وزعموا ان الله تعالى خاطب موسى بعد وفاة هارون قائلا :" اصعد الى جبل عباريم هذا وانظر الأرض التي أعطيت بنى اسرائيل ، ومتى نظرتها تضم الى قومك أنت ايضا كما ضم هارون أخوك ، لأنكما في برية صين عند مخاصمة الجماعة عصيتما قولي أن تقدساني بالماء أمام أعينهم "(٤) .

ونسبة عدم الايمان الى موسى وهارون انتقاص لمكانتهما الرفيعة ، وكذلك مارتبوه على العصيان المذكور من الغضب الالهى على النبيين ،يدل على أن نظرة بنى اسرائيل الى هذين النبيين لم تتجاوز نظرة الشعوب المستعبدة الى قادة التحرير في عصرنا الحاضر كما أشرنا الى ذلك في بداية هـــــذا البحث .

---

(١) تثنية ١ : ٣٧ (٢) تثنية ١ : ٣٧

(٣) تثنية ٣ : ٢٦ -٢٧ (٤) عدد ٧ : ١٢ - ١٤

٣ - وصفهم موسى بالجرأة وسوء الأدب مع الله عز وجل :

ومن مواقفهم من موسى عليه السلام نسبتهم اليه ما يدل على الجرأة وسوء الأدب مع الله تعالى . فقد ذكروا أنه عليه السلام حاول ان يعفى من القيام بأعباء الرسالة بطرق مختلفة ،وأنه كلما أتى بحجة على موقفه ، جاء الرب بما يدحض حجته حتى لجأ في آخر الأمر الى الرفض القاطع بأسلوب يتسم بالجرأة وسوء الأدب مع الله تعالى . واليك بيان المواضع التي وردت فيها تلك المواقف :

الموضع الأول :

حينما أمر الرب موسى أن يعود الى مصر ليخرج بني اسرائيل منها ،شك موسى في قدرته على القيام بذلك فقال : " من أنا حتى أذهب الى فرعون ، وحتى اخرج بني اسرائيل منها ؟"(١) .

فطمأنه الله تعالى بما يبدد خوفه فقال له:" اني أكون معك و هذه تكون لك العلامة اني أرسلتك . حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل "(٢) .

الموضع الثاني :

حينما طمأنه الرب بأنه يكون معه فأزال بذلك مخاوفه ،انتقل موسى الى موقف آخر ،وهو موقف الشك في قبول قومه لرسالته ، وما يتوقع منهم من طلب علامة يريدونها للاستدلال على صدقه ، فقال :

" ها أنا آتي الى بني اسرائيل وأقول لهم : اله آبائكم أرسلني اليكم. فاذا قالوا لي ما اسمه ؟ فماذا أقول لهم ؟ "(٣) .

فأرشده الله الى ما سيقول لهم ان هم سألوه عن اسم الاله الذي أرسله اليهم بقوله :" أهيه الذي أهيه وقال هكذا تقول لبني اسرائيل أهيه أرسلني اليكم . وقال الله أيضا لموسى : هكذا تقول لبني اسرائيل : يهوه اله آبائكم اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب أرسلني اليكم ،هذا اسمي الى الأبد وهذا ذكرى الى دور فدور "(٤)

---

(١) خروج ٣ : ١١ (٢) خروج ٣ : ١٢ (٣) خروج ٣ : ١٣ (٤) خروج ٣ : ١٤-١٥

الموضع الثالث :

بعد ما أرشده الرب وعلمه ما يقول لقومه اذا عاد اليهم ،انتقل الى حجة أخرى ليجد فيها ما يكون سببا لاعفائه من القيام بواجب الرسالة ،وذلك بافتراض ما سيقول قومه حينما يخبرهم أنه رسول الله اليهم ، فقال :

" ولكن هاهم لا يصدقونني ولا يسمعون لقولي . بل يقولون لم يظهر لك الرب "(١) .

فأزال الله مخاوفه وأعطاه الآية الدالة على صدقه في دعوى الرسالة فقال : " ما هذه في يدك ؟ فقال : عصا . فقال اطرحها الى الأرض . فطرحها الى الأرض فصارت حية . فهرب موسى منها . ثم قال الرب لموسى : مد يدك وامسك بذنبها . فمد يده وأمسك به . فصارت عصا في يده . لكي يصدقوا أنه قد ظهر لك الرب اله آبائهم ، اله ابراهيم ،واله اسحاق ، واله يعقوب . ثم قال له الرب : أيضا أدخل يدك في عبك . فأدخل يده في عبه ثم أخرجها . واذا يده برصاء مثل الثلج ، ثم قال له : رد يدك الى عبك . فرد يده الى عبه ،ثم أخرجها من عبه واذا هي قد عادت مثل جسده . فيكون اذا لم يصدقوك ولم يسمعوا لصوت الآية الأولى أنهم يصدقون صوت الآية الأخيرة ، ويكون اذا لم يصدقوا هاتين الآيتين ولم يسمعوا لقولك أنك تأخذ من ماء النهر و تسكب على اليابسة ، فيصير الماء الذى تأخذه من النهر دما على اليابسة "(٢) .

الموضع الرابع :

بعد أن عزز الله موسى بهذه الآيات الثلاث ، وأزال الحجة السابقة التى أراد ان تكون مما يعذر بسببه من القيام بواجب الرسالة ـ كما يزعمون ـ انتقل موسى الى حجة أخرى لعلها تكون أقوى مما سبق وأنسب لقبول طلبه ، فقال بلهجة يبدو فيها نوع من الخشونة :

" استمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبدك بل أنا ثقيل الفم واللسان "(٣) .

---

(١) خروج ٤ : ١ (٢) خروج ٤ : ١-٩ (٣) خروج ٤ : ١٠

فأزال الرب هذا التخوف أيضا بقوله : " من صنع للانسان فما ؟ أو من يصنع أخرس أوأصم أو بصيرا أو أعمى ؟ أما هو أنا الرب ؟ فالآن اذهب ، وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به "(١) ، غير ان موسى بقى على اصراره على الرفض كما تقول الرواية ؛ بل كان موقفه بعد هذا أشد ، ولهجته أقوى .

الموضع الخامس :

بعد أن أكد الرب لموسى أن ما يتمسك به من عدم فصاحته وانطلاق لسانه سيزول ، وأن الله سيكون مع فمه ، بعد هذا كله ، كان له موقف أشد وأقوى ، وهو موقف الرفض النهائي الذى أثار غضب الرب عليه كما يقولون . وذلك حيث قال :

" استمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل "(٢) .

أى انه يقول أرسل غيرى من تشاء واتركني وشأني . وهذا القول اثار غضب الرب على قائله :

" فحمى غضب الرب على موسى وقال : أليس هارون اللاوى أخاك ؟ أنا أعلم انه هو يتكلم ، وأيضا ها هو خارج لاستقبالك فحينما يراك يفرح قلبه . فتكلمه وتضع الكلمات في فمه ، وأنا اكون مع فمك و مع فمه وأعلمكما ماذا تصنعان . وهو يكلم الشعب عنك ، وهو يكون لك فما ، وأنت تكون له الها (٣) ، و تأخذ في يدك هذه العصا التى تصنع بها الآيات "(٤) .

---

(١) خروج ٤ : ١١-١٢ (٢) خروج ٤ : ١٣

(٣) قال في السنن القويم : " أى تنوب عن الله بأمرك اياه بالكلام ، فانى أبلغك ما أريد وأنت تأمره بالتكلم بما أنبئك به فتكون انت نائبا عنى ويكون هو نائبا عنك . وبهذا يبقى موسى أعلى من هارون " جـ١ ص ٣١٦ وفي التوراة السامرية : " وأنت تكون له سلطانا " .

(٤) خروج ٤ : ١٤-١٧ .

هكذا قالوا عن موسى عليه السلام في أول خطاب جرى بينه وبين ربه تبارك وتعالى وهو أمر لا يتصور وقوعه على هذا النحو الذى وضعوه في رواياتهم المضطربة . وبعد هذا ذكروا أن موسى قبل الرسالة ،وعاد الى مصر ،فأخبر قومه برسالته ،وأراهم الآيات فآمنوا به وسجدوا . ثم ذهب الى فرعون ومعه هارون يطلب منه اطلاق قومه ليعبدوا ربهم في البرية ،فأبى وضاعف عليهم العذاب . فواجه بنو اسرائيل موسى وهارون فلاموهما لوما شديدا على ما حل بهم من زيادة العنف . وكان لموسى موقف مع الرب كما تقول الرواية وهو ما نراه في الموضع التالي .

الموضع السادس :

حينما ضج بنو اسرائيل ورفعوا أصواتهم على موسى وهارون وحملوهما تبعة ما ينزل بهم من العذاب على يد فرعون ،خاطب موسى ربه قائلا :

" يا سيد لماذا أسأت الى هذا الشعب ؟ لماذا أرسلتني ؟ فانه منذ دخلت الى فرعون لأتكلم باسمك ،أساء الى هذا الشعب ،وأنت لم تخلص شعبك "(١) .

الموضع السابع :

وفي هذا الموضع ذكروا أن موسى عليه السلام طلب من ربه أن يقيله من الرسالة ان لم يغفر لقومه الذين عبدوا العجل :

" فرجع موسى الى الرب وقال آه قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب والآن ان غفرت خطيتهم والا فامحني من كتابك الذى كتبت . فقال الرب لموسى : من أخطأ الى أمحوه من كتابي "(٢) .

الموضع الثامن :

وذكروا كذلك أن موسى خاطب ربه بشدة وعنف عندما طلب منه قومه أن يطعمهم لحما فقالوا :

---

(١) خروج ٥ : ٢٢-٢٣ (٢) خروج ٣٢ : ٣١-٣٤

" فقال موسى للرب : لماذا أسأت الى عبدك ؟ ولماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى انك وضعت ثقل جميع هذا الشعب علي ؟ ألعلى حبلت بجميع هذا الشعب ؟ أو لعلى ولدته حتى تقول لي : احمله في حضنك كما يحمل المربى الرضيع الى الارض التي حلفت لآبائه ؟ من أين لي لحم حتى أعطى جميع هذا الشعب ؟ لأنهم يبكون على قائلين : أعطنا لحما لنأكل . لا أقدر أنا وحدى ان احمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل على . فان كنت تفعل بي هكذا ، فاقتلني قتلا ان وجدت نعمة في عينيك فلا أرى بليتي "(١) .

وبعد: فهذه الأمور التي نسبوها الى موسى عليه السلام لا تليق بمقام النبوة ، ولا يمكن وقوعها على الوجه الذى ورد ذكره في رواياتهم . وهذا الأسلوب المتسم بالجرأة وسوء الأدب من المستبعد وقوعه بين ملوك الدنيا وخدمهم ، فضلا عن أن يحدث بين ملك الملوك ، وأحد رسله الذى اختاره الله للرسالة على علم بصلاحه لتحمل ما يلقى اليه من أوامر.

*

٤ - موقف موسى من ربه كما يوضحه القرآن الكريم :

لقد ذكر القرآن الكريم المواقف الصحيحة التي وقفها موسى عليه السلام من ربه من أول يوم خاطبه الله فيه بالرسالة الى أن ادى رسالة ربه على الوجه الذى تلقاها به ، وهو عليه السلام من أولى العزم الذين تميزوا من بين الرسل بالثبات والحزم والصبر في الأهوال والشدائد . لذلك فهو بعيد كل البعد عن مواقف الطيش والخفة والجرأة على رب العالمين . وفيما يأتي نورد الآيات القرآنية التي تبين الموقف الصحيح الذى وقفه موسى عليه السلام من ربه تبارك و تعالى :

أما ما نسبوا اليه من رفض مقام الرسالة ومراجعة ربه عدة مرات ليعفيه من منصب النبوة ، فيبين القرآن الكريم ذلك بأنه لم يتردد في قبول أمر الله تبارك و تعالى بل طلب من ربه أن يشد عضده بأخيه لفصاحة لسانه ، وذلك بأسلوب يفيض أدبا

---

(١) عدد ١١ : ١١-١٥

ووقارا . وقد بينت الآيات القرآنية أيضا ان الله سبحانه عندما خاطب موسى في الوادى المقدس طوى ، وعرفه ان الله عز وجل هو الذى يخاطبه . طلب منه أن يلقى عصاه وان يدخل يده في جيبه قبل أن يخبره أنه يرسله الى فرعون وقومه ليخرج بنى اسرائيل من الظلمات الى النور وبعد أن أراه انقلاب العصا حية ، وخروج يده من جيبه بيضاء من غير سوء ، اخبره بالرسالة وأمره ان يتوجه الى مصر ويهرج بقومه ، فهنالك طلب موسى عليه السلام من ربه أن يشد أزره بهارون عليه السلام فاستجاب الله له .

قال الله تعالى : " وهل أتاك حديث موسى . اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى . فلما أتاها نودى يا موسى . انى انا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى . وانا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى انا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى . ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى . وما تلك بيمينك يا موسى ؟ قال هي عصاى اتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولي فيها مآرب أخرى . قال ألقها يا موسى . فألقاها فاذا هي حية تسعى . قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى . واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى . لنريك من آياتنا الكبرى . اذهب الى فرعون انه طغى . قال رب اشرح لي صدرى ويسر لي أمرى . واحلل عقدة من لسانى . يفقهوا قولي . واجعل لي وزيرا من أهلى هارون اخى اشدد به أزرى . وأشركه في أمرى . كي نسبحك كثيرا . ونذكرك كثيرا . انك كنت بنا بصيرا . قال قد أوتيت سؤلك يا موسى " (١) .

وقال تعالى : " اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون . فلما أتاها نودى ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين . ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم .

---

(١) سورة طه ٩ - ٣٦

وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون . الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم . وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين" (١) .

وقال : " فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى : انى أنا الله رب العالمين . وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين . اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين . قال رب اني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون . وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقني انى أخاف ان يكذبون قال : سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون " (٢) .

هكذا يصحح القرآن الكريم المواقف الموضوعة التى نسبوها الى موسى عليه السلام . فقد اتضح لنا منها ان الله أعطاه الآيتين قبل ان يطلب موسى وقبل اخباره انه رسوله الى فرعون وقومه ، وأن موسى لم يناقش ربه في الأمر بعد أن أمره ، بل طلب منه ان يمده بأخيه هارون لأنه أقدر على التبيين والتوضيح اكثر منه ، وأنه سيكون له مؤنسا ومعينا على ذكر الله تعالى . ولم يكن ذلك بلا طلب من موسى كما زعمت الرواية اليهودية التي قالت ان رفض موسى قبول الأمر الالهى هو الذى كان سببا في اعطائه الايات ، وامداده بهارون . والآية الثالثة التي ذكرتها الرواية وهي استحالة الماء دما على اليابسة غير صحيحة . بل الدم من جملة الآيات التي أعطاها الله لموسى بعد دخوله مصر ، ويدل على ذلك

---

(١) سورة النمل ٧-١٢ (٢) سورة القصص ٢٩ - ٣٥

قوله : " فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه " أى آية العصا وآية بياض اليد . وأما ما زعموه من أن موسى خاطب ربه بتلك الكلمات القاسية حينما ضاعف فرعون عذابه على بنى اسرائيل فهو أمر يرده القرآن الكريم أيضا . اذ أكد القرآن الكريم أن بنى اسرائيل اشتكوا الى موسى ما يعانونه من العذاب قبل مجيئه وبعده ، وأنه عليه السلام نصحهم بالصبر ورغبهم في أن يظل رجاؤهم من ربهم النجاة قويا .

قال تعالى : " وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك ، قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون . قال موسى لقومه : استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون "(١) .

أى انه لم ينسب الى ربه عز وجل الاساءة الى بنى اسرائيل ، ولم ينسب اليه خلف الوعد كما زعمت الرواية اليهودية . وهذا هو الموقف الجدير بأنبياء الله تعالى عليهم السلام .

*

٥ - موقفهم من موسى عليه السلام كما بينه القرآن الكريم والسنة النبوية :

لقد بين لنا القرآن العظيم كيف كان بنو اسرائيل مع موسى عليه السلام منذ أن جاءهم في مصر الى ان كتب الله عليهم التيه في الأرض أربعين سنة على رفضهم دخول الأرض المقدسة بعد خروجهم من مصر . وذكر القرآن الكريم أن موسى عليه السلام أوذى على يد بنى اسرائيل ، فقال تعالى :

" واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون انى رسول الله اليكم ، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين "(٢)

---

(١) سورة الأعراف ١٢٧-١٢٩ (٢) سورة الصف ٥

أي أنهم آذوه عليه السلام وهم يعلمون انه رسول الله عز وجل اليهم ، وهذا يدل على شدة كفرهم وسوء فعالهم ، فان من علم ان موسى رسول الله فآذاه ليس كمن جهل بذلك فآذاه بسبب جهله .

وقال تعالى وهو ينهى المسلمين ويحذرهم من أن يسلكوا مسلك بنـي اسرائيل في ايذاء نبيهم صلى الله عليه وسلم : " ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين أذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها "(١) .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم نوع الايذاء المذكور في هذه الآية فيما رواه عنه أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان موسى كان رجلا حييا ستيرا ، لا يرى من جلده شيء استحياء منه ، فآذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا : ما يستتر الا من عيب بجلده ، اما برص ، واما أدرة (٢) واما آفة ، وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى ، فخلا يوما وحده ، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها ، وان الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر ، فجعل يقول : ثوبي حجر ثوبي حجر ، حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فرأوه عريانا ، أحسن ما خلق الله ، وأبرأه مما يقولون ، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه ، وطفق بالحجر ضربا بعصاه ، فوالله ان بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا . فذلك قوله : " ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها "(٣) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما ، فقال رجل : ان هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله . فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال : يرحم الله موسى ، فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر "(٤)

---

(١) سورة الاحزاب ٦٩

(٢) " الأدرة بالضم نفخة في الخصية يقال رجل آدر : بين الأدرة بفتح الهمزة والدال وهي التي تسميها الناس القيلة " . النهاية في غريب الحديث والأثر جـ١ ص ٣١ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ٢٨ واخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل باب فضائل موسى . واللفظ للبخاري واخرجه البخاري أيضا في كتاب الغسل عن ابي هريرة بلفظ قريب منه .

(٤) اخرجه البخاري في كتاب الأنبياء .

وجاء في حديث آخر ان الايذاء الذى ذكر في سورة الأحزاب ،زعمهم أن موسى قتل اخاه هارون فأظهر الله براءته ، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح فقال : " وقد روى أحمد بن منيع في مسنده والطبرى وابن ابي حاتم باسناد قوى عن ابن عباس عن على قال :" صعد موسى وهارون الجبل ، فمات هارون فقال بنو اسرائيل لموسى : أنت قتلته ،كان ألين لنا منك ،وأشد حبا . فآذوه بذلك. فأمر الله الملائكة فحملته فمرت به على مجالس بنى اسرائيل فعلموا بموته". قال الطبرى : يحتمل ان يكون هذا المراد بالأذى في قوله :" لا تكونوا كالذين آذوا موسى " . قلت : وما في الصحيح أصح من هذا . لكن لا مانع أن يكون للشيء سببان فأكثر كما تقدم تقريره غير مرة "(١) . ان رواية الامام البخارى لا تتنافى مع هذه الرواية لأن تلك ذكرت ان القوم آذوه بنسبة العيب الجسماني اليه ،وهو ما دلت عليه الآية . وهذه ذكرت أنهم آذوه بنسبة قتل هارون اليه ، ولم يرد في هذه الرواية ان آية الأحزاب دلت على هذا الايذاء ، بل الطبرى هو الذى ذكر الاحتمال بعد أن أورد الرواية . وبهذا يتضح ان الروايتين دلتا على أمرين مختلفين . ولعل الايذاء الذى تعرض له موسى من قومه اكثر من أن يحصر في مسألة أو مسألتين ، فقد آذوه بألسنتهم وأعمالهم ، حين نسبوا اليه العيب الخلقي ، وحين تمردوا عليه مرارا وتكرارا ، واستمروا في ايذائهم اياه حتى توفاه الله . ولذلك خاطبهم عليه السلام بقوله : " لم تؤذونني " معبرا بالفعل المضارع الدال على التجدد والاستمرار ،لأنهم كانوا يؤذونه ايذاء مستمرا كما يتضح ذلك في الأمور الآتية :

آذوه عليه السلام حينما طلبوا منه أن يجعل لهم الها من دون الله :

ومن ايذائهم رسولهم موسى عليه السلام أنهم طلبوا منه أن يجعل لهم الها يعبدونه من دون الله وذلك بعد أن نجاهم الله من يد فرعون وجاوز بهم البحر فأغرق عدوهم ،حين شاهدوا على جانب البحر الذى عبروا اليه قوما

---

(١) فتح البارى جـ٨ ص ٥٣٤ - ٥٣٥

يعبدون الأصنام ويعكفون عليها ؛ فوبخهم موسى عليه السلام ووصفهم بالجهل بحقوق الله عليهم وسوء ما كان أولئك القوم عليه من خسار . قال تعالى : " وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين "(١) .

آذوه عليه السلام بعبادة العجل في غيابه لمناجاة ربه

ومن ايذائهم أيضا أنهم اغتنموا فرصة غياب موسى عليه السلام لمناجاة ربه ، فاتخذوا العجل وعبدوه ، وهارون عليه السلام ينذرهم عقاب الله تعالى وسوء عاقبة امرهم . قال تعالى :" واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون "(٢) . فأى ايذاء أشد من هدم صرح التوحيد وطمس معالمه خلال أربعين يوما ، وفيهم رسول أمين ينذر ويحذرهم من غضب الله تعالى وسوء المصير ؟ .

آذوه عليه السلام بأن طلبوا رؤية الله تعالى

ومن ايذائهم أنهم اشترطوا عليه لايمانهم به أن يريهم الله تعالى عيانا : قال تعالى " واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نر الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون "(٣) .

وآذوه عليه السلام بتبديل ما بلغهم عن ربه من القول

وفي موضع آخر من مواضع الايذاء آذوه عليه السلام بالعصيان حينما طلب منهم ان يدخلوا القرية ساجدين مستغفرين اذ بدلوا ما قيل لهم وحرفوه الى طلب مادى قليل :" واذ قلنا ادخلوا القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون "(٤)

---

(١) سورة الاعراف ١٣٨-١٤٠ (٢) سورة البقرة ٥١
(٣) سورة البقرة ٥٥ (٤) سورة البقرة ٥٨-٥٩

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ما قاله قوم موسى عوضا عما قيل لهم فقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو هريرة رضى الله عنه : " قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة ، فبدلوا ودخلوا يزحفون على أستاههم ، وقالوا حبة (١) فى شعرة " (٢) .

أى انهم من شدة كفرهم وولعهم بالعصيان بدلوا السجود بالزحف على أدبارهم ، وبدلوا طلب حط الذنوب بطلب الحنطة ، فتعرضوا لعقاب ربهم بذلك .

وأذوه عليه السلام باعلانهم عدم الصبر على المن والسلوى

ومن ايذائهم عليه السلام طلبهم من موسى ان يدعو ربه لينبت لهم من الأرض ما يشتهون من طعام ، عوضا عن طعام ينزل لهم من السماء ، وهو الطعام الذى أعلنوا أنهم لن يصبروا عليه : " وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " (٣) .

وأذوه عليه السلام حينما أمروا بذبح البقرة

ومن ايذائهم الشديد لموسى عليه السلام أنهم حينما أمرهم الله بذبح البقرة ليبين لهم أمر القتيل الذى لم يعرف قاتله ، أخذوا يتهمون موسى عليه السلام بالاستهزاء بهم ، ثم تمادوا في الاستخفاف بأمر الله عز وجل فصاروا يواجهونه بسؤال تلو سؤال عن أمر لا يستدعى أى استفسار ، وما كادوا ينفذون ما أمروا به الا بعد ان شدد الله عليهم ما كان سهلا عليه لو لم يسألوا رسولهم سؤال التعنت ، قال تعالى :

---

(١) حبة في شعرة أى حنطة أوشعيرة انظر فتح البارى جـ٨ ص ٣٠٤

(٢) اخرجه البخارى في كتاب الأنبياء وكتب التفسير

(٣) سورة البقرة ٦١

" واذ قال موسى لقومه : ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن اكون من الجاهلين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض(١) ولا بكر(٢) عوان(٣) بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع(٤) لونها تسر الناظرين - قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون . قال انه يقول انها بقرة لا ذلول(٥) تثير الأرض ، ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها(٦) ، قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون"(٧) .

وقد تجلى في هذه الآيات ان ايمانهم بموسى لم يكن ثابتا ، بل كان مزعزعا ومضطربا ، فانهم جوزوا عليه أن يستهزئ بهم في أمرهم بذبح البقرة وهو ما لا يجوز وقوعه الا من الجاهلين . وأما الأنبياء الكرام فهم في معزل عن ذلك ولذلك استعاذ موسى بربه ان يكون من الجاهلين المستهزئين . ثم أنهم بعد ان شددوا في السؤال فشدد الله عليهم ، قالوا لموسى عليه السلام : " الآن جئت بالحق " وكأنهم لم يكونوا يصدقون نبيهم فيما بلغ اليهم من أمر ربهم الا في نهاية الأمر ، مع انه عليه السلام جاء بالحق والصدق من أول الأمر حتى أطاعوا وسلموا تسليما ، ولا يخفى ما في هذه الآيات الكريمات من المعاني الدالة على ايذاء بنى اسرائيل الشديد لنبيهم موسى عليه السلام .

---

(١) الفارض : المسنة (٢) البكر : الفتية أى لا هرمة ولا صغيرة

(٣) العوان : النصف بين البكر والهرمة .

(٤) الفقوع : أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه .

(٥) الذلول : المذللة بالحرث والسقى .

(٦) لا شية فيها : لا لون فيها يخالف لونها .

أنظر تفسير الكشاف جـ١ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ و فتح البارى جـ٦ ص ٤٣٩ - ٤٤٠

(٧) سورة البقرة ٦٧-٧١ .

وآذوه عليه السلام بقولهم " سمعنا وعصينا "

ومن ايذائهم موسى عليه السلام أنهم حينما أخذ الله منهم الميثاق في جبل الطور ، واقتلع الجبل وأظلهم به وطلب منهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، رفضوا ان يقولوا ذلك فقالوا : " سمعنا وعصينا " . قال الله تعالى : " واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين " (١) .

" واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون " (٢) .

وآذوه عليه السلام حينما رفضوا دخول الأرض المقدسة

ومن ايذائهم الشديد لموسى عليه السلام ، رفضهم القاطع دخول الأرض المقدسة ، مع مناشدته عليه السلام اياهم مرارا وتكرارا ، وقد بدا كفرهم في هذا الموقف واستخفافهم بأمر الله تعالى ، واعتقادهم المادي في الذات الالهية .

قال تعالى :

" واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين . يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون . قال رب انى لا أملك الا نفسى وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين " (٣) .

---

(١) سورة البقرة ٩٣ (٢) سورة الأعراف ١٧١ (٣) سورة المائدة ٢٠-٢٦

وفي هذا الموقف لم يبق على الايمان والطاعة من قوم موسى بعد هارون سوى رجلين شهد الله لهما بالايمان والطاعة وهما يوشع بن نون وكالب بن يفنة حسب الرواية اليهودية . وليس أدل على كفرهم وفسقهم الجماعي من هذا الموقف الذى يخاطب فيه موسى ربه قائلا : "رب اني لا أملك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين". فاستجاب الله دعوته فحرم عليهم دخول الأرض المقدسة وكتب عليهم التيه أربعين سنة حتى انقرض أولئك القوم الفاسقون في التيه .

٦ - موقفهم من هارون عليه السلام .

ان كفر أمة برسولها ورميها اياه بالسحر والجنون والسفه والكذب شيء مألوف ومعروف . أما ان تصف أمة رسولها بالكفر وعبادة غير الله ودعوة الناس الى الشرك بالله تعالى ، فأمر لم يصلنا الا عن بني اسرائيل الذين لا يتورعون في نسبة الكفر الى أنبيائهم عليهم السلام . وهذا نبي الله الكريم هارون عليه السلام زعموا أنه هو الذى صنع لهم العجل الذى عبدوه في غياب موسى عليه السلام ، جاء ذلك في سفر الخروج حيث قال :

" ولما رأى الشعب ان موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون . وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا . لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها . فنزع الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها الى هارون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التي اصعدتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى هارون وقال غدا عيد للرب . فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة ، وجلس الشعب للاكل والشرب ثم قاموا للعب . فقال الرب لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر ...

فانصرف موسى ونزل من الجبل ... وقال موسى لهارون : ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة ، فقال هارون : لا يحم غضب سيدى . أنت تعرف الشعب انه في شر . فقالوا لي اصنع لنا آلهة تسير أمامنا . لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقلت لهم : من له ذهب فلينزعه ويعطنى فطرحته في النار فخرج هذا العجل"(١).

وقد ناقشت هذا النص اليهودى وبينت زيفه في الباب الثاني عند الحديث عن عبادتهم الأوثان في عهد موسى عليه السلام بما لا مزيد عليه.

٧ - <u>موسى وهارون في القرآن الكريم :</u>

ان لموسى وهارون عليهما السلام لمكانة عظيمة ومنزلة رفيعة في القرآن الكريم ، فقد ورد ذكر موسى عليه السلام في كتاب الله تعالى في نحـــو مائة وستة وثلاثين موضعا . وورد ذكر هارون عليه السلام في عشرين موضعـا باسمه الصريح وبالأخوة لموسى في ثمانية مواضع .

ولقد ارتبط ذكر هذين الرسولين في كتاب الله الكريم بدعوتهما ، وجهادهما في سبيل اخراج بنى اسرائيل من الظلمات الى النور ، تبليغـا لرسالات ربهما ، فقاما بذلك خير قيام ، وجاهدا في الله حق جهاده ، حتى استحقا من ربهما الكريم الأجر الجزيل والذكر الجميل . وفي هـــذا الموضع استعراض لبعض الآيات القرآنية التي جمعت بين هذين النبيين ، وبينت أنهما نبيان أرسلهما الله تعالى الى فرعون وقومه ، والى بنى اسرائيل الذين كانوا يرزحون في أغلال العبودية ، وعذاب السخرة على يد فرعـــون وملائه . واليك بيان بعض تلك الآيات : قال الله تعالى :

" واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا . وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ، ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا"(٢)

---

(١) خروج ٣٢ : ٢ - ٢٤ (٢) سورة مريم ٥١ - ٥٣

" ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين" (١) .

" ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين " (٢) .

" ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا . فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا" (٣) .

" ولقد مننا على موسى وهارون ، ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم. ونصرناهم فكانوا هم الغالبين . وآتيناهما الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم. وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون ، انا كذلك نجزي المحسنين ، انهما من عبادنا المؤمنين " (٤) .

هكذا يبين القرآن الكريم ما لهذين النبيين الكريمين من منزلة رفيعة عند الله تعالى ، تعلو وتسمو على كل طعن أو فرية يروجها اليهود في أسفارهم عن هذين الرسولين عليهما السلام. وما هم بضارين بهذه الافتراءات سوى أنفسهم ، وأما هذان النبيان فهما بمعزل عن السوء ، وسلامة عن النقائص .

ونختم كلامنا عنهما بالذكر المعطر الخالد الذى ترك الله عليهما في الآخرين فنقول : " سلام على موسى وهارون ".

---

(١) سورة الانبياء ٤٨

(٢) سورة المؤمنون ٤٥

(٣) سورة الفرقان ٣٥-٣٦

(٤) سورة الصافات ١١٤-١٢٢

المبحث الثالث

موقفهم من داود عليه السلام

١ ـ رميه بالزنا :

ينظر اليهود الى داود عليه السلام نظرتهم الى احد ملوكهم العظام ، فيصفونه بالحسنات أحيانا ، وبالسيئات أحيانا اخرى . ومما نسبوا اليه من الأمور السيئة فاحشة الزنا . فقد زعموا أنه زنى بامرأة احد جنوده فأحبلها سفاحا ، ثم أقدم على جريمة أخرى اذ أرسل زوجها الى ميدان المعركة ، فرصد له من أوقعه في أتون الحرب حتى قتل فيها ، فخلفه بعد ذلك على زوجته التي كان قد دخل بها سفاحا من قبل ، فولدت له تلك المرأة سليمان عليه السلام.

واليك نص ما جاء في ذلك :

" وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا ، فأرسل داود وسأل عن المرأة ، فقال واحد : اليست هذه بتشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثي ؟ فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت اليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ، ثم رجعت الى بيتها وحبلت وأخبرت داود وقالت : اني حبلى."(١)

وتقول الرواية : ان داود لما علم أن المرأة قد حملت منه ، أراد ان يخفي جريمته فطلب حضور زوجها من ساحة الحرب وجهاد الأعداء ليتصل بزوجته ويمحو بذلك أثر جريمته ، فحضر الرجل ، ولكنه أبى ان يستظل بسقف بيته واخوانه المحاربون في ميدان المعركة يعيشون في الخيام ، فبات على باب بيت داود ، فدعاه داود ، فسقاه خمرا ، وأسكره ليذهب الى بيته فلم يفعل ، ولما يئس داود من حمله على ذلك ، كتب كتابا الى قائد الجيش فحمله أوريا نفسه ، وأمر قائده أن يجعل أوريا في مكان تحمى فيه المعركة ، و ينسحب بالجنود من خلفه ليموت ، ففعل قائد الجيش ما أمر به ، فقتل أوريا في الحرب بتلك الخديعة .

وهذا نص ما جاء في ذلك :

---

(١) صموئيل الثاني ١١ : ٢-٥

" فأرسل داود الى يوآب يقول أرسل الى أوريا الحثي ، فأرسل يوآب أوريا الى داود ... وقال داود لأوريا : انزل الى بيتك واغسل رجليك . فخرج أوريا من بيت الملك .. ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ، ولم ينزل الى بيته ... فقال داود لأوريا : أما جئت من السفر ؟ فلماذا لم تنزل الى بيتك ؟ فقال أوريا لداود : ان التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام ، وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء ، وأنا آتي الى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي ؟ وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر ... ودعاه داود فأكل امامه وشرب وأسكره ، وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده والى بيته لم ينزل . وفي الصباح كتب داود مكتوبا الى يوآب وأرسله بيد أوريا ، وكتب في المكتوب يقول : اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة ، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت . وكان في محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم ان رجال البأس فيه ، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضا " (١) .

وفي هذا من الظلم العظيم ما لا يخفى ، لانه قتل نفس بريئة بغير موجب لذلك ، وحاشا لنبي جعله الله خليفة في الأرض ليحكم بالقسط أن يتبع الهوى فيقدم على هذا العمل الشنيع والجرم الفظيع .

ثم ذكروا ان داود ضم تلك المرأة الى نسائه بعد خدادها على زوجها القتيل سبعة أيام فقالوا : " فلما سمعت امرأة أوريا انه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها . ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها الى بيته ، وصارت له امرأة وولدت له ابنا . وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب " (٢) .

ثم ذكروا ان ذلك الزرع الخبيث كان ولدا ذكرا فأصابه الله بالمرض فهلك . ثم جاء بعده سليمان عليه السلام . أي انهم جمعوا على هذا النبي الكريم وابنه النبي الكريم سليمان عليهما السلام سوآت وعيوبا تتنزه عنها مكانتهم الطاهرة ،

---

(١) صموئيل الثاني ١١ : ٦-١٧ (٢) صموئيل الثاني ١١ : ٢٦-٢٧

من تلك السوآت ان رموا داود بالفاحشة ، ثم بالتسبب في القتل العمد بل وبالتستر على الجريمة بدفع زوج المرأة الى مواقعتها وهو يأبى ويرفض الى أن بلغ به الأمر الى اسكاره ،ومنها ان نسبوا اليه أنه خلف الزوج الشهيد على تلك المرأة وضمها الى قصره فاتخذها زوجة . أى انه زنى وقتل وتزوج بزانية .

ثم أوردوا عقب هذه القصة أن نبيا اسمه ناثان أرسله الله الى داود عليه السلام وقال له : " كان رجلان في مدينة واحدة ،واحد منهما غنى والآخر فقير . وكان للغني غنم وبقر كثيرة جدا . وأما الفقير ، فلم يكن له شيء الا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها ورباها ،وكبرت معه ومع بنيه جميعا ،تأكل من لقمته وتشرب من كاسه ،وتنام في حضنه ،وكانت له كابنة . فجاء ضيف الى الرجل الغني فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيء للضيف الذى جاء اليه . فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيأ للرجل الذى جاء اليه "(١) .

ولما سمع داود من ناثان هذه القصة التمثيلية ،غضب غضبا شديدا فحكم بقتل الرجل الغني ،وضمان نعجة الرجل الفقير برد أربعة أمثالها اليه . فأخبره ناثان ان الرجل الذى فعل تلك الفعلة هو داود نفسه ،فوبخه وذكره بنعمة الله عليه اذ جعله ملكا ، ونجاه من اعدائه وأسبغ عليه العطاء . وأن من أنعم الله عليه بهذه النعم الجليلة ، لا ينبغي أن يفعل ما فعله . وأخبره أن الله سوف يعاقبه على ما جناه . فأبدى له داود ندمه وتوبته ، غير أن ناثان أخبره بأن الله قد قضى أن يعاقبه بثلاث عقوبات : احداها : أن لا يفارق السيف بيته . وثانيتها : أن يبعث عليه من اقاربه من يزنى بنسائه جهارا . وثالثتها : ان يموت ذلك الولد الذى جاءه من تلك المرأة .

وتحقيقا لهذه العقوبات ،ذكروا أن أحد أبنائه وهو آمنون بن داود قد زنى بأخته ثامار بنت داود (٢) . وأن أبشالوم ابنه زنى بسراريه أمام جميع بني اسرائيل(٣) .

---

(١) صموئيل الثاني ١٢ : ١-٤ (٢) صموئيل الثاني ١٣ : ١-١٥

(٣) صموئيل الثاني ١٦ : ٢٠-٢٢

وهذه عقوبة بالزنا في أهل بيته من أهل بيته . وذكروا ان أبشالوم شقيق ثامار قتل أخاه الزاني آمنون انتقاما لشقيقته ثامار ، ثم خرج على أبيه داود ، فبقي يحارب أباه سنوات اهتز منه عرش داود . وهذه عقوبة السيف في بيته . وقالوا ان ذلك الولد أيضا قد مات . فتمت العقوبات الثلاثة .

ومن الغريب أن اليهود قالوا في حق هذين النبيين ما لم يقولوا في غيرهما من العيوب . فقد ذكروا أنهما يرجعان الى الوليئة التي أدخلت على يعقوب بلا نكاح فولدت له يهوذا رابع أولاد يعقوب . كما ذكروا ان يهوذا هذا زنى بكنته التي مات عنها ابنه وهي ثامار ، فحملت من الزنا فولدت له ولدين وهما فارص وزراح (١) ، والى فارص هذا يعود نسب هذين النبيين في نظر اليهود (٢) .

٢ - بيان أن المثل المضروب لداود ليس مطابقا للقصة :

ان المثل المضروب لداود فيما نسب اليه من قصة امرأة أوريا على لسان ناثان ، ليس مطابقا للقصة من عدة وجوه :

الوجه الأول : ان الرجل الفقير المقام في المثل مقام أوريا قد ربى النعجة المقامة مقام المرأة . وليست كذلك امرأة أوريا ، بل هي زوجة . والأمثل ان يقال انه ملك نعجة لها من الصفات كذا وكذا ويذكر محاسنها .

الوجه الثاني : جاء في القصة ان النعجة كبرت مع ابناء الفقير ، وأما أوريا فلم يرب زوجته مع بنيه والأمثل ان يقال ان الرجل الفقير لديه نعجة تدر اللبن على بنيه .

الوجه الثالث : ان الرجل الغني الذى شبه به داود لم يقتل مالك النعجة ، وانما أخذها منه فقط . وأما داود فقد نسب اليه القتل ، أى قتل زوج المرأة .

---

(١) رعوث ٤ : ١٨ : ٢٢ (٢) تكوين ٣٨ : ٦-٣٠

فالأمثل ان يقال : ان الرجل الغنى قتل الرجل الفقير للاستيلاء على نعجته .

الوجه الرابع : ان الرجل الغنى ذبح نعجة الرجل الفقير . وأما داود ،فلم يقتل المرأة ولا آذاها . والاشبه أن يقال ان الغنى استولى على نعجة الرجل الفقير .

الوجه الخامس : ان الرجل الغني قدم نعجة الفقير طعاما لضيفه . وأما داود فلم يقدم المرأة لأحد ، وانما أخذها لنفسه حسب الرواية ،والأشبه أن يقال انه ضم النعجة الى نعاجه .

هذه الوجوه الخمسة تبين لنا ما بين المثل المضروب والقصة من فروق . والمثل ينبغى أن ينطبق على ما ضرب له ، والا فهو مثل ناقص ، والوحى الالهي في في مكانة رفيعة عن مثل هذه النقائص . فدل هذا على أن القصة والمثل المضروب لها موضوعة مفتراة على هذا النحو. ولقد جاء في القرآن الكريم قصة رجلين متخاصمين على نعجة واحدة ادعى أحدهما أنها له ولا يملك غيرها ، بينما خصمه يملك تسعا وتسعين نعجة ويغالبه على النعجة الواحدة فحكم داود للمدعى بحضور المدعى عليه ، وليس في القصة ما يدل على أن القصة جاءت على سبيل التمثيل . وفيما يلي استعراض لتلك القصة على ضوء القرآن الكريم. مع بيان ما جاء في تفسيرها من أقوال أهل العلم.

٣ - نبأ الخصم في القرآن الكريم :

ان القرآن الكريم هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وهو الكتاب الذى لم يكل الله حفظه الى أحد من خلقه بل تكفل بحفظه من التحريف والتبديل والزوال بقوله :" انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون" (١) لذلك بقي محفوظا بحفظ الله تعالى من كل سوء فأصبح بذلك هو المصدر الصحيح والمعين الصافي الذى يتحتم أن يرجع اليه في معرفة الصحيح من قصص الأنبياء وأممهم . وأما الكتب التي سبقته فقد حرفت وبدلت ،وبعدت عن الحق بعدا لا يدرك الحق معه منها . لذلك جعل الله القرآن الكريم مهيمنا على تلك الكتب هيمنة الحق على الباطل .

(١) سورة الحجر : ٩

فقصة داود عليه السلام مع الخصم جاءت في القرآن الكريم باسم " نبأ الخصم " في قوله تعالى : " وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف ؛ خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط . ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راجعا وأناب . فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب "(١)

٤ - مقارنة بين نباء الخصم في القرآن وبين الرواية اليهودية :

في القرآن الكريم	في الرواية اليهودية
١ - الخصمان حضرا الى داود لطلب الحكم في الخصومة	١ - نبي اسمه ناثان أرسل الى داود
٢ - أحد الخصمين بين له الخصومة	٢ - ناثان قص عليه قصة المتخاصمين
٣ - أحد الخصمين له تسع وتسعون نعجة والآخر له نعجة واحدة	٣ - أحد الخصمين له غنم وبقر كثيرة جدا والاخر له نعجة واحدة
٤ - صاحب النعاج طلب من خصمه أن يملكه النعجة الواحدة وغلبه في المطالبة ولم يأخذها	٤ - الغني أخذ نعجة الفقير وقدمها طعاما لضيفه
٥ - داود عليه السلام حكم للمدعي على المدعى عليه بأنه ظلمه	٥ - داود حكم على الغني بالقتل واعادة أربعة امثال نعجته التى أخذها .

---

(١) سورة ص ٢١ - ٢٥

وبهذه المقارنة يتضح أن ما جاء في القرآن الكريم هو الصحيح الذى يتبغى ان يؤخذ به وأنه بعيد كل البعد عما جاء في الرواية اليهودية . ومع ذلك ذهب كثير من المفسرين الى تفسير الآيات السابقة تفسيرا يدور في فلك هذه الرواية اليهودية . واليك بيان تلك الأقوال بايجاز.

٥ - بيان آراء المفسرين في تفسير آيات نبأ الخصم :

ان الايات القرآنية الواردة في بيان نبأ الخصم ، تدل بسياقها على أن داود عليه السلام فوجئ بخصمين وهو في محرابه ، ففزع منهما لدخولهما عليه متسورين محرابه . وأنهما طمأناه بأنهما خصمان بغى بعضهما على بعض فجاءا يطلبان ان يحكم بينهما بالحق بلا ظلم ،وأن يرشدهما الى الصراط السوى ؛ فقص صاحب النعجة الواحدة قصتهما موضحا أن النعجة الواحدة هي محل النزاع بينه وبين خصمه الذى له تسع وتسعون نعجة بينما هو لا يملك غير تلك النعجة التي يتنازعان عليها ، فحكم داود عليه السلام للمدعى بقوله :" لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ". ثم ذكرت تتمة الآية والآية التي بعدها ما يدل على أن هناك خطأ صدر عن داود عليه السلام ، وذلك في قوله : " وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخرراكعا وأناب . فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب " . أى ان الابتلاء الالهى الذى علم داود من هذه الخصومة ،واستغفاره وخروره راكعا وانابته ، وقوله تعالى : ". فغفرنا له ذلك " ، كل هذه الأمور ، دلت على ان داود عليه السلام ارتكب خطأ ما . فما هو ذلك الخطأ ؟ فبناء على هذا ذهب كثير من المفسرين الى أن الآيات القرآنية هذه انما جاءت تمثيلا لداود عليه السلام على ذنب اقترفه لتنبيهه على ما أقدم عليه . وذهبوا في البحث عن ذلك الخطأ مذاهب شتى تعود بأصولها الى رواية اليهود السابقة ، وان اختلفت عنها زيادة ونقصا .

القول الاول : انه نظر الى المرأة المتزوجة مريدا أن تكون زوجة له بعد أن رآها بلا قصد .

القول الثاني : انه ارسل زوج المرأة للغزو وهو يتمنى أن يموت فيه .

القول الثالث : انه نوى أن يتزوج المرأة بعد ان قتل زوجها (١) .

القول الرابع : انه خطب المرأة التي خطبها أوريا فغاب عنها فتزوجها .

القول الخامس : انه لم يجزع على قتل زوجها كما كان يجزع على من قتل من الجند ، ثم تزوجها .

القول السادس : انه حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع من الآخر (٢) .

القول السابع : انه فوجئ بجماعة من أعدائه يريدون قتله ، فوجدوا عنده حرسا فتصنعوا هذه الخصومة . فعلم عليه السلام غرضهم ، فهم أن ينتقم منهم . فظن أن ذلك ابتلاء ،فاستغفر ربه مما هم به من الانتقام من أعدائه (٣) .

القول الثامن : انه طلب من الزوج أن يتنازل له عن زوجته فتنازل له مستحييا فتزوجها (٤) .

---

(١) يبدو أن القولين الثاني والثالث أحدهما مكمل للآخر فان ارسال الرجل للغزو لا يكون موضع عتاب الا اذا قصد من ارساله ان يتزوج امرأته ان قتل . فليتأمل .

(٢) فتح القدير جـ٤ ص ٤٢٧ وفتح البيان الذى يعتبر نسخة اخرى لفتح القدير جـ٨ ص ١٦٢ مطبعة العاصمة القاهرة تاليف الشيخ صديق حسن خان المتوفي سنة١٣٠٧هـ سنة ١٩٦٥م.

(٣) انظر تفسير ابي السعود جـ٤ ص ٢٨٨

(٤) انظر غرائب القرآن جـ٢٣ ص ٨٦ و تفسير ابي السعود جـ٤ ص ٢٨٧ وفتح القدير جـ٤ ص ٤٢٧ .

وهذه الأقوال على كثرتها ترجع بأصلها الى الرواية اليهودية ما عدا القول بأنه حكم لأحد الخصمين قبل الاستماع الى الآخر . وبأنه هم أن ينتقم من أعدائه . هذان القولان فقط ليس لهما أصل في رواية اليهود . فالأول منهما هو المفهوم من سياق الآيات ،وأما الثاني فيحتاج في اثباته الى نص عن المعصوم ولا نص في ذلك ،فسقط مع بقية الأقوال .

٦- ردود العلماء لهذه الآراء :

وبجانب تلك الآراء التي تعود الى الرواية اليهودية والتي تناقلتها ألسنة المفسرين وأقلامهم في العصور المختلفة ، تزخر التفاسير بأقوال العلماء الذين نافحوا هذه الفرية عن نبي الله داود عليه السلام وشددوا النكير على من اعتمد على تلك الرواية الكاذبة في تفسير كلام الله تعالى . فمن أشدهم صولة وجولة في رد هذه التفاسير الامام ابن حزم رحمه الله تعالى في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل حيث قال بعد أن أورد الآيات من سورة (ص) .

" وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود ،وانما كان ذلك الخصم قوما من بني آدم بلا شك مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم ، بغى أحدهما على الآخر على نص الآية . ومن قال انهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء ، فقد كذب على الله عز وجل وقوله ما لم يقل وزاد في القرآن ما ليس فيه ، وكذب الله عز وجل ،وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذب الملائكة ،لأن الله تعالى يقول : " وهل أتاك نبأ الخصم " فقال هو : لم يكونوا قط خصمين ، ولا بغى بعضهم على بعض ،ولا كان لأحدهما قط تسع وتسعون نعجة ،ولا كان للآخر نعجة ،ولا قال له : " اكفلنيها " . فاعجبوا لم يقحمون فيه أهل الباطل أنفسهم؟ (١)

---

(١) قوله : " لم يقحمون فيه اهل الباطل أنفسهم " لم يتضح لي معناه . ونقل الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره كلام ابن حزم هذا وجاء فيه : " لم يقحمون فيه الباطل أنفسهم " ص جـ ١٤ ص ٥٠٨٩ ولم يتضح لي المعنى أيضا . ولعل الصواب ان يقال : " لم يقحمون في الباطل أنفسهم ". والله أعلم.

ونعوذ بالله من الخذلان ثم كل ذلك بلا دليل ، بل الدعوى المجردة ، وتالله ان كل امرىء منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ، ثم يعرض زوجها للقتل عمدا ليتزوجها ، وعن أن يترك صلاته لطائر يراه (١) هذه أفعال السفهاء المتهوكين (٢) الفساق المتمردين ، لا أفعال اهل البر والتقوى ، فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أوحى اليه كتابه ، وأجرى على لسانه كلامه ؟ لقد نزهه الله عز وجل عن ان يمر مثل هذا الفحش بباله ، فكيف ان يستضيف الى أفعاله ؟! "(٣) .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : " قد ذكر المفسرون هنا قصة اكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، ولكن روى ابن ابي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضى الله عنه ، ويزيد وان كان من الصالحين ، لكنه ضعيف الحديث عند الائمة . فالاولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة ، وأن يرد علمها الى الله عز وجل . فالقرآن حق ، وما تضمن فهو حق أيضا "(٤) .

وقال الزمخشرى رحمه الله بعد أن استعرض تلك الآراء : " فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء . وعن سعيد بن المسيب والحارث الأعور : أن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال : " من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين ، وهو حد الفرية على الانبياء "(٥)

---

(١) يشير الى ما ذكره المفسرون من ان داود شاهد حمامة من ذهب وهو في محرابه يصلى فمد يده ليأخذها فطارت فذهب خلفها فطارت من كوة فتبعها فوقع بصره على المرأة و هي تغتسل فكان ما كان من أمرها .

(٢) المتهوك : المتحير كالهواك كشداد : الساقط في هوة الردى ، التهوك التهور والوقوع في الشىء بغير مبالاة قاله في القاموس .

(٣) الفصل في الملل جـ٤ ص١٨

(٤) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٣١

(٥) تفسير الكشاف جـ٣ ص ٣٦٦ .

وحكم ابو السعود رحمه الله على تلك الأقوال بـأنها : " افك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه ، تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع ، ويل لمن ابتدعه وأشاعه ، وتبا لمن اخترعه وأذاعه . ولذلك قال علي رضى الله عنه : " من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم " (١) .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : " واعلم أن ما يذكره كثير من المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة مما لا يليق بمنصب داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، كله راجع الى الاسرائيليات ، فلا ثقة به ، ولا معول عليه ، وما جاء منه مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح منه شيء " (٢) .

وقال علي عبد الواحد وافي : " والقصة على هذا الوضع محض افتراء ، ولا يتصور صدور وقائعها من رجل عادى ذى خلق (٣) ، فضلا عن نبي كريم . ومن ثم أخطأ بعض المفسرين خطأ كبيرا أن فسروا ما جاء في القرآن الكريم في سورة (ص) (٩٠) عن داود والخصمين اللذين اختصما اليه على النحو الذى ورد في سفر صموئيل ، مع أن العبارات التي ذكرت بها القصة في القرآن الكريم ، لا تدل صراحة على شيء من ذلك . ولذلك كان علي بن أبي طالب رضى الله عنه يقول : " من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة " يقصد بذلك أن من يتحدث هذا الحديث فانه يرتكب جريمة القذف ، وحد القذف العادى في الاسلام ثمانون جلدة ولكن اذا تناول القذف نبيا كريما كان مرتكبه خليقا بأن يضاعف له هذا الحد ضعفين " (٤) .

---

(١) تفسير ابي السعود جـ ٤ ص ٢٨٨

(٢) اضواء البيان جـ٧ ص ٢٤

(٣) قوله : " ذى خلق " من غير ان يقيد الخلق بصفة يجعل الكلمة محتملة لأن توصف بالحسن أو القبح وان كانت القرينة تدل على الحسن . لذلك يوصف الخلق بالحسن وضده .

(٤) الاسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام ص ٤٥

وبعد أن استعرضنا تلك الأقوال المشابهة لأقوال أهل الكتاب في قصة داود ، وعقبنا عليها بأقوال العلماء الذين شددوا بالنكير على من ذهب الى الاعتماد على رواية اليهود من المفسرين في قصة داود ، بعد هذا كله يلوح لنا من سياق الآيات السابقة أن الخطأ الذى استغفر منه داود موقنا أن الله تعالى انما ابتلاه به ، هو أنه عليه السلام حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع عن الآخر (١) مؤكدا حكمه بالقسم. فسرعان ما أدرك أنه أخطأ في حكمه للمدعى بتلك الطريقة ، حتى وان كان الحق في الخصومة على نحو ما حكم به ولذلك جاء قوله بعد ذلك : "وان له عندنا لزلفى وحسن مآب" أى ان ذلك ليس بقادح في مكانته الرفيعة ومنزلته العالية عند الله ، وفيما ادخر له من حسن الوفادة عليه يوم المآب ، ومما يؤكد هذا المعنى قوله تعالى بعد ذلك : "يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب" ففيها حث على تحرى العدل في الحكم ونهى عن اتباع الهوى ، ووعيد شديد لمن ضل عن سبيل الله باتباع الهوى . وفي هذا دليل على أن هناك تقصيرا وقع من داود عليه السلام في الحكم . وهذا كله مبنى على أن الخصم من البشر وهو الذى يدل عليه سياق الآيات ولو كانوا من الملائكة لما قص علينا بهذه الصورة ، وانما يوضح ذلك فيقول وهل أتاك نبأ الملائكة لأنهم وان كان مقام التعريض قد اقتضى ان يقولا لداود : "خصمان" فان الاخبار عما وقع بعد ذلك يقتضى أن يكون على سبيل التصريح . وحيث ان الله تعالى قال في مقام الاخبار أنهما خصمان ، وجب القول بأنهما خصمان على وجه الحقيقة ، وليس في القصة تمثيل أو تشبيه . وهذا هو الأليق بمقام النبوة ، وأبعد من القول على الله بلا علم ، وأقرب الى ما يفهم من سياق الآيات القرآنية .

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن للشيخ طنطاوى جوهرى جـ١٨ ص ٧٩-٨٠ .

المبحث الرابـــع

موقفهم من سليمان عليه الســـــلام

١ - رميهم سليمان بالكفر :

ينظر اليهود الى سليمان نظرتهم الى داود عليهما السلام من حيث أن كلا منهما من ملوك بني اسرائيل ، واذا كانوا ينظرون الى الأنبياء والرسل الذين يقرون بنبوتهم تلك النظرة الخاطئة التي تحط من قدرهم ومكانتهم كما بدا ذلك فيما مضى ، فان موقفهم ممن يعتبرونه أحد ملوكهم لا نبيا من انبيائهم ، هو اكثر تطرفا وأشد اساءة . فقد نسبوا اليه عليه السلام أقبح المعاصي وأعظمها ، وهو الشرك بالله تعالى . حيث زعموا أنه عليه السلام خالف شرع الله تعالـــى في النهي عن ادخال الأمم الى بيوت بني اسرائيل ، ودخول بني اسرائيل الى بيوتهم درءا للمفاسد المترتبة على ذلك ، وهي أن يألف بنو اسرائيل عبادة الأصنام التي تعبدها تلك الأمم فيعبدوها . فلما خالف سليمان في زعمهم هذا التشريع الالهي وتزوج نساء كثيرات من الأمم الكافرة ، أثرت في عقيدتـــه وسلوكه ، حتى بنى لهن المعابد وعبد معهن آلهتهن . وفي ذلك يقول سفر الملوك الأول :

" وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون . موآبيات ، وعمونيات ، وأدوميات ، وصيدونيات وحثيات (١) ، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل : لا تدخلون اليهم ، وهم لا يدخلون اليكم ، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه . وكان في زمان شيخوخة سليمان ، أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى . ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورث الاهـــــة

---

(١) قال في السنن القويم : " كان الموآبيون والعمونيون والأدوميون في الشرق والصيدونيون في الغرب على شط البحر والحثيون في الشمال في جوار حماه " جـ٤ ص ٣٠٣ .

الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ،وعمل سليمان الشر في عيني الرب ،ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه اورشليم . ولمولك رجس بنى عمون وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن . فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب اله اسرائيل الذى تراءى له مرتين (١) ، وأوصاه في هذا الأمر ان لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب" (٢) .

وفي هذا جناية كبيرة وبهتان عظيم على هذا النبي الكريم الذى ولد لنبي كريم وترعرع في بيت النبوة ثم أنعم الله عليه بالنبوة . " كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا " !

وهذا الأمر الذى نسبوه الى سليمان عليه السلام مخالف للعقل والشرع . أما العقل فلأنه لا يستسيغ أن يتزوج رجل الف امرأة ويعاشرهن معاشرة الأزواج . وهو أمر لا يتفق مع الطاقة البشرية المحدودة . وهذا العدد من النساء من الاجنبيات فقط / وأما نساؤه الاسرائيليات ،فلا يدخلن في هذا العدد ، وأما الشرع فلأن الأنبياء عليهم السلام صفوة البشر وهداتهم ، فلا يجوز عليهم أن يعبدوا غير الله تبارك وتعالى ،كما لا ينبغى لهم أن يقروا أهل بيتهم على عبادة الأوثان ويمكنوهم من الكفر بالله ببناء المعابد لهم ،وهم عليهم السلام أبعد الناس عما يسخط الله تبارك وتعالى ، وأشدهم اقبالا على طاعته ،وأحرصهم على هداية الخلق ،وأعرفهم بما يليق بالله عز وجل وما لا يليق به . ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى في بيان هذا المعنى :

" ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ،ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون " (٣)

---

(١) زعموا أنه تراءى له مرة في جبعون ٣ : ٥ ومرة بعد بناء الهيكل ٩ : ٢ كما سبق ذكره مفصلا في الباب الثاني .

(٢) الملوك الاول ١١ : ١-١٠ (٣) آل عمران ٧٩-٨٠

قال ول ديورانت مشيرا الى هذا النص اليهودى :" ولما فرغ سليمان من اقامة ملكه شرع يستمتع به ، وأخذت عنايته بالدين تقل على مر الأيام ، كما اخذ يتردد على حريمه اكثر مما يتردد على الهيكل . ولشد ما يلومه كتاب أسفار التوراة على شهامته اذ أقام مذابح للالهة الخارجية التي كانت تعبدها زوجاته الاجنبيات ، ولا تطاوعهم أنفسهم على ان يصفحوا عنه لعدلــــه الفلسفى - أو لعدله السياسى - بين مختلف الآلهة "(١) .

ان هذه العبادة المزعومة ليست عدلا فلسفيا ولا سياسيا كما رأى ذلك ول ديورانت ، ولكنه خروج عن منهج الله وخيانة لعهده وعدل للاوثان بربه ، واذا كان العدل وضعا للامور في موضعها اللائق بها ، فان عبادة الأوثان شطط وبعد عن الحق ووضع للاشياء في غير موضعها . فكيف توصف عبادة الأوثان وبناء صروحها بالعدل الفلسفى أو السياسى ؟ على ان هذه الرواية اليهودية فرية مختلقة وضعها من لا خلاق له في الايمان ،ورمى بها هذا النبي الكريم الذى جاء فيه وفي اخوانه الرسل والانبياء قول الله تبارك وتعالى :

" ووهبنا له (٢)اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين . ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم. ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون . أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هولاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أولئك اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعلمين"(٣) .

---

(١) قصة الحضارة جـ٢ ص من المجلد الاول الشرق الأدنى ص ٣٣٧

(٢) الضمير في قوله : " له " يعود على ابراهيم عليه السلام .

(٣) سورة الانعام ٨٤ - ٩٠

هذه الآيات البينات تقطع تلك الفرية وتقتلعها من جذورها ، وتبين للمؤمنين أن سليمان عليه السلام ذو مكانة رفيعة عند الله تبارك وتعالى مع جماعة النبيين الأبرار والمصطفين الأخيار ، وهو عليه السلام ممن أمر محمد صلى الله عليه وسلم ان يقتدى بهداهم ؛ لأنهم هم الذين هدى الله ، ولولا هدايتهم وصلاحهم لما أمر الله عز وجل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقتدى بهديهم ، ولو كان سليمان كما زعم اولئك اليهود ، لكان الأمر بالاقتداء به في غاية القبح ، لأن الله تعالى لا يأمر بالكفر وانما أرسل رسله وأنزل كتبه لاحقاق الحق وابطال الباطل فلا يوجد في الكون ما هو أشد بطلانا من الكفر برب العالمين وبهذا تبين بطلان ما كانوا يفترون .

٢ – القرآن العظيم برأ سليمان عليه السلام من الكفر :

سبق ايراد النص اليهودي الذى تقول فيه اليهود على سليمان ورموه فيه بالفسق والردة وعبادة الأوثان . وفي هذا الموضع ايراد لآية قرآنية كريمة ردت على اليهود ردا صريحا في نسبة الكفر الى سليمان عليه السلام مما يدل على برأته وبعده عما يغضب ربه متعالى ؛ قال الله تعالى مخبرا عن اتباع اليهود ما كانت الشياطين تشيعه وتقرأه على ملك سليمان عليه السلام من السحر :

" واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ... "(١).

أى انهم اتبعوا ما كانت الشياطين تقرأه وتتبعه في عهد ملك سليمان من السحر الذى ليس لسليمان به من صلة فينسب اليه ، وانما الشياطين هم الذين أشاعوا بين الناس فنون السحر فكفروا بذلك حيث كانوا يعلمون الناس السحر على أنه من علم سليمان وأسراره التى اخضع بها الجن والانس ، ولم يكفر سليمان عليه السلام لبرائته من السحر علما وعملا .

---

(١) سورة البقرة ١٠٢

وفي هذا رد بليغ على مزاعم اليهود السابقة ، وفضح لتلك الفرية التي نسبوها الى هذا النبي الكريم حيث نفي الله سبحانه عنه الكفر بعبارة صريحة تقطع لسان كل زنديق متقول حيث قال :" وما كفر سليمان ".

قال أبو السعود :" قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها و يلقونها الى الكهنة وهم يدونونها و يعلمونها الناس ، وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن تعلم الغيب (١) . وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم ، و به سخر الانس والجن والطير والريح التي تجرى بأمره . و قيل ان سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيرا من العلوم التى خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل اليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك أشياء من فنون السحر لتناسب تلك الأشياء المدفونة من بعض الوجوه ، ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم أنه من عمل سليمان عليه السلام . وأنه لما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشياء (وما كفر سليمان) تنزيه لساحته عليه السلام عن السحر و تكذيب لمن افترى عليه بأنه كان يعتقده ويعمل به . والتعرض لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهتيه بذلك "(٢)

---

(١) جاء في سورة سبأ ما يدل على أن الناس في ايام سليمان يعتقدون أن الجن كانت تعلم الغيب ولكن الله فضح ذلك بأن أخفى عليهم وفاة سليمان مدة من الزمن حتى عرفوا ذلك حين سقط بعدما أكلت الأرضة عصاه التى توكأ عليها قال تعالى :" فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين " (١٤ سبأ) .

(٢) تفسير أبي السعود جـ١ ص ١٠٦-١٠٧

وقال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي في تفسير هذه الآية : " هو حكاية لفن آخر من زيغهم وضلالهم ، اثر نبذهم كتاب الله والعمل بما بين أيديهم . وهو اتباعهم لما تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر والكفر، وأنه انما نال ذلك الملك بسبب معرفته السحر. وزادوا على ذلك فنسبوه الى الردة والكفر لأسباب افتروها عليه ، فبرأه الله تعالى من هذا الافتراء والاختلاق ، وألصق الكفر بأوليك الشياطين الذين يضللون العقول والافهام بتعليم السحر والشعبذة ، واسناد التأثير الى غير الخالق سبحانه ، والصد عن سبيل الحق ، وابتغائهم أياها عوجا و" تتلو " بمعنى تقص و تحدث . من التلاوة و هي القراءة . أو بمعنى تكذب و تختلق . . . ، وذلك أنهم زعموا أن سليمان عليه السلام ارتد في اخر عمره وعبد الأصنام ، وبنى لها المعابد . كما تراه في الفصل الحادى عشر من سفر الملوك الثالث(١) . فانظر الى هذه الجرأة العظيمة والقحة الكبيرة . ولما تنبه عقلاء أهل الكتاب المتأخرون لمثل هذه الفرى ، اعترفوا بأنه ليس كل قول من الأقوال المندرجة في كتبهم المقدسة الهاميا ، بل بعضها كتب على طريقة المؤرخين يعنى بلا الهام. كما في اظهار الحق "(٢) .

و في آية سورة الانعام التي سبق ذكرها قريبا دلالة صريحة على براءة سليمان وبعده عما كانوا يفترون . فقد ذكرت تلك الايات جملة من الأنبياء من بينهم سليمان عليه السلام وأثنت عليهم ثناء كريما ، ونفت عنهم الضلالة ، ووصفتهم بالهداية والاستقامة ، وأمرت محمدا صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهداهم لكونهم أئمة الهدى وقادة الحق . فانظر في قوله تعالى وهو يثنى عليهم : " ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون "(٣) .

---

(١) والصحيح ان سفر الملوك الاول هو الذى اورد هذه الفرية كما سبق ذلك قريبا .

(٢) تفسير القاسمي " محاسن التأويل " جـ٢ ص ٢٠٧-٢٠٨

(٣) الانعام ٨٨

أي ان ذلك الدين الحق الذي كان عليه أولئك الانبياء الكرام هو دين الله القويم وهداه الذى يوفق الله له من يشاء من عباده ، ولو فرض أنهم اشركوا بربهم تاركين هدى الله لما كانت هناك مجاملة او تستر عليهم ، بل تكون اعمالهم كلها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف فلا يثابون عليها ولا يعتد لهم بها . لأن الصلة بين الله وبين عباده هي الاستقامة على شرعه ودينه ، فمن خالف شرعه ودينه وعبد غيره تعالى فقد قطع تلك الصلة واستحق غضب الله وسوء عقابه . فسليمان عليه السلام من الذين هداهم الله وأنعم عليهم بالنبوة .

٣- سليمان عليه السلام كما في القرآن الكريم :

ان سليمان عليه السلام في القرآن الكريم احد انبياء الله تعالى وثاني النبيين الملكيين . فقد أثنى عليه القرآن الكريم مع من أثنى عليهم من الانبياء الكرام ، كما أثنى عليه على وجه التخصيص والتنصيص ، وأورد ذكره في سبعة عشر موضعا من آياته وسوره .

وفي هذا الموضع ايراد لتلك الايات القرآنية التي تنص على مكانته عليه السلام عند الله تعالى ، وعند الذين آمنوا خلافا لما تتقوله عليه رواية اليهود الباطلة .

قال الله تعالى : " انا أوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا " (١) .

وقد سبق قريبا ايراد آيات سورة الأنعام (٢) وهي صريحة في تبرئة سليمان عليه السلام .

---

(١) سورة النساء ١٦٣
(٢) انظر سورة الانعام ٨٣-٩٠

وقال تعالى :" وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ، وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين . وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون . ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين . ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين "(١) .

وفي هذه الايات ثلاث منقبات لسليمان عليه السلام :

المنقبة الأولى : ان الله سبحانه وتعالى فهمه من الحكم ما قد خفى على أبيه داود عليه السلام وكل منهما نبي كريم ولكن الله يخص من يشاء بمزيد فضل .

المنقبة الثانية : ان الله سبحانه سخر له الريح تأتمر بأمره وتجرى في طاعته كما يشاء . وهذا مالم يكن لأحد من الناس .

المنقبة الثالثة : تسخير الشياطين له بحيث لا يزيغون عن أمره وسلطانه فيعملون له ما يشاء من عمل البناء والتعمير ومختلف انواع الصناعات . وهذا ايضا مما خص الله به سليمان .

وقال تعالى :" ولقد آتينا داود وسليمان علما ،وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال ياأيها الناس قد علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين . وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون . حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن اعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين . وتفقد الطير

---

(١) سورة الانبياء ٧٨- ٨٢

فقال مالى لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين . لأعذبنه عذابا شديدا أولأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين . فمكث غير بعيد فقال : أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين . اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا اله الا هو رب العرش العظيم . قال سننظر اصدقت أم كنت من الكاذبين . اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون . قالت يا أيها الملأ انى القي الى كتاب كريم . انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلوا علي وأتونى مسلمين . قالت يا أيها الملأ أفتوني فى امرى ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين ! قالت ان الملوك اذا دخلوا قريـــة أفسدوها وجعلوا أعزة اهلها أذلة وكذلك يفعلون . وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون . فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال وما آتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون . ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون . قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوى أمين . قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلونى أأشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم . قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدى ام تكون من الذين لا يهتدون . فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين . وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين . قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير ، قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين "(١) .

---

(١) سورة النمل ١٥-٤٤

وهذه الايات بطولها تؤكد ما لسليمان عليه السلام من منزلة رفيعة عند ربه الذى خصه بخصائص لا ينالها احد بعده . وأضافت هذه الايات الى تلك المنقبات الثلاث ،منقبتين هما : منقبة علم منطق الطير التي سخرت له أيضا ، و منطق النمل التى أدرك سليمان مقالها فابتسم ضاحكا وشكر ربه على ذلك. و منقبة استخدام تلك القوى التي سخرها الله له في الدعوة الى الله تبارك وتعالى ،وذلك ما دل عليه أمر الهدهد الذى كان سببا في اسلام ملكة سبأ .

وجاء تاكيد هذا الأمر وزيادة منقبة اخرى لسليمان عليه السلام في قوله تعالى :

" ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب ، وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور . فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين " (١)

اى ان الله سبحانه سخر لسليمان الريح التي تجرى في الغداة مسافة لا تقطع عادة الا في الشهر وتجرى في الرواح مسافة مماثلة ، وانه عز وجل أسال له النحاس من معدنه كما يسيل الماء من ينبوعه ، وسخر له الجن يبنون له ابنية عالية ؛ وصحافا واسعة كالحياض ، وقدورا ثابتات حيث توضع لعظم حجمها ، وانه عز وجل حينما قضى على سليمان الموت لم يعلم الجن بذلك ، الا بعد ان اكلت الأرضة عصاه التى كان متكئا عليها فسقط عليه السلام. هنالك تبين للناس أمر الجن الذين كان يعتقد فيهم علم الغيب . وظهر انهم لو كانوا يعلمون الغيب لما خفي عليهم امر وفاته حتى ظلوا يعملون ما أمروا به من الاعمال مدة طويلة بعد ان توفاه الله تعالى .

---

(١) سورة سبأ ١٢-١٤

وفي آية اخرى اكد القرآن الكريم ان سليمان عليه السلام له مكانة عالية عند ربه في الدنيا والاخرة وانه اوتى ملكا لا ينبغى لأحد من بعده فقال تعالى :

" ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب . اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد (١) . فقال اني أحببت حب الخير (٢) عن ذكر ربي (٣) حتى توارت بالحجاب . ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق . ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا (٤) ثم أناب . قال رب اغفرلي وهب لي ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث أصاب (٤) . والشياطين كل بناء وغواص . وآخرين مقرنين في الاصفاد . هذا عطاؤنا فامنن (٥) أو امسك بغير حساب (٦) ، وان له عندنا لزلفى وحسن مآب " (٧) .

هذا هو سليمان عليه السلام كما وضحه القرآن الكريم . فهو نبي من انبياء الله تعالى وملك اوتى ملكا لا ينبغى لأحد من بعده . وان له عند الله عز وجل لزلفى وحسن مآب .

قال في السنن القويم : " وعند العامة حكايات كثيرة عن سليمان ليس لها أصل في الكتاب و لا في العقل . ومنها انه عرف لغة الحيوانات ، وانه استخدم الجن بسحره " (٨)

---

(١) الصافنات : جمع صافن وهي الخيل التي تقف على ثلاثة ارجل وترفع الرابعة وطرف حافرها على الأرض والجياد جمع جواد وهو الفرس السريع .

(٢) حب الخير : آثرت حب الخيل

(٣) عن ذكر ربي : عن تذكر امر ربي في العناية بها لانها عدة الجهاد .

(٤) جسدا : شيطانا .

(٥) رخاء طيبة لينة . " حيث اصاب " حيث قصد وشاء .

(٦) " فامنن " : أعط (٧) " بغير حساب " بغير حرج .

(٨) سورة ص ٣٠-٤٠ (٩) السنن القويم جـ٤ ص ٢٦٦

وللباحث ان يناقش ما جاء في السنن القويم على النحو التالي :

أولا : من المراد بالعامة المذكورين هنا ؟ أهم العامة من اهل الكتاب ؟ أم هم العامة من البشر ؟ أو هم المسلمون ؟ .

فاذا اريد بالعامة عامة الفريقين من اليهود والنصارى او عامة احدهما ، فيقال من اين استقى اولئك العامة هذه المعلومات التي خفيت على خواص القوم مثل كاتب السنن القويم ؟ واذا علمنا ان اسفار اهل الكتاب وخاصة اسفار العهد العتيق لم تكتب في عهود من نسبت اليهم من الاشخاص ،أفلا يكون ما تناقله العامة بعض ما لم يصل الى علم اولئك الكتاب من الحقائق التي تناقلها الناس شفاها ؟ فقد كان ما دون في تلك الأسفار مثل ما لم يدون من الحقائق حيث كانت كلها مما تناقلها الناس شفاها ثم دون بعضها وترك البعض. أفلا يحتمل ان تكون هذه القصة بعض تلك الحقائق التي لم تدون ؟ وما أكثر ما لم يدون في أسفار اليهود من الحقائق ! وقد يكون ما تناقله العامة أكثر صحة مما دون في تلك الأسفار فكون العامة يتمسكون بها لا يدل على عدم صحتها ،كما لا يعتبر التدوين دليلا على صحة ما دون ، لأنّ ما جاء من اهل الكتاب في أسفارهم ليس له سند يعول عليه ، ولا فرق بين ما كتبوه ، وبين ما يتناقلونه شفاها . هذا اذا اريد بالعامة عامة الفريقين او احدهما ، وكذلك اذا اريد بالعامة عامة البشر .

وأما اذا اراد بالعامة المسلمين فيقال له : ان المسلمين لم يتناقلوها على أنها حكايات ، وانما اخذوها على انها حقائق ثابتة ثبوت وجود سليمان . أخبر بها العليم الخبير كما بينت الايات السابقة .

ثانيا : ما المراد بالكتاب في قوله :" ليس لها أصل في الكتاب" ؟ لا شك ان المراد به الكتاب المقدس عندهم بعهديه القديم والجديد . ليت شعري كيف يعتبر كتاب يحتاج في اثبات صحته الى دليل ، ميزانا لعدم صحة ما لم يأت فيه ؟ !

ثالثا : اعتبار علم سليمان عليه السلام بلغة الحيوانات ، وتسخيره للجن أمرا منافيا للعقل امر غير مسلم به لأن ذلك ممكن عقلا وواقع فعلا . واما امكانه عقلا فلأن ذلك خاضع لقدرة الله تعالى الذى لا يعجزه شىء . وأما وقوعه فعلا ، فلأن الله تعالى اخبر بوقوعه ، وما اخبر الله بوقوعه فهو واجب التصديق والتسليم ، ومن اصدق من الله حديثا ؟! وايضا لا خلاف بين أهل الكتاب والمسلمين في أن ادم اول البشر وانه اول من عرف الكلام ، فمعرفة آدم بالكلام ابتداء كمعرفة سليمان بلغة الحيوانات ، لأن الذى علم آدم ، هو الذى علم سليمان . ويرد على هذا أيضا ما جاء في سفر التكوين عند قوله :

" وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الاله . فقالت للمرأة احقا قال الله لا تاكلا من كل شجر الجنة ؟ . . . فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم انه يوم تاكلان منه تنفتح اعينكما فتكونان كالله عارفين الخير والشر "(١) .

أليس هذا مما جاء في الكتاب المذكور ؟ فكيف علمت حواء لغة الحية ؟ ولماذا لم يكن مخالفا للعقل ما جاء في سفرهم هذا ؟ واعتبر ما جاء في غيره مخالفا للعقل مع انهما أمران متماثلان ليس احدهما أولى بالتكذيب أو بالتصديق من الاخر ، وأى عقل هذا الذى يرى ان العلم بلغة الحيوانات وتسخير الجن مخالف للعقل ؟ وأما تسخير الجن لسليمان ، فليس منافيا للعقل ، فالجن بعض مخلوقات الله تعالى الكثيرة وهي وغيرها خاضعة لقدرة الله تعالى الذى خلقها من العدم . فالذى سخر لنا الشمس والقمر ، وسخر لنا ما في السموات وما في الارض هو الذى سخر لسليمان الجن والشياطين كما سخر له الريح تجرى بامره . ولكن الذى لا يقبله المرء من هو ادعاء ان ذلك التسخير كان بواسطة السحر ، فسليمان عليه السلام لم يستخدم السحر في تسخيرهم ، وانما الله تعالى هو الذى امرهم بطاعته أمر الا مهرب لهم

---

(١) تكوين ٣ جـ ١-٥

عن قبوله " ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير " هذا هو موقف العقل السليم من ذلك التسخير الالهى والتعليم الرباني . وأما العقل الذى يستبعده ، فهو العقل الذى يرى ان مريم حملت الاله في بطنها ،فولدته وأرضعته ، وتعرض لكل ما يتعرض له البشر من تطورات وتغييرات ،حتى بلغ مبلغ الرجال فقتل على يد اليهود صلبا ، وهو يستنجد و يسترحم أباه ، ثم دفن كسائر البشر . غير انه قام من قبره بعد ثلاثة ايام فصعد الى السماء وجلس بجانب أبيه ، فكون احد الاقانيم الثلاثة التى تكون مجتمعة الها واحدا . وهو ايضا نفس العقل الذى يرى ان الاله ياكل و يشرب ويصارع ويغلب . و هذا العقل ليس من العقل السليم في شىء حتى يكون ميزانا لما يعقل أو لا يعقل .

المبحث الخامس

موقفهم من عيسى عليه السلام

١- انتظارهم ظهور المسيح :

كان بنو اسرائيل يرتقبون ظهور ملك منهم يدعى المسيح ، يوحد صفوفهم ، ويعيد لهم السيادة ولا لهيبة التي كانت قد تلاشت بعد وفاة سليمان ، وتكون لهم السيادة على العالم في ظله ، ويعيشون في نعيم مقيم ، وعز مستديم وكلما هبت عليهم ريح المحن والاستكانة والضعف ، منوا أنفسهم بذلك المسيح المنتظر ، وازداد ترقبهم لظهوره ، وقد بلغت تلك الأماني ذروتها حينما اقتلعوا من أرض فلسطين وحملوا أسرى الى بابل . وكانوا يعتقدون انهم يعيشون في ظل ذلك الملك في غاية السعادة ومنتهى العظمة ، وان طبائع الحيوانات المفترسة تتغير ، فتكون السباع مسالمة أليفة لسائر الحيوانات ويكون الخير وفيرا .

يقول بولس حنا مسعد نقلا عن التلمود : " ان المسيح عندما يأتي تنتج الأرض حلوى وأثوابا من الصوف وحنطة خصبة ، الحبة الواحدة منها تزن ثقل كلية ثور فحل "(١) .

ويقول أيضا : " ان المسيح يعيد قضيب الملك الى اسرائيل فتخدمه وتخضع له الممالك . وعندئذ يمتلك كل يهودى ألفين وثمانمائة عبد وثلثمائة وعشرة أبطال يكونون تحت امرته ، بيد ان المسيح لا يأتي ما لم ينقرض ملك الشعوب غير اليهودية وتتلاشى الشقاوة "(٢) .

بعد عودة بني اسرائيل من السبى ، وفي الايام التي كانوا يخضعون فيها لحكم الرومان ، ولد عيسى بن مريم عليه السلام ولادة عجيبة اضطربت منها السنة اليهود وأفئدتهم ، فقد ولد من عذراء طاهرة بلا أب فلما بلغ مبلغ الرجال أرسله الله الى بني اسرائيل برسالة اصلاحية ، لم تخرج عن القواعد العامة التي دلت عليها التوراة في العقيدة والشريعة ، الا ما أراد الله نسخه من الاحكام المفروضة

---

(١) (٢) همجية التعاليم الصهيونية ص ١٣٢

فيها على لسان عيسى عليه السلام . فبلغ عليه السلام رسالة ربه واخبر بني اسرائيل انه هو المسيح الذى ينتظرونه زمنا طويلا وان المجد الذى يريد تأسيسه ليس ملكا دنيويا وانما هو الاصلاح الروحي الموصل الى ملكوت الله تعالى . فما كان جواب قومه الا التكذيب ،والمقاومة ،ورميه بعظائم الأمور وقبائح الخصال ،ولكنه صابر وثابر على دعوته ، وقاوم اليهود في كل مكان نزل به مقاومة عنيفة ، وفضح ما هم عليه من الكفر والنفاق والرياء ، ووصفهم باقبح الاوصاف . فآمن به كثيرون ، وكفر اخرون ،فكان لكل من الفريقين مواقف منه عليه السلام . وهذا ما سيأتي توضيحه على ضوء ما روته الأناجيل المسيحية ، وما وصل الينا نقله عن التلمود ،ثم نختم ذلك بما قص الله تبارك وتعالى علينا من ذلك في القرآن الكريم :

٢ ـ موقفهم من عيسى عليه السلام كما روته الاناجيل :

ورد في الاناجيل ان كثيرا من اليهود ـ آمنوا بالمسيح عليه السلام حينما شاهدوا الآيات التي جرت على يديه ،وعدوا كثيرا منهم قاوم دعوته وأعلن له العداوة . وكانت الكهنة والفريسيون والكتبة ـ وهما من فرق اليهود ـ يعادون المسيح معاداة سافرة ، وكان الفريسييون أشدهم واكثرهم مقاومة له . ولكي تتضح موقفهم منه كما روته الاناجيل اليك بعض نصوصها فيما يأتي :

أولا ـ موقف الفريسيين* كما روته الأناجيل :

" فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه فعلم يسوع وانصرف من هناك" (١)

---

* فرقة الفريسيين اكثر فرق اليهود عددا في الماضي والحاضر . واهم ما تمتاز به هذه الفرقة على الفرق الاخرى الاعتراف بجميع اسفار العهد القديم وأسفار التلمود ويطلق على فقهائهم اسم الربانيين . وكذلك تمتاز بالايمان بالبعث بعد الموت ولكن بالعودة الى الدنيا والتنعم فيها وذلك حينما يأتى مسيحهم الذى ينتظرونه . انظر الاسفار المقدسة لعلى عبدالواحد ص ٥٥ ومقارنة الاديان ١ـ اليهودية ص ٢٢٢-٢٢٤

(١) متى ١٢ : ١٤-١٥

" اما الفريسيون فلما سمعوا قالوا هذا لا يخرج الشياطين ، الا ببعلزبول رئيس الشياطين " (١) .

" حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة فأرسلوا اليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين يا معلم نعلم انك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد لانك لا تنظر الى وجوه الناس ، فقل لنا ماذا تظن أيجوز . ان تعطى جزية لقيصر ام لا ؟ فعلم يسوع خبثهم فقال لماذا تجربونني يا مراؤون ؟ أروني معاملة الجزية فقدموا له دينارا فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ فقالوا له لقيصر . فقال لهم : أعطوا اذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا " (١)

" أما الفريسيون فلما سمعوا انه ابكم الصدوقيين اجتمعوا معا ، وسأله واحد منهم وهو ناموسي ليجربه قائلا : يا معلم أية وصية هى العظمى في الناموس ؟ فقال له يسوع : تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ، هذه هي الوصية الاولى العظمي . والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك . بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء " (٣) .

" وكان الفريسيون ايضا يسمعون هذا كله وهم محبون للمال فاستهزأوا به فقال لهم : أنتم تبررون أنفسكم قدام الناس ولكن الله يعرف قلوبكم ان المستعلى عند الناس هو رجس قدام الله " (٤) .

" فقال له الفريسيون أنت تشهد لنفسك شهادة ليست حقا " (٥) .

---

(١) متى ١٢ : ٢٤ (٢)

(٢) متى ٢٢ : ١٥-٢٢ وانظر ايضا انجيل مرقس ١٢ : ١٣-١٧ وفي انجيل لوقا ذكر ان الذين سألوه هم رؤساء الكهنة والكتبة لا الفريسيون انظر لوقا ٢٠ : ١٩- ٢٦

(٣) متى ٢٢ : ٣٤-٤٠ (٤) لوقا ١٦ : ١٤-١٥

(٥) يوحنا ٨ : ١٣

ثانيا ـ موقف الكتبة* كما روته الاناجيل :

" فطلب رؤساء الكهنة والكتبة ان يلقوا الايادى عليه في تلك الساعة ولكنهم خافوا الشعب لانهم عرفوا انه قال هذا المثل عليهم" (١) .

" وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه لانهم خافوا الشعب فدخل الشيطان في يهوذا الذى يدعى الاسخريوطي وهو من جملة الاثنى عشر فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه اليهم ففرحوا وعاهدوه ان يعطوه فضة فواعدهم وكان يطلب فرصة ليسلمه اليهم خلوا من جمع" (٢) .

ثالثا ـ موقفه عليه السلام من الفريقين :

لم يهادن المسيح عليه السلام اولئك اليهود الذين قاوموه وآذوه ورموه بالكذب والجنون وهددوه بالقتل ،ولم يبال بما اظهروه له من العداء السافر بل كان له موقف صريح لا يجرؤ عليه الا نبي مؤيد من ربه تبارك وتعالى . وفيما يلي نستعرض بعض نصوص الاناجيل التي تحكي لنا موقف المسيح عليه السلام من خصومه :

حينما طلب منه الكتبة والفريسيون ان يريهم آية قال لهم المسيح :

" جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي" (٣) .

---

* الكتبة احدى فرق اليهود التي عاصرت المسيح وكانت مهمتهم كتابة الشريعة ونسخها لمن يطلب حتى مكنتهم هذه الوظيفة من معرفة الشريعة فقاموا بوظيفة اخرى وهي الوعظ والارشاد ،وكان هذا العمل مما يدر عليهم الاموال ولما تسرب الوهن الى الفريسيين وقل اتباعهم احتلوا مركز الصدارة وأسسوا مدارس خاصة نشروا بواسطتها تعليماتهم وبسطوا نفوذهم وازداد ثراؤهم . انظر مقارنة الاديان ١ ـ اليهودية ص ٢٢٧-٢٢٨ .

(١) لوقا ٢٠ : ١٩ -　　(٢) لوقا ٢١ : ٢-٦

(٣) متى ١٢ : ٣٩

وهينما عاب الكتبة والفريسيون تلاميذه لعدم غسلهم أيديهم حينما ياكلون قال لهم : " وانتم ايضا لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم فان الله اوصى قائلا : اكرم اباك وامك و من يشتم ابا واما فليمت موتا ،وأما انتم فتقولون من قال لأبيه وامه قربان هو الذى تنتفع به منى فلا يكرم اياه أو أمه فقد ابطلتم وصية الله بسبب تقليدكم . يا مراؤون حسنا تنبأ عنكم اشعياء قائلا يقترب الى هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفته وأما قلبه فمبتعد عنى وباطلا يعبدوني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس" (١) .

" أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس احد منكم يعمل الناموس لماذا تطلبون ان تقتلوني ؟ أجاب الجميع وقالوا : بك شيطان من يطلب ان يقتلك ؟ " (٢) .

" انا عالم انكم ذرية ابراهيم لكنكم تطلبون ان تقتلوني لان كلامي لا موضع له فيكم ... لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم ، ولكنكم الان تطلبون ان تقتلوني وانا انسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله هذا لم يعمله ابراهيم ... أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون ان تعملوا ... متى تكلم بالكذب فانما يتكلم مما له لأنه كذاب وابو الكذاب وأما انا فلأني اقول الحق لستم تؤمنون بي من منكم يبكتني عن خطية ؟ فان كنت اقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بي ؟ الذى من الله يسمع كلام الله لذلك انتم لستم تسمعون لانكم لستم من الله . فأجاب اليهود وقالوا له : ألسنا نقول انك حسنا سامرى وبك شيطان أجاب يسوع انا ليس بي شيطان لكنى اكرم أبي وانتم تهينونني ... فقال اليهود الان علمنا أن بك شيطانا " (٣) .

" حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم ان تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب اعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون فانهم يحزمون احمالا ثقيلة عسرة

---

(١) متى ١٥ : ٣-١٠ (٢) يوحنا ٧ : ٢٥-٢٦ (٣) يوحنا ٨ : ٣٧-٥٢

الحمل ويضعونها على اكتاف الناس وهم لا يريدون ان يحركوها باصبعهم • وكل اعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس فيعرضون عصائبهم و يعظمون أهداب ثيابهم ، ويحبون المتكأ الاول في الولائم ، والمجالس الأولى في المجامع والتحيات فى الأسواق وان يدعوهم الناس سيدى سيدى "(١) •

هكذا وصف المسيح عليه السلام اليهود ، وبين احوالهم التي لازمتهم في أجيالهم المتعاقبة ووبخهم على خطاياهم التي يصرون عليها ، ويسدلون عليها ستار النفاق باظهار الصلاح والتقوى واطالة الصلوات ،وأمر الناس بصلاح هم أبعد ما يكونون عنه ، وانهم يريدون ان يكرمهم الناس ويناد وهم بالسيادة وأن تكون لهم الصدارة في المجالس والمجامع • وتلك صفات من لا خلاق له من الناس • وعلى هذا دل القرآن الكريم في قوله : " أتأمرون الناس بالبر و تنسون انفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون "(٢) •

٣ - موقفهم من عيسى كما جاء في التلمود :

يصف التلمود عيسى عليه السلام وصفا شنيعا يدل على شدة عداوة اليهود وبغضهم له ، ولعل السر في ذلك انه عليه السلام فضح عيوبهم و كشف عوراتهم للناس كما دل على ذلك النص السابق آنفا •

يقول ظفر الاسلام خان في كتابه التلمود تاريخه وتعاليمه وذلك نقلا عن الدكتور جوزيف باركلي :

" ان الطبعات الاولى من التلمود شملت كثيرا من السب والشتم ضد سيدنا المسيح عليه السلا م والمسيحية ،ولكن الطبعات الاخيرة لا تشمل الا القليل جدا بعد ان طهرتها الكنيسة •ومن طبعا ت التلمود التي كانت تسب وتشتم سيدنا المسيح طبعة استردام لسنة ١٦٤٥م • وقد نعتت فيها السيد المسيح بالكلمات الآتية :

---

(١) متى ٢٣ : ١-٧ (٢) سورة البقرة ٤٤

١ - ذلك الرجل " The one " ٢٠ - مثل ذلك الرجل " Such an one ". وجاء في نفس الطبعة أيضا :
٣ - "أحمق " A Fool " ٤٠ - "المجذوم" The Leper " (المصاب بالجذام). ٥ - غشاش بني اسرائيل " The Deceiver of Israel ". وجاء في نفس الطبعة ايضا : ٦ - " يدعى أنه ابن الجندى يوسف بنديرا " Joseph pandira " لحبلت به مريم (نعوذ بالله من هذا البهتان الأثيم !) قبل زواجها ! ٧ - المعجزات التي قام بها المسيح كانت بقوة السحر " Sorcery " . وانه قد تعلم السحر اثناء وجوده في مصر . واستدلوا على ذلك لأنهم وجدوا على جسد المسيح عليه السلام علامة لشق اللحم (!) . ٨ - زعموا انه تعلم ما كان يقوله للناس على يد يوشوا ابن برخيا " Joshua ben Perachia " وزعموا ايضا أن يوشوا هذا قد حرمه - كنسيا " Excommunicated " وألقاه بين قرون اربعمائة كبش لتفتك به (هذا رغم ان يوشوا عاش قبل المسيح بسبعين سنة !!) ٩ - قبل صلب المسيح اعلن في المدينة عن طريق النداء العام ان يحضر الذين يريدون الشهادة ببراءة المسيح ولكن احدا لم يتقدم (!) ١٠ - يقول التلمود ان المسيح عليه السلام رمي بالاحجار ثم صلب مساء عيد الفصح . ١١ - تلاميذ المسيح ملحدون " Heretics " ويطلق التلمود عليهم اسماء شائنة فاضحة و يتهمهم باتيان افعال قبيحة"(١) .

ويقول محمد على الزعبي : " رغم ان العهد القديم بشر بالمسيح ، تنكر اليهود له ، وحاكوا الدسائس وبيتوا المؤامرات كمؤامرتي مريم المجدلية ، وأعطوا ما لقيصر لقيصر) مثلا ، ولذلك رأى هدايتهم مستحيلة ، وفارقهم

---

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٦١ - ٦٢

قائلا : أرسل الى خاصته وخاصته لم تقبله . ولذا لا يوجد كتاب ينظر المسيح بعين حمراء سوى التلمود ومشتقاته من مؤلفات اليهود التي اتخذته مصدرا .
أما العذراء الصديقة ، فقد خصها التلمود بحملات قاسية ، اخفها قوله :
(كان الجنود الرومان يسبحون في بحيرة ، وقد نزلت مريم تسابح وتعانق وتراقص جنديا رومانيا يدعى " بندارا " ومنه حملت بالمسيح . وقد كشف القرآن الكريم هذه المخبئات اليهودية و فضح اللسان المريض ،الذى اعلنوه على مريم بهتانا وافكا " (١) .

ويقول الدكتور احمد شلبى : " يقول التلمود عن المسيح : ان يسوع الناصرى موجود في لجات الجحيم بين القار والنار . وان امه مريم أتت به من العسكرى "بندار" عن طريق الخطيئة . وان الكنائس النصرانية هي بمقام القاذورات ، والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة ،وان قتل المسيحى من الأمور المأمور بها ، وان العهد مع المسيحى لا يكون عهدا صحيحا يلتزم اليهودى القيام به ،وانه من الواجب ان يلعن اليهودى ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبنى اسرائيل" (٢) .

وجاء في كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود : أن التلمود وصف المسيح بأنه ساحر ووثني وأنه مجنون وكافر لا يعرف الله وانه يهودى مرتد" (٣) .

هكذا كانت مواقف اليهود من المسيح عليه السلام ، وهي كفر صريح وانتقاص عظيم وبهتان مبين . ومع هذا الموقف الذى وقفه اليهود من المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، فان النصارى الذين يتمسحون به ويقولون انهم اتباعه ، هم الذين اقاموا دولة اليهود في أرض فلسطين الاسلامية ،وهم الذين يحمون وجودها ويدافعون عنها بكل ما أوتوا من قوة. وذلك على الرغم من أن النصارى

---

(١) دفائن النفسية اليهودية ص ١٢٧- ١٢٨
(٢) مقارنة الأديان ١- اليهودية ص ٢٧٥
(٣) الكنز المرصود ص ٩٩-١٠٠

يعتقدون قديما وحديثا ان اليهود هم الذين قتلوا المسيح صلبا وانهم يعادونه ويعادون النصارى عداء سافرا كما تبين لهم ذلك من خلال تعاليم التلمود الهدامة . ليت شعرى ما سر اتفاق النصارى مع اليهود في هذا العصر على هضم حقوق المسلمين ومحاربتهم مع ان المسلمين اكثر الناس ايمانا واجلالا للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام على أساس أنه احد انبياء الله الكرام ، أرسله الله الى بنى اسرائيل بعد ولادته المعجزة من عذراء بلا أب ، فاعجب لهذا التواطوء اليهودى النصراني !!!؟

٤ - موقفهم من عيسى ابن مريم عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم :

تدل الآيات القرآنية الواردة في بيان موقف بنى اسرائيل من نبي الله عيسى عليه السلام على أنهم وقفوا منه منذ ولادته الى ان رفعه الله عز وجل من بينهم ثلاثة مواقف ينتظمها أمران ، الأمر الاول ولادته عليه السلام من عذراء لم يمسسها بشر . الأمر الثاني : رسالته الى بنى اسرائيل ، وفيما يلى ايضاح لتلك المواقف على ضوء ما دلت عليه الآيات القرآنية الكريمة :

الموقف الأول : موقف من رموا امه مريم بالفاحشة ، وأنها أتت به لغير رشدة ، فقد بين ذلك القرآن الكريم في قول الله تعالى بعد ان ذكر جملة من الأسباب التي لعنوا من أجلها :

" وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما " (١)

قال النيسابورى : " فانكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير أب وكذا انكارهم نبوة عيسى كفر ، ونسبتهم الزنا لمريم بهتان عظيم ، لأنه ظهر لهم عند ولادة عيسى من الكرامات والمعجزات ما دلهم على براءتها من كل سوء" (٢) .

وقال تعالى مخبرا عن موقفهم وقذفهم الصريح لمريم حينما جاءت قومها من المكان الذى ولدت فيه عيسى وهي تحمله :

---

(١) سورة النساء ١٥٦ (٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج٦ص١٣

" فأتت بها قومها تحمله / قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا . يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا " (١) .

أي ان مريم بعد ما تنحت عن قومها واعتزلتهم بعد حملها المفاجيء بتلك الطريقة العجيبة ، فولدت عيسى عليه السلام ، أتت به بني اسرائيل وهي تحمله ، فقذفوها بالفاحشة ، ورموها بالزنا مع انهم على علم بصلاح أبويها وبعدهما عما يريب . فما كان من مريم الا أن أحالت قومها على ملوء :

" فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا - قال اني عبدالله أتاني الكتاب وجعلني نبيا . وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا . وسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا " (٢) .

فقد كان كلامه عليه السلام وهو في المهد آية أخرى على براءة أمه ، ومكانة هذا المولود المبارك ، أضف الى ذلك أن ما تكلم به اشتمل على ما هيء لهذا المولود من مكانة عظيمة عند الله تبارك وتعالى ، وما يصحبه من بركة أينما حل ، وما يتصف به من صلاح وتقوى يتمثل في اقامة الصلاة وايتاء الزكاة طول حياته وفي البر بأمه . ومع هذه الاية البينة الدالة على براءتها فقد استمروا على هذا القول البذيء ، والبهتان العظيم .

<u>الموقف الثاني :</u> موقف المؤيدين لدعوته عليه السلام ، وهم المؤمنون الصالحون ، والاتباع المخلصون المعروفون بالحواريين ، رضى الله عنهم . فقد جاء في حق هؤلاء قول الله تعالى :

" فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين " (٣) .

---

(١) سورة مريم ٢٧ - ٢٨

(٢) سورة مريم ٢٩ - ٣٣

(٣) سورة آل عمران ٥٢-٥٣

وقوله : " يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين "(١).

أى ان عيسى عليه السلام حينما أدرك أن معظم بنى اسرائيل كفروا به ، نادى في الحواريين قائلا : من أنصارى الى الله ؟ أى من موء يدى في نصرة دين الله والدعوة اليه ؟ فاستجاب الحواريون لندائه ، وهم الصفوة المختارة من أتباعه ، فأعلنوا ايمانهم بالله وأشهدوه عليه السلام على اسلامهم . وقال تعالى :" واذ أوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون "(٢) .

هذا الموقف هو أحد ثلاثة مواقف كانت لبنى اسرائيل من عيسى عليه السلام فيما يختص بأمر الدعوة التى بعث بها . وهوءلاء لم يبق منهم احد على وجه الارض الآن . والمسلمون هم خلفاوءهم في الايمان به .

<u>الموقف الثالث :</u> موقف المعارضين لدعوته عليه السلام . وهم الذين كفروا به وناصبوه العداء السافر ، وعزموا على قتله ، ولكن الله نجاه من الموت على ايديهم الملوثة بدماء الأنبياء والصالحين . . وتبين هذا الموقف الكفرى الآيات الآتية :

" ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه . فاتقوا الله وأطيعون . ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم . فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم "(٣).

وكذلك دلت الآية السابقة من سورة آل عمران على كفرهم به عليه السلام

---

(١) سورة الصف ١٤ (٢) سورة المائدة ١١١

(٣) سورة الزخرف ٦٣-٦٥

وذلك في قوله تعالى :" فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله " الآية .

وعليه دلت آية سورة الصف في قوله :" فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة " الآية . وكذلك قوله :" واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين"(١) .

كان هذا موقف فريق من بنى اسرائيل من رسالة عيسى عليه السلام ، وهو الكفر والمقاومة ووصف ما أجرى الله على يديه من الايات الدالة على صدقه بأنه سحر مبين . وهؤلاء هم أغلب اليهود في عصر عيسى عليه السلام وبعده حتى يومنا هذا . وهم الذين زعموا انهم قتلوه صلبا . ولكن القرآن الكريم كذبهم وبين أنهم لم يقتلوه ولم يصلبوه ،ولكن الأمر التبس عليهم . وهذا الزعم اليهودى الذى كذبه القرآن كان سبب ضلال النصارى ، فانهم يعتقدون ان المسيح قتل على ايدى اليهود على الصليب . فقدسوا الصليب وعبدوه وقد استحق اليهود غضب الله ولعنته بسبب هذا الزعم الفاسد كما بين القرآن الكريم بقوله :

" وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما"(٢) .

٥ - مكانة عيسى ابن مريم كما جاء في القرآن :

ان عيسى ابن مريم عليه السلام أحد الرسل العظام الذين أرسلهم الله الى قومهم بالخير والبركة والهدى والرحمة . فقد ورد ذكره في القرآن الكريم

---

(١) سورة الصف ٦ (٢) سورة النساء ١٥٧-١٥٨

في خمسة وعشرين موضعا ، كما ذكر القرآن الكريم لقبه " المسيح " في أحد عشر موضعا . وفي كل آية ذكر فيها عليه السلام يبين الله للمؤمنين مكانتـــه عند الله تعالى ، ومنزلته الرفيعة مع اخوانه المرسلين ، وخصائصه التي وهبها الله له ، كولادته من غير أب ، وكلامه في المهد ، وابرائه الأكمه والأبرص . وغير ذلك مما يؤكد لنا انه عليه السلام ذو مكانة رفيعة عند ربه عز وجل . وهو أحد أولى العزم الخمسة في قوله تعالى :" واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى وأخذنا منهم ميثاقا غليظا . ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما "(١) .

وقوله : " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء و يهدى اليه من ينيب" (٢) . وهو رسول الله وكلمته وروح منه خلقه على خلاف ما جرت به سنته في البشر حيث ولد بلا أب من عذراء طاهرة لم يمسسها بشر . وعلى هذا دل قول الله تعالى :" " اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين ،ويكلم الناس في المهد ،وكهلا ومن الصالحين "(٣) .

فأى المنزلة أعظم من هذه المنزلة التي كانت لعيسى عليه السلام في كتاب الله تعالى ؟ أتلك التي أنزله اليهود ،فبئست المنزلة ، أم تلك التي أنزله النصارى المؤلهون ؟ .

يقول الله تعالى مبينا منزلة رسوله عيسى عليه السلام : " ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون "(٤) .

---

(١) سورة الاحزاب ٧-٨
(٢) سورة الشورى ١٣
(٣) سورة آل عمران ٤٥-٤٦
(٤) سورة المائدة ٧٥

وفي هذه الآية تتجلى مكانة عيسى عليه السلام وهي مكانة الرسالة الالهية التي أنعم الله بها عليه كغيره ممن سبق من الرسل الذين لم يكن عيسى بدعا منهم. فهو لم يكن كاذبا في دعوى النبوة والرسالة كما زعم اليهود، ولم يكن الها من دون الله كما يزعم النصارى، لأنه بشر يأكل الطعام لافتقاره اليه، والألوهية في معزل عن ذلك. فثبت أنه برئ رفيع القدر مما رماه به اليهود من صفات النقص، جدير بصفات الرسل الذين خلوا من قبله، لأنه واحد منهم فلا يستحق ان يعبد من دون الله لأنه مخلوق مفتقر. هذه هي مكانة عيسى عليه السلام في القرآن الكريم.

المبحث السادس

موقفهم من محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين

تمهيد : كان اليهود على معرفة كاملة بصفات نبي آخر الزمان الذى وردت نعوته في التوراة ، ومختلف أسفار الانبياء ، كما وردت صفاته والبشارة به في الانجيل .
وكان اليهود يتمنون أن يكون ذلك النبي الذى عرفوه بصفاته من بني اسرائيل .
ولكن النبوة لا تكون بالتمني ولا بالاماني وانما تكون بمحض فضل الله واصطفائه لمن يشاء من عباده الأخيار . فقد أراد الله تعالى ان تكون النبوة الخاتمة والرسالة العامة في غير بني اسرائيل فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم من بني اسماعيل برسالة عالمية خاتمة . فأثار ذلك غضبهم وحقدهم وحسدهم ، فأنكروا معرفتهم به من خلال نعوته الواردة في كتبهم ، فكفروا به وكذبوه ،وقاوموا دعوته وآذوه بألسنتهم وأيديهم غير مبالين بآيات الله تتلى عليهم ، ولم يعملوا بما في أيديهم من كتب دلت على صدقه دلالة واضحة جعلتهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، فخابوا وخسروا خسرانا مبينا ، وضلوا ضلالا بعيدا .

وفي فقرات هذا المبحث ، نستعرض بعض النصوص الدالة على نعوت النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أسفار اليهود ، ثم نعقب على ذلك بنصوص من القرآن الكريم تدل على ان الانبياء السابقين من بني اسرائيل بشروا بالنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، وان اليهود كانوا يعرفونه معرفة لا لبس فيها ، وانهم كفروا به ،وكتموا ما جاء في كتبهم من صفاته ، حسدا من عند انفسهم ، وآذوه بألسنتهم وأيديهم ،فحقت عليهم لعنة الله ، وحل بهم غضبه وعقابه .

البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في الأسفار اليهودية :

البشارة الأولى : لقد خاطب موسى عليه السلام قومه قبل وفاته قائلا : " يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك ، من اخوتك مثلي له تسمعون "(١) .

ثم بين لهم أنه عليه السلام بشرهم بذلك النبي الذى سيبعث من بين اخوة بني اسرائيل ،لأن الله عز وجل وعد بذلك حيث قال :" أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك ،وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه ، ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامي الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه "(٢) .

وفي هذا بشارة بنبوة تكون في اخوة بنى اسرائيل ، وهم بنو اسماعيل ، لأنه لا يصح ان يراد بالأخوة هنا احد أسباط بنى اسرائيل لكونهم مجتمعين تحت قيادة موسى عليه السلام منذ خروجهم من مصر ، ولو كان المراد بنى اسرائيل لقال " منكم " فدل هذا على ارادة اخوة بنى اسرائيل وهم بنو اسماعيل . فان قيل ان اخوة بنى اسماعيل ليسوا بنى اسماعيل فقط . فان بنى آدوم أى ابناء عيسو بن اسحاق . وبنى قطورة احدى زوجات ابراهيم عليه السلام ،هم كذلك اخوة بنى اسرائيل ،أفلا يحتمل ان يكون ابناء ابراهيم من قطورة او بنو عيسو بن اسحاق هم الذين قصدوا بهذه البشارة ؟ قيل ينفى هذا الاحتمال أمران :

الأمر الأول : ما جاء في سفر التكوين من الوعد الالهى الذى جاء فيه قوله وهو يخاطب ابراهيم عليه السلام :" وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا اباركه وأثمره واكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة "(٣)

---

(١) تثنية ١٨ : ١٥ (٢) تثنية ١٨ : ١٨-١٩

(٣) تكوين ١٧ : ٢٠-

وهذا الوعد الالهي لنبيه ابراهيم عليه السلام لم يكن الا بشارة بان ذرية اسماعيل سيكون لها شأن عظيم ، وسوف تحتل مكانة رفيعة بين الأمم ، ولا يكون ذلك الا سيادة الدين وسياسة الدنيا بما شرعه الله ، وهذا لم يقع الا بعد مبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فان الله عز وجل جمع لبني اسماعيل بعد مبعثه بين امامة الدين ، وسيادة الدنيا .

وكذلك جاء في سفر التكوين أن الله بشرهاجر بذرية عظيمة في موضعين : الموضع الأول ، حينما هربت هاجر من وجه سارة اذ قال لها : " تكثيرا اكثر نسلك فلا يعد من الكثرة ... ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب سمع لمذلتك وانه يكون انسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع اخوته يسكن "(١) . الموضع الثاني ، حينما صرفها ابراهيم مع ولدها اسماعيل - حسب قول الرواية - بشرها الملاك قائلا : " مالك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومي احملي الغلام وشدي يدك به لأني ساجعله أمة عظيمة "(٢) .

والأمة العظيمة هي الأمة المؤمنة بربها ، والمعتزة بدينها ، ولم تكن ذرية اسماعيل كذلك الا بعد ان ارسل الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم. ولم يكن هذا الوعد لبني عيسو ولا لبني ابراهيم من قطورة ،ولم يعرف أنهم صاروا أمة عظيمة أو ان نبيا منهم بعث . قال الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى معلقا على النص الثاني :" قال المستخرجون لهذه البشارة : معلوم أن يد بني اسماعيل قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن فوق أيدي بني اسحاق ، بل كان في بني اسحاق النبوة والكتاب . وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب ،فلم يكن لبني اسماعيل فوقهم يد . ثم خرجوا منها لما بعث موسى وكانوا مع موسى أعز اهل الأرض لم يكن لأحد عليهم يد . ثم مع يوشع

---

(١) تكوين ١٦ : ١٠-١٢ (٢) تكوين ٢١- ١٧-١٨

بعده الى زمن داود ،وملك سليمان الذى لم يوئت احد مثله ،وسلط عليهم بعد ذلك بخت نصر ، فلم يكن لبني اسماعيل عليهم أمر ، ثم بعث المسيح وخرب بيت المقدس الخراب الثاني ، حيث أفسدوا في الأرض مرتين ، ومن حينئذ زال ملكهم وقطعهم الله في الأرض أمما ، وكانوا تحت حكم الروم والفرس، والقبط،ولم يكن للعرب عليهم حكم اكثر من غيرهم ،فلم يكن لولد اسماعيل سلطان على احد من الامم ،لا أهل الكتاب ولا الأميين ، فلم يكن يد ولد اسماعيل فوق الجميع حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الذى دعا به ابراهيم واسماعيل حيث قالا : " ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم"(١) فلما بعث ، صارت يد ولد اسماعيل فوق الجميع ،فلم يكن في الارض سلطان أعز من سلطانهم ، وقهروا فاروس والروم وغيرهم من الامم الجبابرة ، وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين . فظهر بذلك تحقيق قوله في التوراة : " وتكون يده فوق الجميع ويد الكل به "(٢) وهذا أمر مستمر الى آخر الدهر"(٣) .

<u>الأمر الثاني :</u> لم يثبت أن نبيا ما بعث في بني عيسو وبني ابراهيم من قطورة ، فثبت أن النبي الذى بشر بنو اسرائيل ببعثه من اخوتهم هو محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه لم يثبت ان نبيا بعث في بني اسماعيل بعد تلك البشارة الا محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سورة البقرة ١٢٩

(٢) في الترجمة العربية المتداولة هكذا :" يده على كل واحد ويد كل واحد عليه " وفي الترجمة العربية للنسخة السامرية هكذا : " يده بالكل ويد الكل به " وهي ترجمة قريبة من ترجمة ابن تيمية اى التي اعتمد عليها .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٣ ص ٣١٣ - ٣١٤ .

ويؤكد هذا المعنى ما ذكر في البشارة من المماثلة بين النبي الموعود به ، وبين موسى عليه السلام فان النبي المماثل له في امور كثيرة هو محمد صلى الله عليه وسلم. ومن بين وجوه المماثلة بينهما ان محمدا صلى الله عليه وسلم صاحب شريعة ، وموسى كذلك ،ومنها انه أوتي كتابا وموسى كذلك ، ومنها أنه بعث بالجهاد وموسى كذلك. ومنها انه جمع شتات الأمة ووحد صفوفها وموسى كذلك.

وكذلك يؤكد ارادة هذا المعنى قوله : " واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه ". فانه يدل على ان النبي الموعود به يحفظ كلام الله ويبلغه شفاها الى الناس . فكان محمد صلى الله عليه وسلم كذلك ، لانه نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ ، وانما يتلقى الوحي الالهي فيحفظ مايلقى اليه من كلام ربه .

وقوله : " ويكون ان الانسان الذى لا يسمع لكلامي الذى يتكلم به باسمي أنا أطالبه " يدل على أن الله يؤيد ذلك النبي على من يعارضه ويكفر بما يدعو اليه . وهذا هو الذى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فانه أيده ونصره على من عارضه وكفر بدعوته من جميع الأمم . فكانت له الغلبة والتأييد حتى ظهر دين الله وكانت كلمته الحسنى هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

وقال ابن القيم رحمه الله : " قوله في التوراة :" نبيا أقيم لهم من وسط اخوتهم مثلك ، به فليؤمنوا " ... حرفوا تأويله ، اذ لم يمكنهم ان يبدلوا تنزيله . وقالوا هذه بشارة بنبى من بنى اسرائيل . وهذا باطل من وجوه : أحدها ،أنه لو أراد ذلك لقال :" من أنفسهم " كما قال في حق محمد صلى الله عليه وسلم : " لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم "(١) وقال تعالى : " لقد جاءكم رسول من أنفسكم"(٢) ولم

---

(١) سورة آل عمران ١٦٤ (٢) سورة براءة ١٢٨

يقل من اخوتكم . الثاني ، أن المعهود في التوراة : ان اخوتهم غير بني اسرائيل . ففي الجزء الاول من السفر الخامس قوله : " أنتم عابرون في تخوم اخوتكم بني العيص (١) المقيمين في سيعير ، اياكم ان تطمعوا في شيء من أرضهم "(٢) . فاذا كان بنو العيص اخوة لبني اسرائيل -لأن العيص واسرائيل ولدا اسحاق ، والروم هم بنوالعيص ،واليهود بنو اسرائيل ،وهم اخوتهم - فكذلك بنو اسماعيل اخوة لجميع ولد ابراهيم . الثالث ، ان هذه البشارة لو كانت بشمويل (٣) وغيره من بني اسرائيل لم يصح ان يقال بنو اسرائيل اخوة بني اسرائيل . وانما المفهوم من هذا : ان بني اسماعيل أو بني العيص هم اخوة بني اسرائيل . الرابع ، أنه قال : "سأقيم لهم نبيا مثلك " وفي موضع آخر " أنزل عليه توراة مثل توراة موسى " . ومعلوم ان شمويل وغيره من انبياء بني اسرائيل لم يكن فيهم مثل موسى لا سيما و في التوراة : " لايقوم في بني اسرائيل مثل موسى "(٤) . وأيضا فليس في بني اسرائيل من أنزل عليه توراة مثل توراة موسى الا محمد والمسيح عليهم الصلاة والسلام . والمسيح كان من أنفس بني اسرائيل ، لا من اخوتهم ، بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم ، فانه من اخوتهم بني اسماعيل . وأيضا ،فان في بعض ألفاظ هذا النص " كلكم له تسمعون " وشموئيل لم يأت بزيادة ولا بنسخ لأنه انما أرسل ليقوي أيديهم على أهل فلسطين ، وليردهم الى شرع التوراة . فلم يأت بشريعة جديدة ،ولا كتاب جديد . وانما حكمه حكم سائر الانبياء من بني اسرائيل ، فانهم كانوا يسوسهم الانبياء . كلما مات نبي قام فيهم نبي "(٥) .

البشارة الثانية : جاءت في سفر التثنية أيضا على لسان موسى عليه السلام حيث قال : " جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتي من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم "(٦) .

---

(١) العيص هو عيسو بن اسحاق (٢) انظر تثنية ٢ : ٤-٥
(٣) قوله : شموئيل : يريد صموئيل
(٤) عبارة سفر التثنية : " ولم يقم بعد نبي في بني اسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه " ٣٤ : ١٠
(٥) اغاثة اللهفان جـ٢ ص (٣٦١ - ٣٦٢ (٦) تثنية ٣٣ : ١-٢

وجاء في سفر حبقوق قوله : " الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران ... جلاله غطى السموات والأرض امتلأت من تسبيحه" (١) .

ان سيناء وسعير وجبل فاران أماكن شرفها الله تعالى بنزول الوحي فيها على ثلاثة من أنبيائه الكرام صلوات الله وسلامه عليهم . فسيناء خاطب الله فيه موسى عليه السلام . وسعير هو المكان الذى كان يقيم فيه عيسى عليه السلام . وفاران هي مكة حيث ولد محمد صلى الله عليه وسلم ونزل عليه القرآن الكريم .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : " قال العلماء - واللفظ لمحمد بن قتيبة - ليس بهذا خفاء على من تدبر ، ولا غموض ، لأن مجيء الله من طور سيناء انزاله التوراة على موسى من طور سيناء ، كالذى هو عند اهل الكتاب وعندنا وكذلك يجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله الانجيل على المسيح ، وكان المسيح من ساعير - أرض الخليل بقرية تدعى " ناصرة " وباسمها سمى من اتبعه من نصارى . وكما وجب ان يكون اشراقه من ساعير بالمسيح ، فكذلك يجب ان يكون استعلائه من فاران ، انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم . وجبال فاران هي جبال مكة . قال : وليس بين المسلمين واهل الكتاب خلاف في ان فاران هي مكة ، فان ادعوا أنها غير مكة ، فليس ينكر ذلك من تحريفهم وافكهم . قلنا اليس في التوراة ان ابراهيم أسكن هاجر واسماعيل فاران ؟ وقلنا : دلونا على الموضع الذى استعلن الله منه ، واسمه فاران والنبي الذى أنزل عليه كتابا بعد المسيح . أوليس " استعلن " و " علن " هما بمعنى واحد ؟ وهو ما ظهر وانكشف . فهل تعلمون ظهور دين ظهور الاسلام وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوه ؟ . وقال ابو هاشم بن ظفر : " ساعير " جبل بالشام ، منه ظهرت نبوة المسيح . قلت وبجانب بيت لحم ، القرية التي ولد فيها المسيح ، قرية تسمى اليوم " ساعير " ولها جبال تسمى ساعير" (٢)

---

(١) حبقوق ٣ : ٣ والتيمان مساكن بني عيسو

(٢) الجواب الصحيح جـ٣ ص ٣٠٠-٣٠١

وقال الامام ابن القيم رحمه الله : " قوله في التوراة : " جاء الله تعالى من طور سيناء ، وأشرق نوره من سيعير ، واستعلن من جبل فاران ومعه ربوات القديسين " . وهم يعلمون ان جبل سيعير هو جبل السراة الذى يسكنه بنو العيص ، الذين آمنوا بعيسى . ويعلمون ان هذا الجبل كان مقام المسيح . ويعلمون ان سيناء هو جبل الطور . وأما جبال فاران ، فهم يحملونها على جبال الشام . وهذا من جهتهم وتحريف التأويل . فان جبال فاران هي جبال مكة ، وفاران اسم من اسماء مكة وقد دل على هذا نص التوراة : ان اسماعيل لما فارق أباه سكن في برية فاران وهي جبال مكة . ولفظ التوراة : " ان اسماعيل اقام في برية فاران وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر " (١) ، فثبت بنص التوراة ان جبال فاران مسكن لولد اسماعيل ، واذا كانت التوراة قد أشارت الى نبوة تنزل على جبال فاران ، لزم انها تنزل على ولد اسماعيل لانهم سكانها ، ومن المعلوم بالضرورة انها لم تنزل على غير محمد صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل عليه السلام وهذا من أظهر الامور بحمد الله تعالى (٢)

البشارة الثالثة : جاءت في المزامير في قوله : " الحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا . هذا هو اليوم الذى صنعه الرب . نبتهج ونفرح فيه . آه يا رب خلص آه يا رب أنقذ . مبارك الآتى باسم الرب . باركناكم من بيت الرب " (٣) .

وهذا النص فيه البشارة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم . وبكونها خاتمة النبوات ، لأن المراد بالحجر الذى صار رأس الزاوية ، هو محمد صلى الله عليه وسلم الذى ختم الله به النبوة والرسالة . وذلك مما يثير عجب بنى اسرائيل الذين لم ينظروا الى بني عمهم اسماعيل نظرة توقير ، بل نظروا اليه والى ذريته نظرة

---

(١) تكوين ٢١ : ٢١ (٢) اغاثة اللهفان جـ٢ ص ٣٦٣

(٣) مزامير ١١٨ : ٢٢ - ٢٦

تحقير ،اذ عابوه بأنه ابن الأمة وزعموا انه لا يستحق الميراث مع اسحاق ، وانما اسحاق هو صاحب الميراث الشرعي . ولكن الله هو الذى حكم بهذا ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولو كره الحاسدون .

و يشهد لهذه البشارة قوله صلى الله عليه وسلم : فيما رواه ابو هريرة عنه رضى الله عنه قال : " ان مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فانا اللبنة وانا خاتم النبيين" (١)

وأكد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هذه البشارة موضحا لبنى اسرائيل ان الرئاسة الدينية والنبوة ستنزع منهم وتعطى لأمة اخرى ،فقال : "أما قرأتم في الكتب الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا . لذلك اقول لكم : ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض . ومن سقط هو عليه يسحقه "(٢) .

وبعد ، فهل يوجد ما هو أوضح وأبين من هذه البشارة التي وصفت النبي صلى الله عليه وسلم وصفا دقيقا ؟!

البشارة الرابعة : في سفر أشعياء حيث جاء فيها قوله : " هوذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم ، لا يصيح ولا يرفع صوته ولا يسمع في الشارع صوته قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ ، الى الأمان يخرج الحق ، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض ،وتنتظر الجزائر شريعته "(٣) .

و هذه الصفات لا تنطبق على غير محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو عبدالله ومختاره الذى عضده وأيده بنصره وبروح من عنده ، حتى أخرج الحق لجميع الأمم بلا كلل ولا ملل ولا انكسار ،فعمت شريعته كل الآفاق .

---

(١) اخرجه البخارى في كتاب المناقب باب ما جاء في اسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) متى ٢١ جـ ٤٢-٤٤ (٣) اشعياء ٤٢ : ١-٤

البشارة الخامسة : في آخر الاسفار اليهودية وقد جاءت البشارة به صلى الله عليه وسلم على لسان ملاخي حيث قال :

" ها أنا أرسل اليكم ايليا النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم والمخوف ، فيرد قلوب الآباء على الابناء وقلب الأبناء على آبائهم . لئلا آتى واضرب الأرض بلعن "(١) .

ووجه دلالة هذا النص على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أن ايليا لم يبعث حتى في عصر المسيح ،لذلك سأل اليهود المسيح هل هو ايليا او نبي آخر ؟ فأجابهم أنه ليس هو ، فدل ذلك على أنه لم يأت حتى ذلك الحين . والنبي المبعوث قبل يوم الرب العظيم الذى هو يوم القيامة ، هو محمد صلى الله عليه وسلم . لأنه نبي آخر الزمان لقوله صلى الله عليه وسلم : " بعثت والساعة كهاتين "(٢) فقرن بين اصبعيه الوسطى والتي تلي الابهام، اشارة الى انه نبي آخر الزمان ،وأن بعثه يسبق الساعة كما تسبق الوسطى السبابة . ولقد أكد عيسى ابن مريم عليه السلام هذه البشارة فقال :" الحق أقول لكم لم يقم من بين المولودين أعظم من يوحنا المعمدان . ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه . ومن أيام يوحنا المعمدان الى الآن ملكوت السموات يغصب ، والغاصبون يختطفونه . لأن جميع الأنبياء والناموس الى يوحنا تنبأوا . وان اردتم ان تقبلوا ، فهذا هو ايليا المزمع ان يأتي من له أذنان للسمع فليسمع "(٣) .

هكذا كان اليهود على علم ومعرفة ببعث النبي صلى الله عليه وسلم . وهذه نصوص أسفارهم شاهدة عليهم . ولكن هذه البشائر لم تجد منهم آذانا صاغية . فعموا وصموا . وفيما يأتي نستعرض الآيات القرآنية التي تنص على أنهم يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم ولكنهم كفروا به حسدا ان يكون من غير بني اسرائيل .

---

(١) ملاخي ٤ : ٥-٦

(٢) اخرجه البخارى في كتاب التفسير ، تفسير سورة النازعات عن طريق سهل ابن سعد رضى الله عنه .

(٣) متى ١١ : ١١-١٥

معرفة اليهود بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في القرآن الكريم

ان النصوص اليهودية التي تم استعراضها فيما سبق ، جعلتنا تدرك أن اليهود كانوا يعرفون ان نبيا من اخوتهم بني اسماعيل يبعث في آخر الزمان يختم الله به النبوة والرسالة . وفيما يأتي نستعرض النصوص القرآنية الكريمة التي تدل على معرفة اليهود لذلك النبي معرفة محققة لا لبس فيها ، وأنهم لم يؤمنوا به حسدا وبغيا ان يجعل الله النبوة في غيرهم ، فيكونون تابعين لنبي من غير بني اسرائيل بعد ان كانت فيهم النبوة والرسالة دهرا من الزمن . على ان القرآن الكريم أنصف طائفة منهم آمنت بما عندهم من البشائر الدالة على محمد صلى الله عليه وسلم ، وبادرت الى الايمان به ، والتصديق بما أنزل الله عليه من الكتاب ! وهذا كله ما سنراه في الايات القرآنية التى نستعرضها ها هنا .

الآيات القرآنية الدالة على معرفتهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكفرهم به :

كان اليهود المقيمون بالمدينة وما حولها قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون على مشركي العرب بنبي يبعث في آخر الزمان يؤيد كتابه التوحيد الذى هم عليه ، ويخذل الوثنية واصحابها ، وأنهم سيقاتلون المشركين معه قتل عاد وارم ، وبينما هم على ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهاجر الى المدينة ، فعرفه اليهود المقيمون بها معرفة محققة ، فعوضا عن المبادرة الى الايمان به ، أنكروا معرفته ، وكفروا به ، وظاهروا المشركين على قتاله ، وزينوا لهم ما هم عليه من الوثنية ، فأوهموهم أنهم أهدى سبيلا من المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ففضح الله عز وجل هذا الموقف اليهودى بقوله :

" ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين . بئسما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من

يشاء من عباده فباؤوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين . واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين "(١) .

وقال تعالى :" ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون "(٢) .

وقال تعالى :" وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون . ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين . الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون (٣) .

وقال تعالى :" الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون "(٤) وقال :" الذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين "(٥) .

وقال :" وانه لفي زبر الأولين أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل "(٦) .

انصاف القرآن لمن آمن منهم :

ومع أن غالبية اليهود كفروا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ،فان منهم فريقا صدق وآمن به صلى الله عليه وسلم فكان له فضلان : فضل العمل بما كان في ايديهم من كتب ، وفضل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وفي بيان هذه الطائفة المؤمنة جاءت هذه الآيات الكريمات :

---

(١) سورة البقرة ٩٠-٩١
(٢) سورة البقرة ١٠١
(٣) سورة البقرة ١٤٤-١٤٦
(٤) سورة الانعام ٢٠
(٥) سورة الانعام ١١٤هـ
(٦) سورة الشعراء ١٩٦-١٩٧

قال الله تعالى بعد أن بين أخلاق اليهود الذين لا تفتأ نفوسهم تسعى في اضلال الناس وجرهم الى اتباع هوى النفس : " الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون" (١).

وقال تعالى بعد أن ذكر مكائد اليهود وما عاقبهم الله به من الذلة والمسكنة بسبب كفرهم وقتلهم أنبياء الله تعالى : " ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين " (٢) .

أي ليسوا سواء في الاتصاف بما سبق ذكره من كفر وقتل للأنبياء وغيرهما من القبائح ، بل منهم طائفة سلمت من العيوب التي تردى فيها غيرهم ، وهم الذين دخلوا في الاسلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم واستقاموا على ذلك ، واتبعوا هدى الله بتلاوة القرآن وكثرة سجودهم ، وبالأمر بالخير والنهي عن الشر ، وبالايمان المستمر بالله واليوم الآخر والمسارعة في أعمال البر ، وعلى هذا دل قوله تعالى :

" الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به مؤمنون ، واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة و مما رزقناهم ينفقون . واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين" (٣).

وقال تعالى : " وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون" (٤).

---

(١) سورة البقرة ١٢١ (٢) سورة آل عمران ١١٣-١١٥

(٣) سورة القصص ٥٢-٥٥ ذكر العلماء ان هذه الايات من سورة القصص نزلت في نصارى الحبشة وقيل في نصارى نجران ومهما قيل في سبب نزولها فانها تدل على ان في اهل الكتاب من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لما عرف من صفاته في الكتب السابقة.

(٤) سورة العنكبوت ٤٧.

وقال تعالى :" وان من أهل الكتاب لمن يوءمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب "(١).

وقال : " ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدوا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيد هم خشوعا "(٢).

وقال تعالى في وصف كتابه المجيد :" وانه لفي زبر الاولين . أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل "(٣) أى ان القرآن ورد ذكره والتنويه به والثناء عليه في كتب الأقدمين المنزلة من عند الله تعالى كالتوراة والانجيل . أغفل المشركون عن ذلك ،ولم يكن لهم آية تدل على أنه منزل من عند الله تعالى أن يعرفه علماء بني اسرائيل بما في كتبهم من نعوته وهم الذين أسلموا منهم ؟ .

كفرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وكتمان صفاته في كتبهم :

ان السنة الالهية اقتضت ان يكون اكثر الناس غير موءمنين فكذلك اقتضت حكمته ان يكون اكثر بنى اسرائيل غير موءمنين مع انتفاء ما يوجب كفرهم ،ووجود ما يدعوهم الى الايمان العميق . ولذلك نعى الله عليهم ووبخهم في كثير من الآيات القرآنية واليك بعض تلك الآيات :

قال الله تعالى :" وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياى فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون "(٤).

وقال : " ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون . ياأهل

---

(١) سورة آل عمران ١٩٩ (٢) سورة الاسراء ١٠٧-١٠٩
(٣) سورة الشعراء ١٩٦-١٩٧ (٤) سورة البقرة ٤١-٤٢

الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون • وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى احد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم "(١) .

وقال تعالى :" ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون • الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم "(٢) .

وقال :" ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم• أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ، ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد"(٣) .

وقال تعالى :" ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون • ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون • فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون "(٤) •

وقال عز وجل :" ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا"(٥) .

---

(١) سورة آل عمران ٧٠-٨٣

(٢) سورة البقرة ١٥٩-١٦٠

(٣) سورة البقرة ١٧٤-١٧٦

(٤) سورة آل عمران ٢٣- ٢٥

(٥) سورة المائدة ٥١-٥٢

ولقد بين الله عز وجل انه أخذ العهد المؤكد والميثاق الغليظ من الانبياء على أن يؤمنوا بالنبي الذى سيبعثه مصدقا لما معهم من الكتاب ، وأن ينصروه ، فعاهدوا ربهم عز وجل أنهم ليفعلن . فاشهد الله بعضهم على بعض وشهد عليهم بذلك مهددا متوعدا من أعرض عن هذا الميثاق فقال تعالى :

" واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ، أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون " (١) .

وهذا الميثاق المأخوذ من النبيين قصد به إتباعهم كذلك ، ولهذا قال تعالى بعد أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم-وأمره أمر لأمته لتبعيتهم له بالايمان بالله وما انزل على من سبق من الانبياء عليهم السلام وبعد ان قرران الدين المقبول عند الله هو الاسلام الذى عليه محمد صلى الله عليه وسلم : " كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الفاسقين . أولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون . الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم" (٢) .

قال السيد محمد رشيد رضا في تفسير المنار : " وفي روح المعاني : أخرج عبد بن حميد وغيره عن الحسن أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى رأوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم وأقروا وشهدوا أنه حق . فلما بعث من غيرهم حسدوا العرب على ذلك فأنكروه وكفروا بعد اقرارهم حسدا

---

(١) سورة آل عمران ٨١-٨٣

(٢) سورة آل عمران ٨٦-٨٩

للعرب حين بعث من غيرهم . وأخرج ابن ابي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس مثله "(١) .

مكرهم المتكرر بالنبي صلى الله عليه وسلم:

ان اليهود الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وغيرها ، لم يكفهم انهم كفروا به وانكروا معرفتهم له ، وكتموا ما يدل على التنويه به في كتبهم ، بل مكروا بالنبى صلى الله عليه وسلم وظاهروا عليه المشركين ونقضوا ما كان بينه وبينهم من معاهدة ، ووقفوا منه ومن المسلمين مواقف يطول ذكرها . ومن المفيد هنا أن نكتفي بما أورده العلامة ابن القيم في اغاثة اللهفان حيث قال رحمه الله تعالى :

" وقد كانوا يتنوعون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنواع الحيل والكيد والمكر عليه ، وعلى أصحابه ويرد الله سبحانه وتعالى ذلك كله عليهم:

فتحيلوا عليه وأرادوا قتله مرارا والله تعالى ينجيه من كيدهم .

فتحيلوا عليه وصعدوا فوق سطح واخذوا رحى أرادوا طرحها عليه ، وهو جالس في ظل حائط ، فأتاه الوحى فقام منصرفا وأخذ في حربهم واجلائهم(٢) ،

---

(١) تفسير المنار جـ٣ ص ٣٦٢

(٢) كان ذلك من بنى النضير حين ذهب اليهم في جملة من الصحابة فيهم أبوبكر وعمر ليستعينهم في دية رجلين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى فى مرجعه من بئر معونة وكانا في عهد مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعلم به عمرو . وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود حلف على المناصرة والمعاونة فكلمهم في ذلك فقالوا نعم فتآمروا على قتله فأعلمه الله بالوحي فعاد مسرعا . انظر السيرة النبوية لابن هشام جـ٢ ص ١٨٥-١٩٠ الطبعة الثانية لمصطفى الحلبي سنة ١٣٧٥هـ وهامش اغاثة اللهفان .

ومكروا به ، وظاهروا عليه أعداءه من المشركين ، فظفره الله تعالى بهم (١).

ومكروا به ،وأخذوا في جمع العدو له ،فظفره الله تعالى برئيسهم فقتله (٢).

ومكروا به ، وأرادوا قتله بالسم ،فأعلمه الله تعالى به ،ونجاه منه (٣).

ومكروا به ،فسحروه ،حتى كان يخيل اليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله .

فشفاه الله تعالى وخلصه (٤).

ومكروا به في قولهم (" ٣ : ٧٢ " آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) ؛ يريدون بذلك تشكيك المسلمين في نبوته ،فانهم اذا اسلموا أول النهار ، اطمأن المسلمون اليهم ،وقالوا : قد اتبعوا الحق ، وظهرت لهم أدلته ،فيكفرون آخر النهار ، ويجحدون نبوته ،ويقولون لم نقصد الا الحق واتباعه ،فلما تبين لنا أنه ليس به رجعنا عن الايمان به . وهذا من أعظم خبثهم ومكرهم !

ولم يزالوا مواضعين مجتهدين في المكر والخبث الى ان أخزاهم الله بيد رسوله واتباعه صلى الله عليه وآله وسلم و رضى عنهم ـ أعظم الخزى ،ومزقهم كل ممزق وشتت شملهم كل مشتت .

وكانوا يعاهدونه عليه الصلاة والسلام ،ويصالحونه ، فاذا خرج لحرب عدوه نقضوا عهده . ولما سلب الله تعالى هذه الأمة ملكها وعزها وأذلها ، وقطعهم في الأرض ، انتقلوا من التدبير بالقدرة والسلطان ، الى التدبير بالمكر والدهاء ، والخيانة والخداع . وكذلك كل عاجز جبان ، سلطانه في مكره وخداعه ،وبهته وكذبه . ولذلك كان النساء بيت المكر والخداع والكذب والخيانة . كما قال الله تعالى عن شاهد يوسف عليه السلام انه قال : (" ١٢ : ٢٨" انه من كيدكن ان كيدكن عظيم " (٥).

---

(١) كان ذلك في غزوة الخندق (٢) هو كعب بن الاشرف .

(٣) كان ذلك في فتح خيبر اذ اهديت له شاة مسمومة فاعلمه الله بذلك .

(٤) سحره صلى الله عليه وسلم عبيد بن الأعصم اليهودى .

(٥) اغاثة اللهفان جـ٢ ص ٣٣٥ - ٣٣٧ .

وهذه الوقائع التي ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالى من أدل الدلائل على ما واجهه النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود من مكر وخداع وخبث جعل الله وباله عليهم اذ كان تدميرهم في تدبيرهم " ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين"(١) " اننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد "(٢) " ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الأذلين كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوى عزيز"(٣).

سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم:

ان موقف اليهود من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على الكفر به ومناصرة اعدائه والكيد له ، بل تجاوز ذلك الى مناداته بألفاظ ذات معنيين ، احدهما سب وأهانة ، والاخر ليس كذلك . ويتظاهرون بانهم يقصدون المعنى الحسن ، وهم انما يريدون سب النبي صلى الله عليه وسلم ،واهانته ، فكشف الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ما انطوت عليه نفوسهم الخبيثة ، ونهى المؤمنين ان يستخدموا مثل تلك الألفاظ الموهمة مراعاة لحقوق النبي الكريم ،وبعدا عما قد يوهم سوء الأدب معه صلى الله عليه وسلم ،وبين لهم ان اهل الكتاب لا يحبون أن يخصهم الله بهذا الخير الكثير المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، شأنهم في ذلك شأن اخوانهم المشركين فقال تعالى :

" يأأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم . ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم "(٤) .

---

(١) سورة المنافقون ٨ (٢) سورة غافر ٥١

(٣) سورة المجادلة ٢٠-٢١ (٤) سورة البقرة ١٠٤-١٠٥

قال الواحدى (١) : " قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) الآية : قال ابن عباس في رواية عطاء : وذلك أن العرب كانوا يتكلمون بها ، فلما سمعتهم اليهود يقولونها للنبي صلى الله عليه وسلم أعجبهم ذلك ، وكان " راعنا " في كلام اليهود سبا قبيحا . فقالوا : انا كنا نسب محمدا سرا ، فالان اعلنوا السب لمحمد فانه من كلامه ، فكانوا يأتون نبي الله صلى الله عليه وسلم فيقولون : يا محمد راعنا ويضحكون . ففطن بها رجل من الأنصار وهو سعد بن عبادة ، وكان عارفا بلغة اليهود وقال : يا أعداء الله ، عليكم لعنة الله ، والذى نفس محمد بيده لئن سمعتها من رجل منكم لاضربن عنقه ، فقالوا : ألستم تقولونها ؟ فأنزل الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) الآية (٢) .

وقال الزمخشرى : " كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من العلم : راعنا يا رسول الله : أى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه و نحفظه ، وكانت لليهود كلمة يتسابون بها ، عبرانية ، أو سريانية وهي راعينا . فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا ، افترصوه وخاطبوا به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم يعنون به تلك المسبة ، فنهى المؤمنون عنها ، وأمروا بما هو في معناه ، وهو : (انظرنا) من نظره اذا انتظره " (٣) .

ولقد حكى القرآن الكريم مقالة اليهود التى نهى المؤمنين في الآية السابقة أن يقولوا مثلها فقال تعالى : " ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل . والله اعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا . من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا

---

(١) الواحدى هو ابو الحسن على بن احمد الواحدى النيسابورى .
(٢) أسباب النزول ص ٢٠-٢١ طبعة دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٣٩٥ هـ
(٣) تفسير الكشاف جـ١ ص ٣٠٢

واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا" (١).

قال النيسابوري : " والمعنى ، يفتلون بألسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون (راعنا) موضع (انظرنا) و (غير مسمع) موضع : لا سمعت مكروها ، أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا ، أو لعلهم كانوا يفتلون أشداقهم والسنتهم عند ذكر هذا الكلام سخرية و طعنا على عادة المستهزئين . فبين الله تعالى انهم انما يقدمون على هذه الأشياء طعنا في الدين ، ونبه بذلك على ما كانوا يقولونه فيما بينهم : انا نشتمه ولا يعرفه ، ولو كان نبيا لعرف باظهار ذلك عليه ، فانقلب ما جعلوه طعنا في الدين دلالة قاطعة على صحته ، لأن الاخبار عن الغيب معجزة" (٢).

وفي موضع آخر يذكر القرآن الكريم موقفهم الاجرامي من النبي صلى الله عليه وسلم وتحالفهم مع المنافقين الذين يتربصون الدوائر بالنبي وصحبه ولا يتورعون عن ارتكاب كل عمل من شأنه ان يحزن المؤمنين ويثبط عزائمهم اذ كانوا يتناجون فيما بينهم ، اذا رأوا المؤمنين ليغيظوهم ويوهموهم أن المجاهدين قد هزموا ، وأن اقاربهم قد قتلوا فنهاهم الله عن ذلك ولكنهم عادوا لما نهوا عنه ، وكانوا مع ذلك يرتكبون جرما عظيما في حقه صلى الله عليه وسلم ، اذ يحيونه بتحية فيها الدعاء عليه بالموت قاتلهم الله فقال تعالى :

" ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير" (٣).

---

(١) سورة النساء ٤٤-٤٦

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ ٥ ص ٥٣

(٣) سورة المجادلة ٨

قال أبو السعود رحمه الله في تفسير هذه الآية : " نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم و يتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم . والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر وعودهم و تجدده واستحضار صورته العجيبة ؛

وقوله تعالى : " (ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) عطف عليه داخل في حكمه اى بما هو اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين ،وتواص بمعصية الرسول عليه الصلاة والسلام . وذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين اليه عليه الصلاة والسلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم ؛ وقرئ وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول (واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) فيقولون السام عليك أو أنعم صباحا والله سبحانه يقول : (وسلام على المرسلين) (ويقولون في أنفسهم) أى فيما بينهم (لولا يعذبنا الله بما نقول)أى هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) يدخلونها (فبئس المصير) أى جهنم "(١) .

هكذا كان موقف اليهود من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد كانوا في غاية الوقاحة وسوء الأدب معه صلوات الله وسلامه عليه حتى في الآداب العامة التي جرت العادة البشرية عليه ، مثل تبادل التحية ،فانهم يرون في السلام عليه خسارة لهم وتوقيرا له صلى الله عليه وسلم . ولما كان عدم تبادل التحية بين الناس دليلا على العداوة والبغضاء و على اعلان الحرب ، و ليست لديهم شجاعة لاعلان الحرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سلكوا مسلك الخداع الذى هو دأبهم وخلقهم الذى توارثوه ، فعمدوا الى الألفاظ الموهمة التي قد لا يفطن لها الا العالمون باسلوبهم الخبيث ، فهم حينما وجدوا مسبحة

---

(١) تفسير ابي السعود جـ٥ ص ١٤٥- ١٤٦

في لفظ " راعنا " الذى يقوله المؤمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه الصحيح الدال على الامهال والتأني ، عمدوا الى استخدامه ، وهم انمـا يقصدون به اهانته عليه الصلاة والسلام ، وحينما وجدوا تحية اهل الاسلام التي هي السلام قريبة من لفظة " السام " التي بمعنى الموت ، عمدوا اليها فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : السام عليك ، وكانوا يستمرون على هذه السبة ، ويقولون لو كان محمد نبيا لعوقبنا بعذاب الله على ما نقول له ، فيجعلون حلم الله وامهاله دليلا على عدم نبوته صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله عز وجل يريد ان يملـى لهم ويتركهم ليوم عظيم ، فان عذاب الدنيا اهون ، وانه ليس دليلا على ان من تعرض له يكون دائما على الباطل ، وانما قد يصاب به المؤمن امتحانا من الله له ، كما يتنعم أهل الضلال والكفر في الدنيا استدراجا من الله تعالى ، وأما عذاب الاخرة فهو الميزان الصحيح لاعمال الناس في الدنيا . فالناجون منه هم الصالحون المتقون ، والمعذبون به هم العصاة المذنبون . فهؤلاء الذين آذوا النبي صلى الله عليه وسلم وظنوا ان سلامتهم من العقوبة في الدنيا دليل على سلامة ماهم عليه من السلوك ، وعلى عدم نبوته صلى الله عليه وسلم ، وتركوا ليوم عظيم يكفيهم ما فيه من عذاب الله وسوء عقابه " حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير " .

ولقد روى الامام البخارى رحمه الله عن طريق الزهرى قال : أخبرني عروة " ان عائشة رضى الله عنها قالت : دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليك . ففهمتها فقلت : عليكم السام واللعنة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مهلا يا عائشة ، فان الله يحب الرفق في الامر كله . فقلت يا رسول الله أولم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد قلت عليكم "(١)

---

(١) اخرجه البخارى في كتاب الاستئذان باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام .

متمسك اليهود في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

علمنا مما سبق من البشائر التي وردت في أسفار اليهود ،ومن الايات القرآنية التى تم استعراضها أن اليهود أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع ما تقرر في أسفارهم المختلفة من النصوص الدالة على نعوته وصفاته التى جعلتهم يعرفونه معرفة تامة كما يعرف أحدهم ابناءه من بين أبناء الناس ، وعلمنا هناك أن الذى دفعهم الى الكفر هو البغى والحسد ،ومجيئه صلى الله عليه وسلم بما يخالف هواهم ، فقد أكدت الايات القرآنية السابقة وغيرها أنهم انما كفروا بغيا وحسدا واتباعا للهوى ، لا لشبهة أو جبت ذلك أى انهم لا متمسك لهم من عقل أو نقل في انكار نبوته صلى الله عليه وسلم .

واليك فيما يأتى جملة من الايات القرآنية التي تبين هذا المعنى :

قال الله تعالى مخاطبا المؤمنين :" أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون"(١) .

قال السيد قطب رحمه الله تعالى في توجيه معنى الايتين :" افتطمعون أن يؤمنوا لكم ، وهم يضيفون الى خراب الذمة ،وكتمان الحق ،وتحريف الكلم عن مواضعه .. الرياء والنفاق والخداع والمراوغة ؟ وقد كان بعضهم اذا لقوا المؤمنين قالوا : آمنا .. اى آمنا بأن محمدا مرسل ،بحكم ما عندهم في التوراة من البشارة به ، وبحكم انهم كانوا ينتظرون بعثته ، ويطلبون ان ينصرهم الله به على من عداهم . وهو معنى قوله :" وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ".. ولكن : " اذا خلا بعضهم الى بعض ".. عاتبوهم على ما أفضوا للمسلمين من صحة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ومن معرفتهم بحقيقة بعثته من كتابهم ،

---

(١) سورة البقرة ٧٥-٧٦

فقال بعضهم لبعض : " اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم".
فتكون لهم الحجة عليكم ؟ .. وهنا تدركهم طبيعتهم المحجبة عن معرفة صفة
الله وحقيقة علمه : فيتصورون ان الله لا يأخذ عليهم الحجة الا أن يقولوها
بأفواههم للمسلمين ! أما اذا كتموا وسكتوا فلن تكون لله عليهم حجة ! ..
وأعجب العجب ان يقول بعضهم لبعض في هذا : "أفلا تعقلون ؟ " .. فيا
للسخرية من العقل والتعقل الذى يتحدثون عنه مثل هذا الحديث!!" (١).

ويقول تعالى مبينا السبب الحقيقي لكفرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم:
" بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله
على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين" (٢) .

قال الشوكاني رحمه الله : " والمعنى انهم باعوا انفسهم بهذا الثمن
البخس حسدا ومنافسة (ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده)" (٣)

وقال تعالى مؤكدا هذا المعنى : " ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب
ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله
ذو الفضل العظيم" (٤) .

وقال سبحانه : " ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم
كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى
يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير" (٥) .

وقال تعالى : " أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله وقد آتينا
آل ابراهيم الكتاب والحكم وآتيناهم ملكا عظيما " (٦) .

وقال : " لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله وان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم " (٧) .

---

(١) في ظلال القرآن جـ١ ص ٨٤-٨٥ طبعة دار الشروق سنة ١٣٩٩ هـ الطبعة الشرعية الثامنة في بيروت .

(٢) سورة البقرة ٩٠ (٣) فتح القدير جـ١ ص ١١٣ (٤) سورة البقرة ١٠٥

(٥) سورة البقرة ١٠٩ (٦) سورة النساء ٥٤ (٧) سورة الحديد ٢٩

وهذه الايات كلها دلت دلالة بينة على ان اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم حسدا وبغيا أن انعم الله على غيرهم من الامم التي يحتقرونهـا بالنبوة والكتاب ، واصطفاهم من دونهم بحمل افضل الرسالات الالهية وأشملها وأعمها ، ومهما حسدوا وبغوا ، فانهم لا يقدرون ان يمنعوا فضل الله تعالى الذى قسم بين عباده الفضائل حسب مقتضيات حكمته ، لا مانع لما أعطى ولا راد لما قضى " والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم " ا

وما دمنا قد علمنا من دلالة الايات القرآنية ان اليهود لا متمسك لهم في كفرهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا البغي والحسد ، فليس علينا أن نضيع الجهد في البحث في مسالة انكارهم للنسخ الذى اتخذوه ذريعة لانكار النبوة المحمدية بدعوى ان شريعة موسى شريعة أبدية ، وأن القول بجواز النسخ يؤدى الى جواز البداء على الله تعالى وهو ان يظهر له ما قد خفي عليه في التشريع السابق فينسخه بتشريع لاحق . وهذه المسألة لم تكن في الحقيقة سببا لانكار نبوته ، فان النسخ جائز عقلا ، وواقع نقلا في كتبهم كما هو واقع عندنا . وتجويزه لا يؤدى الى تجويز البداء على الله تعالى . فكيف يستقيم ويصح انكار النسخ فرارا من القول بالبداء ، مع انهم جوزوا على الله تعالى الحزن والندم في مواضع كثيرة من اسفارهم وقد سبق ايضاح ذلك في الباب الثاني . أوليس ذلك تجويزا للبداء على الله في أفضح معناه وأقبح صوره ؟ ام انهم لا يدركون بعقولهم ما تكتبه أيديهم من أباطيل نسبوها الى الله تعالى والى انبيائه الكرام ظلما وافتراء وجهلا واجتراء ؟

وعلى هذا فليس علينا أن نبحث في مسألة النسخ من جواز وعدم جواز ، أو وقوع وعدم وقوع بعد ان تقرر ان اسفارهم مليئة بوقوعه وأنه لم يكن سببا لانكار النبوة ، بل هم انكروا النبوة اولا وكفروا ، ثم بحثوا عن خيط يتعلقون به فوجدوا انكار النسخ أقرب الى تأييد هواهم فلم يوفقوا . ويبدوا ان الكتاب الذيـن جعلوا انكار النسخ من اليهود هو سبب انكار النبوة المحمدية لم يكن تعبيرهم دقيقا ، فان اليهود لم يكونوا مجمعين في انكار النسخ وعدم جوازه . وانما كانـوا مجمعين على ان شريعة الاسلام لم تنسخ شريعتهم .

قال الدكتور شعبان محمد اسماعيل : " ان انكار النسخ ليس غاية عندهم ، ولكنه وسيلة فحسب . أما الغاية ، فهي انكار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، على الاطلاق . فان اعجزهم ادراك هذه الغاية ، فلا اقل من انكار أنهم مطالبون بتصديقه ، واتباعه فيما جاء به " (١) .

ولقد أحسن البوصيرى حيث قال في همزيته (٢) :

اذا هم استقرأوا البداء وكم سا ... ق وبالا عليهم استقراء

وأراهم لم يجعلوا الواحد القهار في الخلق فاعلا ما يشاء

جوزوا النسخ مثلما جوزو المسخ عليهم لو انهم فقهاء

هو الا أن يرفع الحكيم بالحكم وخلق فيه وأمر سواء

ولحكم من الزمان انتهاء ... ولحكم من الزمان ابتداء

فسلوهم أكان في مسخهم نسخ لآيات الله ام انشاء

وبداء في قولهم ندم الله على خلق آدم أم هطاء

أم محا الله آية الليل ذكرا ... بعد سهو ليوجد الاسماء

أم بدا للاله في ذبح اسحا ... ق وقد كان الأمر فيه مضاء

أو ما حرم الاله نكاح ال ... أخت بعد التحليل فهو زناء

لا تكذب ان اليهود وقد زا ... غوا عن الحق معشر لؤماء

جحدوا المصطفى وآمن بالطا ... غوت قوم هم عندهم شرفاء

قتلوا الأنبياء واتخذوا العجل الا انهم هم السفهاء

هكذا كانت مواقف اليهود من محمد صلى الله عليه وسلم . وكذلك كانت مواقفهم من أنبياء الله ورسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين . نسأل الله العظيم بوجهه الكريم ان يمن علينا بمنه وكرمه بمجاورتهم في جنات النعيم انه جواد كريم ، وهو البر الرحيم . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

---

(١) نظرية النسخ في الشرائع السماوية ص٢٩
مطابع الدجوى بالقاهرة رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٧/٣٠٥٨

(٢) ديوان البوصيرى ص ٦٣ - ٦٤

خاتمة البحث

ان الله عز وجل خلق الجن والانس لعباد ته ،وتكفل بحفظهم ورزقهم وتعليمهم منهج هدايته . فقال تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ،ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين" (١) .

ولما خلق الله تعالى آدم عليه السلام علمه وهداه ، وأمره ونهاه ، فكانت معرفة الله وعبادته وحده لا شريك له هي الفطرة السليمة والملة المستقيمة التي فطر الله آدم وذريته عليها . كما قال تعالى :" فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون "(٢) .

ولكن الله عز وجل أنشأ من بعد ذلك قرونا فطال عليهم الأمد ، فأخذوا ينحرفون عن الجادة المستقيمة ، والفطرة السليمة ،فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا ، مختلفين بذلك على أمر كان أسلافهم منه على بينة وهدى من الله عز وجل ، فبعث الله اليهم رسله تترى ، وأنزل عليهم كتبه ليخرج الناس من الظلمات الى النور . كما قال تعالى " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ،وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم" (٣) . وقال : " وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون" (٤) .

وبعد أن ارسل الله رسله ،وأنزل عليهم كتبه ،وبلغوا ما أرسلوا به الى أممهم على الوجه الذى أوتوه ،كان الناس فريقين ، فمنهم من هداه الله فاستجاب لدعوة

---

(١) سورة الذاريات ٥٦-٥٨ (٤) سورة يونس ١٩
(٢) سورة الروم ٣٠
(٣) سورة البقرة ٢١٣

الرسل عليهم الصلاة والسلام . وهم قليل . ومنهم من أبى واستكبر وكفر بدعوة الرسل وهم كثير . قال تعالى : " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين "(١) .

كذلك كان البشر في غابر الأزمان ، وهكذا يعيش من جاء بعدهم الآن على اختلاف بين لا عذر لهم فيه ، لأن هدى الله لم يزل يأتيهم ورسل الله تتتابع فيهم ، وكتبه المنزلة تتلى عليهم و تنتشر فيهم ، فكان ما خص الله به بني اسرائيل من الأنبياء والرسل والكتب ، أكبر ما عرف في تاريخ الأمم . ذلك بأنهم امتازوا من بين سائر البشر بالعناد الشديد ، ومقاومة دعوة الرسل وصيحات الأنبياء . ونصائح المصلحين . فكانوا يقتلون الأنبياء ويقتلون الذين يأمرون بالخير من الناس ، و يسعون في ايذائهم سعيا متواليا . فاذا آمنوا برسول من رسلهم في حياته ، كان ايمانهم به مضطربا . واذا غاب عنهم رسولهم غيبة مؤقتة ، أو مات ، فانهم كانوا يرتدون عن دعوته ويكفرون برسالته حتى تصل بهم الحال الى أن يعبدوا الأوثان و ينبذوا كتاب الله وراء ظهورهم .

و هكذا كان بنو اسرائيل بعد غياب موسى عنهم أربعين ليلة لمناجاة ربه . فانهم اتخذوا العجل الذى صنعته أيديهم ، فعبدوه قائلين انه الههم واله موسى ، ولكن موسى لم يهتد اليه وذهب يبحث عنه في موضع آخر . وفي ذلك من الكفر بربهم والاستهانة بنبيهم ما لا يخفى . وبعد ما توفى موسى عليه السلام تاركا فيهم التوراة فيها هدى ونور ، انقلبوا على اعقابهم فحرفوا التوراة وبدلوها ، وافتروا على الله كذبا ، فقالوا لما كتبته أيديهم انه من عند الله وما هو من عند الله . وذهبوا الى وصف الملك الجليل سبحانه و تعالى بصفات لو وصف بها أحد ملوك الدنيا ، لكان في ذلك حط من قدره و تنقيص لمكانته . فكيف برب العالمين وملك الملوك أجمعين ؟؟ وذهبوا في وصف أنبياء الله تعالى الى ما ينافى عصمتهم ،

---

(١) سورة النحل ٣٦

ويناقض دعوتهم ، ويتنافى مع منزلتهم الرفيعة عند الله تعالى ، وعند الذين آمنوا .

فاصبحوا بتحريف الكتب الالهية ، وعبادة الاوثان ، و تنقيص الذات الالهية العلية وتجسيمها ، والحط من مكانة الانبياء والقتل لكثير منهم ، أصبحوا بذلك كله كفرة فجرة لا نظير لهم بين اخوانهم الذين كفروا من سائر البشر .

وهذه الصفات الأربعة التي اتصفوا بها - أى تحريف الكتب المنزلة ، والاعتداء على مقام الألوهية ، وعبادة الأوثان ، والاعتداء على أنبياء الله قتلا وايذاء وكفرا بدعوتهم ، وبنسبة الفواحش اليهم ، هذه الأمور هي التي تمت دراستها في هذه الرسالة طبقا للخطة التي رسمتها ووضحتها في المقدمة .

ولقد وصلت من هذا البحث الى الخلاصة الآتية :

١ - أن الاسفار اليهودية حسب محتوياتها لم تكن على نسق واحد ، أو في موضوع واحد . فمنها أسفار دينية فيها طائفة من العقائد والاحكام . ومنها أسفار تاريخيه وهي كثيرة . ومنها أسفار اصلاحية يدعو اصحابها فيها بنى اسرائيل الى التوبة عن المعاصي ، والأوبة الى الجادة المستقيمة . ومنها أسفار لا تمت الى الدين ولا الى التاريخ او الاصلاح بصلة . وانما هي اسفار اما في الغزل البذىء المبتذل ، او في القصص ، او في الحكمة .

ومع هذا التنوع فيما تشتمل عليه تلك الاسفار من الموضوعات فانه يستخلص منها ثلاثة عناصر رئيسية :

العنصر الأول : موقف بنى اسرائيل من الذات الالهية حيث اعتقدوا في الله تعالى خلاف ما دعت اليه الرسل و نزلت به الكتب.

العنصر الثاني : موقفهم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام حيث لم يسلم من شرهم وأذاهم أحد من أنبياء الله تعالى سواء في ذلك من سبقهم أو عاصرهم .

العنصر الثالث : موقفهم من الامم حيث استباحوا دماءهم ،وأموالهم وأعراضهم ، وسعوا في اباداتهم من وجه الأرض بمختلف الوسائل ،ونظروا اليهم نظرة استخفاف وازدراء ،وجعلوا أنفسهم فوق المستوى الانساني .

٢ - ان تلك الاسفار على كثرتها و تنوع مافيها من موضوعات ،لم يعرف مؤلفوها ولا تاريخ تأليفها على وجه اليقين وانما يقول اهل الكتاب في ذلك قولا عاريا عن البينة .

٣ - أنها على ما هي علية من الوضع الآن ليست ما أنزل الله على موسى وغيره من انبياء الله تعالى ، لبعدها عن الحقائق الدينية والتاريخية ،ولاضطراب يسود معظم نصوصها . ولتناقضها تناقضا عظيما .

٤ - انها لم تثبت عن طريق التواتر ولا عن طريق الآحاد .

٥ - انها لم تكتب في عصر واحد بل كتبت في عصور مختلفة تمتد الى الف سنة أو تزيد .

٦ - ان محتوياتها مزيج غريب ، و خليط عجيب بين الحق والباطل والسمو والتردى .

٧ - انها لا تتوفر فيها شروط تجعلها من الكتب المقدسة .

٨ - يتلخص الموقف الاسلامى منها في ان القرآن الكريم اخبرنا بانها محرفة مبدلة ،وأن ما وافق الحق الثابت لدينا من نصوصها آمنا بها كل من عند ربنا . وما خالف ما ثبت لدينا في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، رددناه . وما لم يوافق ولم يخالف ما صح عندنا ، وكان مما يجوز وقوعه وثبوته عقلا وشرعا ، توقفنا في تصديقه و تكذيبه وفوضنا امره الى الله تعالى .

٩ - ان الجذور التاريخية لبنى اسرائيل تمتد الى ابراهيم عليه السلام الذى يعتبر جدهم الثاني ، وجد بنى اسماعيل الأول .

١٠ - لا يصح ما زعمه اليهود من ان ابراهيم عليه السلام خرج به أبوه من أرض قومه قاصدا به أرض كنعان ، لأنّ اباه كان من الكافرين الذين كفروا بالله وقاوموا دعوته . حيث طلب من ابراهيم ان يعتزله ،فاعتزله ابراهيم وهاجر.

١١ - ان ابراهيم عليه السلام خرج من أرضه وعشيرته في سبيل الله لا في سبيل طلب المراعى الفسيحة كما زعم اليهود .

١٢ - ان اسم والد ابراهيم عليه السلام هو آزر كما ذكره القرآن الكريم وأكدته السنة الثابتة . وأما تارح الذى ذكره المؤرخون تبعا لاهل الكتاب فيحتمل ان يكون اسما ثانيا له ، كما يحتمل ان يكون غير صحيح .

١٣ - ان سارة زوجته ليست اخت ابراهيم من النسب كما ذكره اهل الكتاب ، بل هي زوجته فقط . بناء على ما دلت عليه السنة الصحيحة ، وما يؤكد ذلك من نصوص اسفارهم حيث لم يرد ذكر لسارة في جملة أولاد تارح الذين ورد ذكرهم في سفر التكوين بالتفصيل . أضف الى ذلك ذكرها بانها كنة تارح ، والكنة امرأة الابن أو الأخ كما في القاموس المحيط . ولو كانت اخت ابراهيم لأبيه كما زعموا لكانت علاقة النسب أولى بالذكر .

١٤ - ان الذبيح هو اسماعيل عليه السلام وليس اسحاق كما زعم اهل الكتاب ومن حذا حذوهم . وهو الذى دل عليه سياق آيات سورة الصافات ، وأكدته العبارة الواردة في روايتهم . وهي عبارة "وحيدك" التي جاءت وصفا للذبيح في سفر التكوين ، فان اسحاق لم يكن وحيد ابراهيم في يوم من الأيام . لولادة اسماعيل قبله بثلاث عشرة سنة باتفاق اهل الكتاب . فثبت أنه لم يكن وحيد ابراهيم ، وأنه لم يكن الابن الذبيح .

١٥ - ان ابراهيم لم يطرد اسماعيل وامه استجابة لطلب سارة التي زعموا انها قالت لا يرث مع ابني اسحاق . ولكنه صحبهما في خروجهما ، وأسكنهما بمكة المكرمة ، استجابة لأمر الله تبارك وتعالى . وعليه دلت الآيات القرآنية .

١٦ - ان الرجال الثلاثة الذين جاءوا ابراهيم بالبشرى هم ملائكة الله المكرمين ، وليس احدهم الها كما زعم اليهود في روايتهم .

١٧ - انهم لم ياكلوا من الطعام الذى قدمه لهم ابراهيم عليه السلام . خلافا لما زعمه اليهود من انهم اكلوا وشربوا .

١٨ - ان آباء بني أسرائيل أنبياء كرام. اصطفاهم الله وهداهم . وليسوا حريصين على الدنيا وجمع حطامها كما زعم اليهود .

١٩ - انهم بعيدون عن الكذب والمكر والخداع التي وصفهم بها اليهود في أسفارهم .

٢٠ - انهم لم يورثوا أبناءهم اموالا ، وانما ورثوهم عقيدة الاسلام الحقة ، وعبادة الله وحده لا شريك له .

٢١ - ان الله عز وجل اوحى الى عبده موسى وخاطبه بعدما قضى موسى الأجل الذى اتفق عليه مع حميه وسار باهله كما نص عليه القرآن الكريم ، ولم يكن ذلك وهو يرعى غنم حميه كما زعمت رواياتهم .

٢٢ - ان موسى وهارون واجها من فرعون وقومهما من المصاعب ما يصعب وصفــــه .

٢٣ - ان الذى صنع العجل لبنى اسرائيل وموسى في مناجاة ربه هو السامرى لا هارون عليه السلام كما زعم اليهود ذلك كذبا وافتراء .

٢٤ - ان الاختيار الالهي لبني اسرائيل و تفضيلهم على العالمين ، معناه عرض أسباب الفضل وموجباته عليهم بحيث لو عملوا بذلك وقبلوه ، كانوا افضل من غيرهم من البشر . لأن الفضل منوط بالايمان والعمل الصالح و حيث ثبت كفرهم بالله وبرسله ، وتحريفهم كتبه المنزلة لهدايتهم ، وافسادهم في الأرض مرارا ، فانه لا فضل لهم ولا كرامة .

٢٥ - ان تعصب بني اسرائيل واعتقادهم انهم ابناء الله وأحباؤه وانهم شعب الله المختار ، هو الذى يؤثر في عقيدتهم ، ويوجه سلوكهم . فيفعلون ما يشاءون من الفساد والافساد بلا خوف من الله ولا عطف ولا رأفة على من سواهم من البشر . وذلك التعصب أيضا هو الذى يجعلهم ينظرون الى غيرهم من الأمم نظرتهم الى البهائم التي لا فائدة من حياتها فيسعون في الأرض فسادا ، ويفسدون في أرض الله قتلا ونهبا و مكيدة وتدميرا .

٢٦ - ان نظرتهم الى الألوهية نظرة مضطربة . لانهم يتصورون الاله تصورا بعيدا عن العقل السليم والنقل الثابت الصحيح . اذ يرون ان اله الكون وبارئه ومدبره ، خالطهم وسكن بجوارهم في حلهم وترحالهم ، وأنه قد يفعل الشيء ثم يندم على فعله ، حتى يصل به الأمر الى الحزن والبكاء واللطم والدعاء على نفسه بالويل . تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

٢٧ - ان نصوصهم تدل على أنهم يرون جواز تعدد الالهة في الكون . ولذلك استباحوا عبادة الاوثان في عصورهم المختلفة ، وتقربوا اليها بمختلف أنواع القربات .

٢٨ - ان نصوصهم تدل على انهم يرون ان الرب العظيم قد يخشى من ان يغلب على امره ، فيبادر الانسان بضربة وقائية . كما ذكروا ذلك في قصة بناء برج بابل الذى اثار خوفه من اتفاق الناس ضده على أمر ما ، فنزل وبلبل لسانهم وفرقهم في الأرض .

٢٩ - دلت نصوصهم على ان الاله قد يستفيد من بعض اعمال البشر ، وتصل اليه المنافع ، وقد اتضح ذلك من النصوص التي تذكر ان الرب يسره ان تصل اليه رائحة الشواء . وذلك هو الضلال البعيد .

٣٠ - ان نصوصهم تدل على ان الاله قد ينسى الشيء فيحتاج الى ما يذكره به ، ويجهل الشيء فيحتاج الى علامة تعرفه بما يجهل . وقد اتضح ذلك من قصة القوس الموضوع في السحاب علامة على الميثاق الذى بين الله وبين نوح . فاذا جاء المطر وضع الاله فيه قوسه لكي يذكره بذلك الميثاق ، فلا يغرق الارض ومن عليها بالطوفان مرة اخرى . كما اتضح لنا من ادعائهم أن الرب طلب من موسى ان يأمر بنى اسرائيل ان يعلموا أبواب منازلهم وعتباتها بالدم في مصر ليلة الخروج منها ، لأن الاله في زعمهم أراد ان يجتاز في مصر ليضرب كل بكر من اهلها ، فاذا رأى الدم على أبوابهم وأعتابهم ، تجاوزهم ولم يعاقبهم مع المصريين خطأ .

٣١ - ان نصوصهم تدل على ان الاله له من الجوارح ما يماثل جوارح المخلوقات . وذلك كالوجه ، والجبهة ، والرأس واليد ، والكف ، والاصبع ، والرجل ، والقدمين ، والأذنين ، والأنف ، والشفتين ، والأجفان ، وغير ذلك مما لا يليق بذات الله العلية على الوجه الذى وردت به في نصوصهم .

٣٢ - ان عبادة الأوثان كانت منهم في عهد موسى عليه السلام ، الذى يعتبر اكثر عصورهم صلة بالايمان بالله ، وان ذلك استمر فيهم بعد وفاته ، ثم انتشر فيهم على نطاق واسع في عصر ملوكهم . فأصبحت الوثنية ديانة رسمية فيهم قرونا عديدة . حتى عاقبهم الله معاقبة شديدة ، ففرقهم في الأمم أسارى تخيم عليهم الذلة والمسكنة أينما حلوا ونزلوا .

٣٣ - ان نصوصهم تبين لنا انهم ينظرون اليه تعالى نظرتهم الى ملوكهم ، فاذا أغدق الله عليهم الأموال وأصابوا نعمة ، فرحوا بذلك ، ورضوا عنه وعبدوه . واذا عاقبهم بذنوبهم وأصابتهم مصيبة بما كسبت أيديهم ، سخطوا عليه ، وازداد كفرهم واصرارهم على الضلال .

٣٤ - انهم يرون أن النبوة قد تنال بالكسب . وان اى انسان يمكن أن يكون نبيا ولو كان متصفا بصفات مخلة بالمروءة والشرف .

٣٥ - انهم يخلطون بين وظيفة النبي ووظيفة الكهان والعرافين . اذ ان كلا منهم يخبر بالمغيبات و يتنبأ عن المستقبل . وقد يرجعون الى النبي ليسألوه عما ضاع من اموالهم أوضل من مواشيهم ، وقد اطلقوا على النبي اسم الرائي في بعض مراحل تاريخهم لأنه يرى البعيد .

٣٦ - أنهم لا يرون للأنبياء العصمة من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة ، كفاحشة الزنا ، والكذب ، والخداع . أو ما هو اكبر من ذلك كالكفر بالله وعبادة الأصنام . وقد تبين لنا ذلك من نسبة الزنا الى لوط وداود عليهما السلام . ونسبة الكذب والخداع الى ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام ، ونسبة الكفر وعبادة الاوثان الى هارون وسليمان عليهما السلام .

٣٧ - انهم يرون ان الله تعالى قد يأمر بالفحشاء . وتبين لنا ذلك من قصة هوشع الذى زعموا ان الله أمره أن يتخذ امرأة زانية مرتين ، وقصة حزقيال الذى زعموا ان الله امره ان ياكل الخبز على ما يخرج من بطن الانسان من الخرء .

٣٨ - انهم لطخوا نسبهم ونسب أنبيائهم بقذارة الزنا . حيث زعموا ان يعقوب عاشر زوجته الكبيرة ليئة بلا عقد نكاح ،فولدت له اكثر أبنائه الذين جاء منهم اكثر انبيائهم ،كما ذكروا ان يهوذا ابن يعقوب زنى بكنته المسماة تامار ، فولدت له توأمين من الزنا . فكان من نتيجة تلك الفعلة ، ذرية جاء منها داود وسليمان . وزعموا أيضا أن سليمان عليه السلام ولد تلك المرأة التي زعموا ان أباه فجر بها . لا درّهم وشلت ألسنتهم وعشرهم .

٣٩ - انهم كتموا دعوة الأنبياء ،ولم يذكروا في أسفارهم عن الانبياء الا الجوانب المادية من تاريخهم و تاريخ أممهم . وقد تبين لنا ذلك من موقفهم من دعوتى نوح وابراهيم عليهما السلام .

٤٠ - انهم قتلوا أنبياء الله الذين عاصروهم ،لأنهم كانوا يوبخونهم على معاصيهم ويأمرونهم بما لا تهوى أنفسهم . ولأجل ذلك كذبوا فريقا منهم ، وفريقا قتلوا . وفريقا آخر سعوا في ايذائهم وقتلهم ولكن الله عصمهم منهم .

٤١ - ان من سبقهم من الانبياء لم يسلم من لسانهم الطويل ، فانهم أطلقوا السنتهم عليهم بالسوء ،وأساءوا اليهم وذكروهم بالمساوئ وهم الانبياء المطهرون .

٤٢ - ان احدا من الانبياء لم يسلم من لسانهم أو يدهم ، فالسابقون منهم نالتهم السنتهم بالسوء ،واللاحقون ممن عاصرهم ، نالتهم ايديهم ومكرهم السوء .فبذلك يعتبرون قتلة الانبياء حقا ،وأعداء المرسلين لأنهم فتنوهم جميعا ،والفتنة أشد من القتل .

٤٣ - انهم كفروا بنبوة عيسى ابن مريم عليه السلام ،ورموا أمه العذراء البتول بفاحشة الزنا وانها أتت به من السفاح .

٤٤ - أنهم تآمروا عليه وحاولوا قتله ،ولكن الله تعالى العزيز الحكيم رد كيدهم ومكرهم عليهم ،ورفع نبيه اليه وسلمه من أيديهم الملطخة بدماء الأنبياء الأطهار .

٤٥ - انهم لم يقتلوا عيسى عليه السلام ولم يصلبوه . ولكن ذلك لا يعفيهم من عداوتهم الشديدة له ولأتباعه من المؤمنين .

٤٦ - انهم كتموا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم . وقد حرفوا من اجل كتمان نبوته نصوصا كثيرة وردت على لسان أنبيائهم الذين بشروا به . وقد شهدت عليهم الايات القرآنية بذلك . كما بقيت في أسفارهم نصوص تفضحهم وتبين خبث طويتهم .

٤٧ - ان انكار النسخ عند اليهود لم يكن سببا لانكار النبوة المحمدية ، ولكن انكارها هو الذى دفعهم الى انكار النسخ ، ثم الاحتجاج بعدم جوازه ووقوعه -في زعمهم -على عدم صحة النبوة المحمدية ورسالته العامة الناسخة للشرائع السابقة . مع ان النسخ دلت على وقوعه نصوص اسفارهم مما يناقض رأيهم .

٤٨ - ان اليهود أعداء الأنبياء والرسل والصالحين من عباد الله ، وهوءلاء صفوة البشر وخيارهم ، ومن عادى أولئك الصفوة المختارة ،وأذاهم وقتلهم ، لحرى ان يسعى في الارض فسادا ، ويقتل الأبرياء من الناس ويدمر منازلهم وديارهم . ومن كانت هذه صفاتهم منذ نشأتهم وعبر تاريخهم الطويل ، فماذا ينتظر منه اليوم ؟ !. ولقد انبأنا الله تعالى في كتابه العزيز ان بنى اسرائيل لم يقبلوا دعوة موسى وما أوتيه من خير وهداية الا مكرهين مضطرين ، كما يعلم ذلك من نتق الجبل فوقهم كأنه ظلة ، ليأخذوا ما آتاهم الله من الدين على لسان موسى عليه السلام . وهل ينتظر ممن هذه حالته وتلك سجيته ان يتخلى عن أراض المسلمين ويعيد اليهم حقوقهم المغتصبة بقوة السلاح الا مضطرين ، مكرهين ؟ ،

بقوة الايمان وصدق العزيمة التي لا تلين ولا تتزعزع في مقارعة الباطل وأهله .
اللهم هيء لهذه الأمة قيادة تحقق على يدها آمال المسلمين وتزيل بها الاهم
وتعيد بها الحقوق الى اصحابها انك سميع مجيب .

وختاما أوجه ندائي الى كل من يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر ان لا يحمله ما فعله اليهود من جرائم وما يفعلونه اليوم بالمسلمين على
ان تزل ألسنتهم ويقدحوا في أنبياء الله تعالى الذين شوه اليهود تاريخهم
النير . أو ينكروا ما ثبت من أمور يؤدى انكارها الى الكفر بالله تعالى .

أقول هذا لأنني وقفت أثناء هذا البحث على بعض العبارات التي تسيء
الى نبي من أنبياء الله كوصف يوسف بأنه طليعة المحتكرين وانكار القاء موسى
الألواح في حالة غضبه كل ذلك مخالف للاسلام ومن فعل ذلك فقد
جارى اليهود وحذا حذوهم واتبع سنتهم وهو لا يدرى . وجرائم اليهود مخالفة
لدعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ! فكيف يحمل اولئك الصفوة المختارة
من ذرية آدم أخطاء اليهود وجرائمهم ؟ ان ذلك لأمر في غاية الخطر والضرر ،
ينبغي عدم الاقدام عليه والتورط فيه . لأن زلة الأقلام قد تؤدى الى
زلة الأقدام يوم المعاد . وليكن قول الله تعالى هادينا وقائدنا في مثل
هذه المتاهات .

" ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم
شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله
خبير بما تعملون " ٨ - سورة المائدة . وأسأل الله تعالى التوفيق والقبول انه
نعم المولى ونعم المأمول " وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ".

مصـــادر البحـــث

(١)

القرآن الكريم وكتب التفسيـــــــــر

(٢)

كتب السنـــة

(٣)

مصادر اخرى غير الكتاب والسنة

*

(١)

القرآن الكريم وكتب التفسير

١ - القرآن الكريم

٢ - أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن

تأليف الشيخ محمد الامين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي

الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ

٣ - ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم (المعروف بتفسير أبي السعود) .

تاليف ابي السعود محمد بن محمد العمادى المولود سنة ٨٩٦ هـ والمتوفي ٩٥١هـ

طبع بمطبعة على صبيح وأولاده

٤ - الجواهر في تفسير القرآن الكريم

تاليف الشيخ طنطاوى جوهرى

طبعة مصطفى البابي الحلبي الثانية سنة ١٣٥٠هـ

٥ - كتاب التسهيل لعلوم التنزيل

تاليف محمد بن احمد بن جزى الكلبي الغرناطي المولود سنة ٦٩٣ هـ والمتوفي سنة ٧٤١ هـ

تحقيق محمد عبد المنعم اليونسى وابراهيم عطوة عوض

طبع بمطبعة حسان بالقاهرة

٦ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل .

تاليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمي المولود سنة ٤٦٧ هـ والمتوفي سنة ٥٣٨ هـ

طبعته مطبعة مصطفى الحلبي الطبعة الاخيرة سنة ١٣٨٥هـ

٧ - محاسن التأويل (المعروف بتفسير القاسمي)

تاليف العلامة الشيخ محمد جمال الدين القاسمي المولود سنة ١٢٨٣ هـ

والمتوفى سنة ١٣٣٢ هـ

تحقيق محمد فوءاد عبد الباقي

طبعه عيسى الحلبي الطبعة الاولى سنة ١٣٧٦هـ

٨ - فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير

تاليف محمد بن على بن عبدالله الشوكاني الصنعاني اليمانى المولود

سنة ١١٧٣ هـ والمتوفى سنة ١٢٥٠هـ

طبعة مصطفى الحلبي الثانية سنة ١٣٨٣هـ

٩ - في ظلال القرآن

تاليف السيد قطب

طبعة دار الشروق اللبنانية الثامنة سنة ١٣٩٩هـ

١٠ - قاموس القرآن او اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن

تاليف الحسين بن محمد الدامغاني

تحقيق عبد العزيز سيد الأهل

طبعة دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧هـ

١١ - تفسير القرآن العظيم (المعروف بتفسير ابن كثير)

تاليف الحافظ عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقي

المتوفي سنة ٧٧٤ هـ

طبعة مصطفى البابي الحلبي

١٢ - تفسير المنار المسمى بتفسير القرآن الحكيم

تأليف السيد محمد رشيد رضا

طبعة دار المنار الرابعة سنة ١٣٧٣هـ

١٣ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان

تاليف نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمى النيسابورى المتوفى

سنة ٧٢٨هـ - طبعة مصطفى الحلبي الاولى سنة ١٣٨٦هـ

(٢)

كتب السنة

١٤ - صحيح البخاري

تاليف ابي عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي المولود عام ١٩٤هـ والمتوفي سنة ٢٥٦هـ

١٥ - صحيح مسلم

تاليف الامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المولود سنة ٢٠٦ هـ والمتوفي سنة ٢٦١هـ

تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي

١٦ - فتح الباري

تاليف الامام الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني المولود سنة ٧٧٣هـ والمتوفي سنة ٨٥٢ هـ

نشرته رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

بتحقيق سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز

١٧ - النهاية في غريب الحديث والأثر

تاليف الامام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير المولود سنة ٥٤٤ هـ والمتوفي سنة ٦٠٦ هـ

طبعة عيسى الحلبي الاولى سنة ١٣٨٣هـ

(٣)

مصادر اخرى غير الكتاب والسنة

١٨ - الله (كتاب في نشأة العقيدة الالهية)

تاليف عباس محمود العقاد

طبعته دار المعارف طبعة سادسة ١٩٦٩م

١٩ - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام

تاليف علي عبد الواحد وافي . طبعته دار العالم العربي بمصر

رقم الايداع بدار الكتب ٤٩٠٥ لسنة ١٩٧١م

٢٠ - أصول الصهيونية ومآلها

تاليف عبد الحميد بن أبي زيان بن شنهو

طبعته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر

٢١ - اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان

تاليف الحافظ ابي عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية

المولود سنة ٦٩١ هـ والمتوفي سنة ٧٥٢ هـ نشرته دار المعرفة للطباعة

والنشر في بيروت طبعة ثانية سنة ١٣٩٥هـ

٢٢ - أصول الدين

تاليف ابي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى المتوفي سنة ٤٢٩ هـ

طبعته دار الكتب العلمية في بيروت طبعة ثانية سنة ١٤٠٠هـ

٢٣ - الأنبياء الأقدمون يتكلمون

تاليف حبيب سعيد

طبعته المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة

٢٤ - انجيل برنابا

ترجمه من الانجليزية الى العربية الدكتور خليل سعادة

طبعه السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار بمطبعة علي صبيح

بالأزهر سنة ١٩٥٨م

٢٥ - اظهار الحق

تاليف رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى

طبعة وزارة الشوءون الاسلامية المغربية بمطبعة الرسالة بالقاهرة سنة

١٣٨٤هـ

بتحقيق واخراج عمر الدسوقي

(ب)

٢٦ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع

تاليف محمد بن على بن محمد الشوكاني

طبعته مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٨هـ

٢٧ - بروتوكولات حكماء صهيون

تاليف عجاج نويهض

منشورات فلسطين المحتلة الطبعة الثانية ١٤٠١هـ

(جـ)

٢٨ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

تاليف شيخ الاسلام احمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن القاسم بن تيمية الحراني الدمشقي ، تقي الدين ابو العباس المولودبحران سنة ٦٦١ هـ والمتوفي سنة ٧٣٨ هـ بدمشق

(د)

٢٩ - دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه

تاليف أبي الفرج عبد الرحمن ابن ابي الحسن على بن محمد بن على بن عبيدالله بن حمادى بن احمد بن محمد بن جعفر الجوزى القرشي التيمي البغدادى الفقيه الحنبلي الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ المولود سنة ٥١٠ هـ أو قبلها والمتوفي سنة ٥٩٧ هـ

تحقيق محمد زاهد الكوثري نشرته المكتبة التوفيقية بالقاهرة

٣٠ - دفائن النفسية اليهودية

تاليف محمد علي الزعبي

طبع في بيروت سنة ١٩٦٨م

٣١ - ديوان البوصيري

تاليف أبي عبدالله محمد بن سعيد الشهير بالبوصيري

تحقيق محمد سيد كيلاني

طبع بمطبعة مصطفى الحلبي الطبعة الثانية سنة ١٣٩٣هـ

٣٢ - الدين المقارن - اليهودية

تاليف احمد عبد المنعم عبدالسلام الحلواني

طبعته مطبعة المعرفة الطبعة الاولى سنة ١٩٦٨م

(هـ)

٣٣ - همجية التعاليم الصهيونية

تاليف بولس حنا مسعد

تقديم محمد خليفة التونسى طبعته دار الكتاب العربي في بيروت طبعة ثانية سنة ١٩٦٩م

(و)

٣٤ - الوحى المحمدى

تاليف السيد محمد رشيد رضا

طبعته شركة الطباعة الفنية المتحدة بالقاهرة الطبعة السادسة سنة ١٣٨٠هـ

(ى)

٣٥ - اليهود بين الدين والتاريخ

تاليف صابر عبدالرحمن طعيمة

طبعته مكتبة النهضة المصرية الطبعة الاولى عام ١٩٧٢م

٣٦ - اليهود من كتابهم المقدس

تاليف كمال حسن عون

٣٧ - اليهود في القرآن

تاليف عفيف عبد الفتاح طباره

طبعته دار العلم للملايين الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٤م

٣٨ - اليهودية بين المسيحية والاسلام

تاليف خلف محمد الحسينى

طبعته المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة عام ١٩٦٤م

(ك)

٣٩ - كتاب النبوات

تاليف شيخ الاسلام ابن تيمية

طبع سنة ١٣٤٦هـ

٤٠ - الكنز المرصود في قواعد التلمود

تاليف الدكتور روهلنج ترجمة الدكتور يوسف حنا نصر الله واسمه الاصلى

" اليهود على حسب التلمود " .

طبع في بيروت طبعة ثانية سنة ١٣٨٨هـ

٤١ - الكتاب المقدس (العهد القديم).

(ل)

٤٢ - لهذا أكره اسرائيل

تاليف امين سامى الغمراوى

طبع الطبعة الاولى بدار النهضة العربية سنة ١٩٦٤م

(م)

٤٣ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية

جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد

طبع بأمر صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز آل سعود مصورا

من الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ

٤٤ - محاضرات في النصرانية

تاليف الشيخ محمد ابي زهرة

طبع بمطبعة يوسف الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٥هـ

٤٥ - مفاتيح كنوز الاسفار الالهية

تاليف متى بهنام

طبعته مطبعة الفجالة الجديدة في مصر الطبعة الثانية سنة ١٩٦٧م

٤٦ - محصل افكار المتقدمين والمتأخرين

تاليف فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازى

طبعته مكتبة الكليات الازهرية

٤٧ - مصادر الكتاب المقدس

تاليف القس صموئيل مشرقي

طبعته مطبعة الأمانة بمصر سنة ١٩٧٣م

٤٨ - المصباح المنير

تاليف احمد بن محمد بن على المقرى الفيومى المتوفي سنة ٧٧٠هـ

٤٩ - المسيح في القرآن والتوراة والانجيل

تاليف عبد الكريم الخطيب

طبعته دار التأليف بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٨٥ هـ

٥٠ - مقارنة الأديان ١ - اليهودية

تاليف الدكتور احمد شلبى

طبعته مكتبة النهضة المصرية الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٤م

٥١ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين

تاليف الامام ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعرى المتوفى سنة ٣٣٠هـ

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد

طبعته مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية.

٥٢ - موسوعة تاريخ الاقباط والمسيحية

تاليف زكى شنودة المحامي

طبعته مكتبة النهضة المصرية الطبعة الاولى سنة ١٩٧٤م

٥٣ - المواقف

تاليف عضد الله والدين القاضي عبدالرحمن بن احمد الايجى

طبع عالم الكتب ببيروت

٥٤ - موسوعة تاريخ العالم

تاليف وليم لانجر

أشرف على ترجمته الدكتور مصطفى عبادة و نشرته مكتبة النهضة المصرية

(ن)

٥٥ - النصيحة في صفات الرب جل وعلا

تاليف عماد الدين احمد بن ابراهيم بن عبدالرحمن الواسطى ولد بواسط سنة ٦٥٧ هـ وتوفى بدمشق سنة ٧١١ هـ

تحقيق زهير الشاويش من مطبوعات المكتب الاسلامي في بيروت طبعة ثانية سنة ١٣٩٤هـ

٥٦ - نظرية النسخ في الشرائع السماوية

تاليف الدكتور شعبان محمد اسماعيل

طبعته مطابع الدجوى بالقاهرة رقم الايداع بدار الكتب ٣٠٥٨/ سنة ١٩٧٧م

(س)

٥٧ - السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم

تاليف وليم مارش

صدر عن مجلس الكنائس في الشرق الأدنى في بيروت سنة ١٩٧٣م

(ع)

٥٨ - العرب قبل الاسلام

تاليف جرجى زيدان

طبعته مطابع الهلال الخاصة بالموءلف

٥٩ - على التوراة (كتاب في نقد التوراة اليونانية)

تاليف الشيخ علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب علاء الدين الباجي

المتوفي سنة ٧١٤ هـ

تحقيق احمد حجازى السقا

طبعته مطابع الحلبي الطبعة الاولى سنة ١٤٠٠هـ

٦٠ - عصمة الأنبياء

تاليف الدكتور محمد ابي النور الحديدى

طبعته مطبعة الأمانة بمصر سنة ١٣٩٩هـ

(ف)

٦١ - الفصل في الملل والأهواء والنحل

تاليف ابي محمد على بن احمد بن حزم الظاهرى الاندلسى المولود

بقرطبة ٣٧٤هـ والمتوفي سنة ٤٥٧ هـ

طبعته دار الافاق الجديدة في بيروت الطبعة الاولى سنة ١٩٧٨م

(ص)

٦٢ - الصهيونية العالمية واسرائيل

تاليف الدكتور حسن ظاظا والدكتورة عائشة راتب والدكتور محمد فتح الله

الخطيب

طبعته الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية بالقاهرة عام ١٩٧١م

٦٣ - الصهيونية بين الدين والسياسة

تاليف عبد السميع الهراوى

طبعته الهيئة المصرية العامة

(ق)

٦٤ - قصة الحضارة

تاليف ول ديورانت

طبعته جامعة الدول العربية

ترجمة محمد بدران

٦٥ - القاموس المحيط

تاليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادى

٦٦ - قصص الأنبياء

تاليف عبدالوهاب النجار

طبعته دار الفكر في بيروت

(ر)

٦٧ - الرد على ابن النغريلة اليهودى

تاليف ابي محمد على بن حزم الظاهرى

طبعته مطبعة المدني بالقاهرة (المؤسسة السعودية بمصر) سنة ١٣٨٠هـ

٦٨ - رسالة الفتوى الحموية الكبرى

تاليف شيخ الاسلام ابن تيمية

قدم لها ونشرها محمد عبد الرزاق حمزة

طبعتها مطبعة المدنى الطبعة الرابعة

٦٩ - رسالة التوحيد

تاليف الشيخ محمد عبده

طبعتها دار الفكر الطبعة الرابعة في بيروت

(ش)

٧٠ - شرح أم البراهين

تاليف أبي عبدالله محمد بن محمد بن يوسف السنوسى

طبع بمطبعة الاستقامة الطبعة الاولى سنة ١٣٥١ هـ بالقاهرة.

٧١ - شرح الفقه الاكبر

تاليف الملا على القارى

طبعته دار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٣٩٩هـ

(ت)

٧٢ - تاريخ بنى اسرائيل من اسفا رهم

تاليف محمد عزة دروزه

طبعته المطبعة العصرية للطباعة والنشر في صيدا بلبنان سنة ١٣٨٩هـ

٧٣ - تاريخ شعب العهد القديم

تاليف الأب ديلى الأستاذ بجامعة باريس الكاثوليكية

وعربه جرجس مارديني

وطبعته المطبعة الكاثوليكية في بيروت

٧٤ - توجيه النظر الى علم الأثر

تاليف طاهر بن صالح الجزائرى الدمشقي

نشره صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنورة محمد النمنكانى رحمه الله

٧٥ - التلمود تاريخه وتعاليمه

تاليف ظفر الاسلام خان

طبعته دار النفائس للطباعة والنشر في بيروت سنة ١٩٧١م طبعة أولى

٧٦ - تحفة المريد على جوهرة التوحيد

تاليف شيخ الاسلام ابراهيم بن محمد البيجورى

طبع بمطبعة مصطفى الحلبي الطبعة الاخيرة سنة ١٣٥٨هـ

٧٧ - تبيين كذب المفترى

تاليف مؤرخ الشام أبي القاسم على بن الحسين هبة الله ابن عساكر الدمشقي المتوفي سنة ٥٧١ هـ

طبعته مطبعة التوفيق بدمشق عام ١٩٤٧م

٧٨ - التاريخ في الكتاب

تاليف المستشرقة كاترين هنرى

تلخيص حبيب سعيد

صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الاسقفية بمصر

٧٩ - التطور التاريخي لبنى اسرائيل

تاليف عماد عبدالحميد النجار

طبعته مطبعة المعرفة الطبعة الاولى سنة ١٩٧٣م

(خ)

٨٠ - خليل الله في اليهودية والمسيحية والاسلام

تاليف حبيب سعيد

صدر عن دار التاليف والنشر للكنيسة الاسقفية بالقاهرة مطبعة النيل المسيحية .

(ذ)

٨١ - ذم الهوى

تاليف ابي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزى

تحقيق مصطفى عبدالواحد

طبع سنة ١٣٨١ هـ الطبعة الاولى

جدول الخطأ والصواب (الجزء الثاني)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤١١	٧ من أسفل	الخبر والشأن	الخبر ذو الشأن
٤١٣	٩	للرجل الله	لرجل الله
٣١٤	٧ و ٨ و ١٠	ترك فواصل	وضع فواصل
٤١٥	٨ من أسفل	البينات . فهدى	البينات بغيابينهم فهدى
٤١٦	٧ — —	لا لالجاء	لا الالجاء
٤٢١	١٠	أولئك يؤتيهم	أولئك سوف يؤتيهم
٤٣٥	٥	يهو ياداع هو أن يهو	يهو يا داع أن يهويا داع
٤٤٣	٨	قد أخذ طريقه	قد أفسد طريقه
٤٤٨	١٠	عاديا	تاريخيا
٤٥٠	١٠	خارطة	خريطة
٤٥٤	٣ من أسفل	عاش	ولبث
—	١ — —	فقال هو	فقال وهو
٤٧٧	١٠	أية بارة	امة بارة
٤٨٧	١٠	رفعت	دفعت
٤٩٢	٥	وكيف أخاف أشركتم	وكيف أخاف ما أشركتم
٤٩٣	٨	ان كذلك	انا كذلك
٥٠٢	الاخير من الهامش الاول	في أنه	من أنه
٥١٣	الأخير في الهامش	يزقون	يزفون
٥٢٢	٧ من أسفل	عرض محرما	عرضا محرما
٥٢٦	٤	وهو لا يتعارض	وهو يتعارض
—	١٢ من أسفل	هلال قرية	هلاك قرية
٥٢٧	٣ من الهامش الثاني	ويحبلها	ويحبلهما
٥٣٩	١	والقثا	والقثاء
٥٤٠	١١ من أسفل	هذا اليوم	هذا الموقف
—	١٢ — —	فتكلمت	وتكلمت
٥٤٨	١	اظهروه	أظهروا
٥٥١	٨	يعطهم	يعطيهم
٥٦٦	٩	ومن ايذائهم عليه ..	ومن ايذائهم له عليه ..
٥٦٩	٣	بغتة	بغنة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٧٧	٨	راجعا	راكعا
٥٧٩	١ من الهامش رقم٢	نسخة أخرى لفتح	نسخة قريبة من فتح ...
٥٨٨	٤ من أسفل	وأنه لما بلغ	وأنه ما بلغ
٥٩١	٦ — —	يا أيها الناس قد علمنا	يا أيها الناس علمنا
٥٩٨	٨	ذووتها	ذروتها
٦١٣	٨ من أسفل	بنى اسماعيل	بنى اسرائيل
٦٣٢	٦ — —	نهو عنه	نهوا عنه
٦٣٦	٨	يفكروا	يكفروا
—	٣ من أسفل	والحكم	والحكمة
٦٣٨	٦	اذا هم	اذ هم
—	٨	جوزو	جوزوا
٦٤٢	٥	ان الحذور	ان الجذور

٦٦٣ يضاف في أسفل الصفحة ما يأتي :

٨٢ — الكتاب المقدس

أصدرته دار الكتاب المقدس في العالم العربى

٨٣ — التوراة السامرية

ترجمة الكاهن السامرى أبي إسحاق الصورى

نشرها وعرف بها الدكتور أحمد حجازى السقا

ونشرتها دار الأنصار بمطبعة دار البيان بالقاهرة

الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م